حواء حين تلعب بالنار

أشهر وأخطر الجاسوسات

عبر العصور

TOP SECRET

محمود عبدالله

دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

اسم الكتاب: حواء حين تلعب بالنار
إعداد: محمود عبد الله
المراجعة اللغوية والتدقيق: طه عبد الرؤوف سعد
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٤٢٧٩ /٢٠٠٩
الترقيم الدولي: 2 - 538 - 376 - 977 - 978
التنفيذ الفني: أحمد وليد ناصيف
الإشراف الفني: محمد وليد ناصيف
الإشراف العام: أ. أسعد بكري كوسا

سوريا- دمشق - الحجاز - شارع مسلم البارودي تلفاكس: ٢٢٣٥٤٠١ ص.ب ٣٤٨٢٥
مصر - القاهرة - ٥٢ شارع عبد الخالق ثروت - شقة ١١ تلفاكس: ٢٣٩١٦١٢٢/٢٣٩٣٣٦٧١
لبنان - تلفاكس: ٠٥/٤٣٤١٨٦ تليفون: ٠٣/٦٥٢٢٤١ - ص.ب ٣٠٤٣ الشويفات
darelkitab@yhoo.com darkitab.nassif@hotmail.com
عنوان الموقع: www-darketab-com - عنوان البريد الألكتروني التابع للموقع: info@darketab-com

حواء حين تلعب بالنار

أشهر وأخطر الجاسوسات عبر العصور

◆

محمود عبد الله

الطبعة الأولى

الناشر

دار الكتاب العربي

٢٠١٠

مقدمة

الجاسوس..

لن يستغني العالم يوما عن ذلك الشخص، وتلك المهنة، فالأرض لن تخلو يوما من الصراعات والحروب بين بني الإنسان، وهنا يأتي دور الجاسوس، ذلك العقل المدرب، والشخصية الجذابة القادرة في حال نجاحها أن تقلب الموازين، وأن تحول الهزائم إلى انتصارات..

ومنذ فجر التاريخ والمرأة موجودة بقوة في ذلك العالم السري، فقد تنبه الرجل منذ البداية لقدرات النساء المتفردة في ذلك المجال، وأسلحتها التي لا تقاوم : بداية من دموعها ورقتها، وليس انتهاء باستخدام جسدها في تطويع الرجال، والحصول على أدق الأسرار..

وقد سجل التاريخ لنا أسماء العشرات من الجاسوسات اللاتي أدَّين دورا مُهماً ومحوريا في الصراعات والحروب عبر التاريخ البشري، ونحن على ثقة أن من أغفل التاريخ ذكرهن أكثر ممن قص علينا حكاياتهن، ومنهن من هن أشد خطورة وأثرا.. ولكن هذه هي عادة التاريخ .. خاصة في عالم الجاسوسية الذي يقوم على السرية، ويكتم أكثر مما يعلن..

لقد خلد عالم الجاسوسية عميلات سريات أصبحن علما على ذلك العالم الغامض المليء بالحكايات والأساطير..

(ماتا هاري)..

كارمن موري..

أمينة المفتي..

سيبيل ديكلور..

إنشراح موسى..

إيماس إدموندس..

وفي التاريخ القديم :

راحاب..

إستير..

دليلة..

وصاحبة حاطب بن أبي بلتعة (رضي الله عنه)..

أسماء حفرت لنفسها مكانا في التاريخ البشري، باعتبارهن نساء اخترن طريقا مختلفا عن سائر النساء، ولاقين مصيرا مختلفا في أغلب الأحيان..

ورغم كل شيء، ستبقى الحاجة للجاسوس..

والجاسوسة..

حتى نهاية الزمان..

محمود عبد الله

القسم الأول

مقدمة عن استخدام النساء فى الجاسوسية

القسم الأول

مقدمة عن استخدام النساء في الجاسوسية

□□

جرى استخدام النساء في أعمال الجاسوسية من قديم الأزل.. منذ عهد نوح.. حين آثرت امرأته أن تنحاز لقومها في المعركة بين الكفر والإيمان. وهو الموقف نفسه الذي قامت به زوجة النبي لوط، التي كانت تمد قومها بأخبار زوجها.. وفي التوراة التي يقدسها اليهود، نجد دليلة الجاسوسة الفلسطينية، التي استخدمها قومها للوصول لسر قوة عدوهم، ومن ثم القضاء عليه، كما نجد سفرا كاملا باسم امرأة تم زرعها في القصر الملكي الفارسي، واستطاعت إنقاذ قومها من الإبادة الجماعية، وتحسين أوضاعهم في المملكة.. إنها إستير الغانية، التي أخضعت الفرس لقومها بجمالها ودهائها..

وقد امتلأت المجتمعات القديمة والحديثة بالأنثى التي صارت جاسوسة، بإرادتها، واقتناعها، أو رغما عنها.. وقد نجحت المرأة الجاسوسة في ذلك العالم، كما نجح الجاسوس الرجل، وفشلت كما فشل.. وبقي لكل منهما مهامه المناسبة لطبيعته وتكوينه..

ولعل هذا يجعل السؤال مُلحًّا : متى تكون الحاجة للمرأة في عالم الجاسوسية والمخابرات ؟

يدرك الخبراء بالنفس البشرية أنه لا يوجد إنسان بغير نقطة ضعف، وهذه هي القاعدة التي تعمل عليها أجهزة المخابرات في انتقاء ضحاياها، والسيطرة على مصادر معلوماتها، هناك من يستهويه المال ويجتذبه، وهناك من لا يملك

نفسـه أمـام الأنثى الجـمـيلة، وهناك المتـمـرد الناقم على أوضـاع وطنه، وهناك صاحب المبدأ والقضية الذي يمكن الدخول إليه عبر مبادئه.. وهناك.. وهناك.. ومن بين كل هذه الأمور تبقى الغريزة والضعف أمام الأنثى الجميلة من أكثر نقاط الضعف الموجودة لدى عموم الرجال.. ولعل التاريخ يشهد بذلك.. فقصص مثل قصص دليلة وإستير وسالومي، على ما دخلها من خرافات وإضافات أسطورية، تبقى شاهدة على مدى تأثير المرأة الجميلة في الرجل.بما يجعله مستعدا للتضحية بكل شيء من أجلها..

لذلك نجد أجهزة المخابرات تحرم الحب على العاملين بها، بل تفضلهم بدون عواطف أو أن يكونوا متزوجين مسبقا، كما يحذرون من الخطأ الشهير الذي قد يقع فيه ضابط المخابرات، وهو حب "الحالة "، بأن يقع الضابط، أو الضابطة في هوى العميل الذي يتعامل معه ويقوم بتدريبه، أو يحدث العكس ويقع العميل في هوى ضابط الحالة المكلف بالتعامل معه، والإشراف على عمليته..

وهناك قصة شهيرة يعرفها الروس جيدا، لرجلهم (بوجدان ستاشنكي)، الذي أحب فتاة من ألمانيا الشرقية، وهو يقوم بإحدى عملياته في ألمانيا الغربية، تعاهدا على الزواج وألبسها خاتم الخطبة، وحين عاد من مهمته اتصلت به الخطيبة وأخبرته أنها حامل وأنها ستضع مولودا، وطلبت منه العودة، فمنعته المخابرات الروسية من ذلك، فاتصلت به بعد مدة تقول إنها ولدت طفلا ومات، وإنها تنتظر مجيئه للقيام بدفنه، فسمحت له المخابرات الروسية بالسفر، لكنها وضعته تحت الرقابة المشددة، تحسبا لأية ردة فعل تكون لديه بسبب حرمانه من زوجته ومن ثم وفاة ولده وهو بعيد عن زوجته، وبعد الدفن رجع إلى عمله فأدرك أنه مراقب فقام بالهرب إلى ألمانيا الغربية هو وزوجته، واتجه إلى مركز المخابرات الاتحادية،فقدم (بوجدان) إلى المحكمة بعد التحقيقات التي أجرتها المخابرات الاتحادية معه، وفي المحكمة أعلن أنه نادم وأنه كان ينفذ عمله تحت الضغط عليه، فرأت المحكمة أن له من الأسباب المخففة ما يكفي لتحكم عليه بثماني سنوات مع الأشغال الشاقة، ولكنه اختفى من سجنه عام ١٩٦٦ وكذلك اختفت زوجته التي كانت تزوره في السجن.

هذه قصة تظهر كيف فشل هذا الجاسوس الكبير بسبب وقوعه في الحب..

يقول الخبراء كذلك، إن من غريزة الرجل أن يحترم المرأة ويرق لضعفها، فمقاومة دموع امرأة أصعب على الإنسان الكريم من مقاومة عدو في الميدان، لذا كانت تلك الدموع سلاحا فتاكا في مواقف تاريخية كثيرة.. وكم انقلبت موازين. وتغيرت نتائج معارك بسبب تلك الدموع..

وهناك قصة في تاريخنا العربي والإسلامي تثير لديَّ الغيظ كلما تذكرتها.. في ذروة الصراع بين العرب والمسلمين وبين الأوربيين في الأندلس وفرنسا وإيطاليا، نجح أمير من أمراء بني الأغلب في تونس في محاصرة روما، معقل البابا، ومركز التحريض ضد الإسلام في العالم آنذاك.. وشدد الأمير من الحصار حتى كادت تخر له روما ساجدة، فما الذي جعل هذا الأمير يتراجع عن فتح روما، التي كان فتحها نهاية المقاومة للإسلام في أوربا للأبد.. إنها دموع المرأة..

جاءت أم الامبراطور وأخواته يستدررن عطف الأمير العربي بدموعهن وهداياهن.. ركعن له ورجونه أن يقبل الجزية.. فضعف وقبلها.. وبهذا انقلب التاريخ في العالم.. بقيت روما، وبعدها ضاعت الأندلس.. ووصلنا لما نحن عليه اليوم..

الحقيقة الثالثة التي يعرفها الخبراء هي أن من طبيعة الفطرة البشرية عند الرجال أنهم يميلون إلى النساء ويتقربون إليهن تلبية لنداء الغريزة في هذا الأمر، ولا تجد رجلا إلا ما ندر لا يميل إلى النساء، غير أنه قد يقف عند حدوده إن كان محافظا على دينه وعاداته، وقد يتعداها إن لم يكن كذلك، فلذلك أنت تجد أن هذا الأمر يعطي فرصة كبيرة للمرأة لجلب المعلومات والتقاطها من الرجل، لأنه يحب أن يفتخر أمام المرأة ببطولاته وأعماله فهو يتكلم، وخاصة إذا كان ذا منصب عسكري أو غيره..والمرأة الذكية هي التي تعرف كيف تدخل إلى قلب الرجل، وتخرج منه أدق أسراره..

ولعل هذا الأسلوب : دفع الرجل للتفاخر بمعلوماته وأسراره أمام المرأة

المتدللة، التي تجذبه للفراش، لعله من أشهر الأساليب التي قامت وتقوم به الجاسوسات في الحصول على المعلومات، وفي القصص التي سترد في الفصول التالية نماذج لجاسوسات برعن في هذا الأمر، وحققن به نجاحات عظيمة..

الحقيقة الرابعة أن الغريزة تدفع الرجال، خاصة في المجتمعات الشرقية، للعمل على حماية المرأة، وعندما تدخل تحت عباءته يمكن لها أن تبدأ باستغلال كامل خبرتها في سبيل الحصول على ما تريد..

وفق هذه القواعد الأربع الرئيسية تتضح أهمية المرأة في مجال التجسس والاستخبارات، وأنه لا يمكن الاستغناء عنها، كما لا يمكن الاستغناء عن الجواسيس الرجال..

المرأة وسلاح الجسد

ربما كان الرجل، في العموم، أقوى وأذكى من المرأة، ولكن المرأة، ومنذ البداية تمتلك ما لا يمتلكه الرجل في مضمار الجاسوسية. تمتلك سحر الأنوثة ورقتها. وضعفها..

تخبرنا أرشيفات أجهزة المخابرات، وتاريخ الجاسوسية عموما، أن كثيرا من الجواسيس، الرجال والنساء، لم يترددوا في استخدام "الجسد " للوصول لهدفهم.. ويمكن أن نربط هذا بحقيقة أخرى تتلخص في أن أغلب من عملن بالتجسس كن ممن يتمتعن بالجمال الفائق، أو الجمال في حده الأدنى، ولعلنا حين نسمع كلمة جاسوسة، يتبادر المعنى في أذهاننا مرتبطا بصورة المرأة الجميلة الجذابة، التي تُفقد الرجال عقولهم، وتسيطر عليهم، وتدفعهم نحو ما تريد.. وفي هذا يمكن أن نذكر أسماء عشرات الجاسوسات، اللائي أدين الجزء الأهم من عملهن في الفراش...

من ينسى (ماتا هاري)، التي كانت تحصل على المعلومات بسحر جمالها ودلالها ؟..

ولم تكن الوحيدة؛ فخلال حرب الانفصال في الولايات المتحدة استخدمت

كثيرات من أمثال: بل بويد[1]، وروز جرينهاو[2] محاسنهن لخدمة هذا الجانب أو في الجانب الآخر..

كما أن النبيلة الإيطالية فيرجينيا دي كاستيجليونه جعلت من نفسها في تلك السنين عشيقةً لنابليون الثالث، وذلك لتوريطه في عمل عسكري مما أتاح لبيامونته استعادة أراض كانت عندئذ تحت سلطة الامبرطورية النمساوية الهنغارية.

وخلال الحرب العالمية الثانية أسهمت بيوت دعارة رفيعة المستوى من أجل استطلاع أسرار ومعلومات الزبائن بالاحتيال عليهم. وكان أشهر هذه المواخير صالون كيتي في برلين.. أقيم هذا الماخور بالتعاون مع نساء مخلصات للنظام النازي، وكان هناك في فيينا صالون مماثل، وكان اسمه في اليابان (صالون الملذات العظمى)..

أما الواقعة المدهشة، والطريفة في الوقت نفسه، فهي ما يروى عن برنارد بورسيكوت الذي كان موظفاً في وزارة الخارجية الفرنسية عندما ألقي القبض عليه عام ١٩٨٦م، بتهمة تسريب أسرار إلى الصين. وقد أكد أنَّهُ قام بذلك لوقوعه في حب مواطنة تدعى شي بي بو واستمرا على علاقة عاطفية خلال ١٩

---

(١) بيل بويد، الجاسوسة الاتحادية للحرب الأهلية الأمريكية، ولدت في مارتنسبيزج سنة (١٨٤٤)، وكانت تمد الجنرال جاكسون، وأفراد العائلة المالكة بمعلومات ثمنية عن نشاطات الاتحاد في قرية شينادذوا عام ١٨٦٢ .. وأطلق سراحها عام ١٨٦٤ بعد أن سجنت مرتين. ذهبت إلى انجلترا بمعلومات سرية للوكلاء الاتحاديين في انجلترا.

وكان أول أزواجها الثلاثة ضابطًا اتحاديًا، تولى عملية أسرها، وبعد موته بدأت رجلتها في انجلترا عام ١٨٦٦، ثم الولايات المتحدة، والغرب الأوسط، اثيرت حولها العديد من القصص والحوادث للحروب الأهلية، وكتبت كتاب «بيل بويد في المعسكر والسجن» عام ١٨٦٥، وتوفيت عام ١٩٠٠ .

(٢) من أشهر جواسيس الحرب الأهلية الأمريكية.. تجسست روز على شخصيات مهمة في الشمال وبعثت بمعلومات أسرية إلى قادة الجنوب، وفي فترة ما كان لدي روز شبكة تضم نحو خمسين جاسوسًا يعملون لحسابها وكان معظمهم نساء، وبعد مدة قصيرة تم القبض على روز وأودعت السجن، ولكنها استمرت في توجيه شبكة جواسيسها من خلف القضبان، وقد كانت ترسل رسائل مشفرة إلى جواسيسها على هيئة نسيج يتم ترتيب خيوطه الصوفية الملونة بحيث يدل على الرسائل المشفرة.

سنة. والأكثر إدهاشاً في الأمر هو أن شي بي يو لم تكن امرأة، كما كان يعتقد، بل رجلاً نجح في إخفاء جنسه بالخداع. وقد حاول بورسيكوت الانتحار لما علم بالخدعة!!

والتاريخ القديم يصف لنا باستفاضة.. كيف استغل اليهود الجنس منذ آلاف السنين لنيل مبتغاهم.. وتحقيق أهدافهم غير الشريفة.. ضاربين عرض الحائط بالقيم.. وبكل الفضائل والأعراف.

ففي عام ١٢٥١ قبل الميلاد.. كانت مدينة "أريحا" الفلسطينية مغلقة على اليهود العبرانيين.. وأراد "يشوع بن نون" غزو المدينة واحتلالها..

ولما أُبلغ أن ملك المدينة يهوى النساء.. ولا يستطيع مقاومتهن.. كلف اثنين من أعوانه بالبحث عن فتاة يهودية – ذات جمال وإثارة – لتقوم بهذه المهمة.. فوقع اختيارهما على "راحاب" جميلة الجميلات.. التي استطاعت بالفعل الوصول إلى الملك.. وسيطرت على عقله بفتنتها الطاغية.. وملأت القصر باليهود من أتباعها بحجة قرابتهم لها..

بهذه الوسيلة.. أمكن إدخال مئات اليهود إلى المدينة.. وتمكنت راحاب من قتل الملك... ودخل يشوع منتصراً بواسطة جسد امرأة... امرأة يفخر بها اليهود.. ويعتبرونها أول جاسوسة يهودية خلعت ملابسها في سبيل هدف "نبيل" لبني جلدتها(٣).

وهناك قصة أستير التي أشرنا إليها. وسنوردها بالتفصيل فيما بعد..

ولعل هذا ما يجعلنا نشير إلى ملحوظة مهمة في هذا السياق، وهي تميز المخابرات الإسرائيلية في استخدام سلاح الجنس في أعمالها، فرغم أن مفهوم الولاء للدولة الوطنية، وتقديمه على ما عداه من الاعتبارات، يبيح للجاسوسة أن تضحي بشرفها وأن تجعل جسدها في خدمة هدفها ووطنها، ورغم أن الجاسوسة غير الوطنية تلتزم بهذه القاعدة أيضا، فإن الموساد يتفوق في هذا المضمار..

---

(٣) هذه هي رواية اليهود في التوراة، ذكرناها لأنها تمثل جزءًا من تراثهم وذهنيتهم، وإن كنا لا نصدق أن نبيًا كيوشع بن نون يدخل الأرض المقدسة بجسد غانية!! فأنبياء الله أجل وأعظم من ذلك، ولكنها عقلية اليهود المهووسة بالجنس والمكر والخديعة!!

فبعدما أقام الصهاينة دولتهم فوق الأرض المغتصبة من العرب... كان عليهم أن يتمسكوا بها.. ويجاهدوا في سبيل استقرارهم عليها... وكان الجنس أحد أهم أدواتهم للوقوف على أسرار المحيطين بهم ونواياهم... من خلال ضعاف النفوس الذين سقطوا في شباكهم... وانقلبوا إلى عبدة للذة... وعبيد للمال.

والأمر برمته ليس كما نتخيل - مجرد لقاء جسدي بين رجل وامرأة - بل هو أكبر من تصورنا، وتخيلنا البسيط للحدث. فالجنس، صارت له مدارسه وأكاديمياته التي أقامتها له الموساد لتدريسه، ولشرح أحدث وسائل ونظريات السقوط بإغراءات الجسد..

وغالبية أجهزة المخابرات في العالم تستعين بالساقطات والمنحرفات جنسياً لخدمة أغراضها حيث يسهل إغراؤهن بالمال، أو التستر على فضائحهن. أما في الموساد فلا... إذ يتم اختيارهن من بين المجندات بجيش الدفاع الإسرائيلي... أو الموظفات بالأجهزة الأمنية والسفارات، أو المتطوعات ذوات القدرات الخاصة، ويقوم على تدريبهن خبراء متخصصون بعد اجتياز اختبارات مطولة تشمل دراسات معقدة عن مستوى الذكاء، وصفاتهن المعبرة عن نفسها في مختلف الأمزجة، وكذا أنماط الطباع، وسرعة التصرف والاستجابة. تدرس لهن أيضاً فنون الإغراء وأساليبه، بالإضافة لعلم النفس، وعلم الاجتماع وعلم الأمراض النفسية ومنها طرق الإشباع الجنسي، ونظريات الجنس في أعمال السيطرة، والصدمات العالية للسيطرة واكتشاف مرضى القهر الاجتماعي أو السياسي أو الديني لسهولة التعامل معهم، وكذا المصابين بإحباطات الشعور بالنقص، وذوي الميول الجنسية المنحرفة التي لا تقرها الجماعة إلى جانب التمرينات المعقدة للذاكرة لحفظ المعلومات وتدوينها بعد ذلك، وتدريبات أكثر تعقيداً في وسائل الاستدراج والتنكر والتلون وإجادة اللغات...

إنهن نسوة مدربات على التعامل مع نوعية خاصة من البشر، استرخصت بيع الوطن في سبيل لذة الجنس. ومن هنا ندرك أنهن نساء أخريات يختلفن عن سائر النساء.

وعنهن يقول مائير عاميت " إن المرأة سلاح هام في أعمال المخابرات

الإسرائيلية... فهي تمتلك ملكات يفتقر اليها الرجال... بكل بساطة.. إنها تعرف جيداً كيف تتصت للكلام... فحديث الوسادة لا يمثل لها أدنى مشكلة.. ومن الحماقة القول بأن الموساد لم توظف الجنس لمصلحة إسرائيل.. فنحن لدينا نساء متطوعات راجحات العقل... يدركن الأخطاء المحدقة بالعمل... فالقضية لا تنحصر في مضاجعة شخص ما... إنما دفع الرجل إلى الاعتقاد بأن هذا يتم مقابل ما يتعين أن يقوله..."

ويضيف عاميت: "نحن نستخدم النساء، ذوات الصفات الخاصة جداً، في المهام التي تستدعي ذلك، فالمرأة ذات فوائد عظيمة في عمل المخابرات، فهي لا تثير الشكوك حولها، ويوحي تواجدها مع زميل بأنهما زوجان أو عشيقان، فلا يجذبان انتباهاً في عمليات المراقبة".

ويضيف: "وتقوم الموساد باستخدام المرأة في نصب المصائد الجنسية، ولمرة واحدة فقط، أحياناً، حيث توظف الموساد الجنس كأهم الأسلحة في عملياتها السرية، وإنه لتصرف شائع، أن يتم استخلاص المعلومات من الجواسيس والمخبرين العرب، الذين تديرهم الموساد أو أمان، بأخذهم إلى مكان هادئ، فيكافأون على عملهم بتوفير الفتيات لهم، ويتم تصوير ممارساتهم لاستخدام الصور للضغط الابتزازي، لضمان ولائهم لإسرائيل". !!!

ولا عجب أن تصل شهرة بعض نساء الموساد إلى الآفاق، لإجادتهن فنون السيطرة، ونزف أجسادهن تضحية وحُبَّاً في أرض الميعاد. ومن أشهر هؤلاء النسوة المدربات المحترفات، يولاند هارمور التي ولدت في مصر، وسيلفيا رافائيل التي اشتركت في تعقب الفدائي الفلسطيني علي حسن سلامة، وكانت من بين المعتقلين من رجال الموساد في النرويج، إثر فضيحة ليليهامر في يوليو ١٩٧٣.

أما شولا كوهين، فكانت أسطورة الجنس بحق، إذ تمكنت بفضل جسدها المثير من تأسيس شبكة جاسوسية خطيرة في لبنان، وتستحق بلا مبالغة لقب "(ماتا هاري)" إسرائيل، إلى جانب هؤلاء كانت هناك أيضاً سارة أرونسون وليلي كاستيل ومئات الأسماء التي تزدحم بها ملفات جهاز المخابرات الإسرائيلي، لنساء يهوديات عملن بإخلاص لنصرة الصهيونية، وانتصرن في حروبهن على أسرّة الخونة.

وكانت "ليلى كاستيل" أسطورة نساء الموساد بحق... فبعد سنوات من وفاتها عام ١٩٧٠ كان الجميع يتحدثون عن "مواهبها" الاستثنائية... فقد كانت تتحدث العبرية والفرنسية والإنجليزية والألمانية والايطالية والعربية... وكانت جذابة وذكية... وجديرة بثقة الموساد... وكان " سلفى هاريل" يستخدم عقلها وأنوثتها في "مهمات" خاصة في أوروبا".

فإسرائيل هي الدولة الوحيدة في العالم منذ عام ١٩٤٨، التي تفرض التجنيد الإجباري على النساء وقت "السلم"، حيث تستخدم النساء والفتيات في شتى المجالات العسكرية والسرية والجاسوسية، لتحقيق أهداف إسرائيل في الأمن والتوسع حتى ولو بالجنس. فالجنس سلاح اليهود منذ القدم، وقد أجادوا استخدامه واتقنوه لدرجة الاحتراف وتفوقوا بذلك على الأمم الأخرى.

ومن النادر جداً أن تخلو قصة تجنيد جاسوس لإسرائيل من المرأة والجنس.. حتى في حالة الخائنة هبة سليم التي اشتهرت باسم عبلة كامل، فقد استغلت أنوثتها كجاسوسة إسرائيلية، وأغرت الضابط المصري المقدم فاروق الفقي، وفعلت معه كما تفعل نساء الموساد في غرف النوم.

وفي حالة الأردنية أمينة داود المفتي، فرغم أنها لم تتعاون مع الموساد بعد نصب "مصيدة العسل" المعتادة. لكن ارتباطها جنسياً بطيار يهودي في فيينا وهي المسلمة – ثم زواجهما كان بداية قصتها مع الجاسوسية والخيانة.. وهذا ما حدث أيضاً مع انشراح المصرية التي سيطر عليها ضابط الارتباط الإسرائيلي بالجنس في تركيا.

وسائل تجنيد المرأة في أعمال التجسس :

لا تختلف وسائل تجنيد المرأة والسيطرة عليها في عالم الجاسوسية، عن وسائل تجنيد الجاسوس الرجل والسيطرة عليه، فالهدف في النهاية هو التطويع والسيطرة، والوسيلة تتفاوت بتفاوت ظروف الشخص المراد تجنيده، وطبيعته الشخصية..

فهناك من يتم اصطيادها وتجنيدها بطعم الحب والغرام، ومعروف أن المرأة حين تحب تفعل أي شيء من أجل الحبيب..

فتاة أردنية مثل أمينة المفتي، أحبت شابا يهوديا ومن أجله غيرت دينها، فاعتنقت اليهودية، ولتحمي حبها هذا غيرت جنسيتها وولاءها، وباعت وطنها، فهاجرت مع زوجها اليهودي لإسرائيل وحصلت على الجنسية الإسرائيلية..

وبعد وفاة الحبيب، ورغبة في الانتقام من العرب الذين تسببوا في مصرعه، وباسم الحب والوفاء، قبلت أمينة أن تعمل مع الموساد، ضد العرب الذين ولدت وعاشت بينهم، وكانت واحدة منهم في يوم من الأيام..

باسم الحب أصبحت سيبيل ديكلور واحدة من أخلص أعوان الكولونيل النازي "فيرنر كرامر" الذي كان يشغل منصب رئيس المخابرات التابعة لفرقة العاصفة الألمانية.معاونة له وعشيقة في الوقت نفسه..

وهناك من يتم اصطيادها بالمال، ويُستغل طمعها وعشقها للثراء والرفاهية.. وما أكثر النماذج.. وربما كانت (ماتا هاري)، وكرستين كيلر، وشولا كوهين من أشهر هؤلاء النسوة اللاتي دفعهن الفقر، أو الطمع لعالم الجاسوسية والعمالة..

وهناك من تدخل ذلك العالم إيمانا بمبدأ، حتى لو كان خاطئا، مثل هبة سليم التي جندها الموساد بعد أن آمنت بإسرائيل، وقوتها وتفوقها على العرب، ومثل آن بيليه مونتيز التي تجسست على الاستخبارات الأمريكية إيمانا منها بالقضية الكوبية ..

وهناك من تدخل من بوابة الوطنية، والحرص على صالح الوطن، لدينا هنا حكمت فهمي الراقصة التي تعاونت مع الألمان نكاية في الإنجليز المحتلين، ورغبة في الخلاص منهم.. وهناك الثلاثي الفرنسي: سيمون، وأوديت، وجينيت، اللائي تطوعن للعمل ضد الألمان الذين احتلوا فرنسا خلال الحرب العالمية الثانية..

وهناك من تدفعها الرغبة في الانتقام، مثل كلير فيلبس التي أرادت الانتقام لزوجها من اليابانيين، فصارت عميلة سرية..

ومنهم من تتملكها الرغبة في المغامرة والإثارة، فتتقدم إلى إدارات المخابرات تحاول إقناعهم بجدارتها بالعمل معهم..مثل مارجريت هاريسون..

وهناك من تدخل ذلك العالم مكرهة، خشية الفضيحة، أو استغلال نقطة ضعف، أو نقطة سوداء في تاريخها.. ولعل باندا ابنة (ماتا هاري) هي خير مثال على هذا، فقد التقطها اليابانيون، وهددوها بكشف حقيقتها، واعتقالها، فلم يكن أمامها بد من العمل معهم..

وهناك من تجد نفسها بين فكي الرحى، محاصرة بأجهزة المخابرات المختلفة، وتختلط لديها النوازع والمبررات فتنساق في لعبة مخابرات تكون ضحيتها في النهاية.. وهنا تحضرنا مأساة المطربة أسمهان..

هذه الأسباب، هي بالطبع بخلاف النساء اللاتي يتقدمن لمدارس المخابرات، ويتخرجن ليلتحقن بأجهزة مخابرات دولهن، أو المدنيات اللاتي يستعين بهن الجهاز، فهؤلاء يقمن بوظيفتهن، وعادة ما يكون عملهن سريا لا يدرى عنه أحد شيئا..

تتعدد الأسباب، والمقدمات، وتبقى النتائج واحدة، فلن تستغني أجهزة المخابرات عن ذلك الكائن الرقيق الجميل..

المرأة..

الجاسوسة..

القسم الثاني

من أشهر وأخطر الجاسوسات

1

الفصل الأول

جاسوسات من التاريخ

دليلة.. جاسوسة في الكتاب المقدس



لوحة شمشون و دليلة للفنان فرانسيسكو مورون

دليلة.. جاسوسة في الكتاب المقدس..

دليلة هي فتاة فلسطينية من نبلاء القوم، جندها قومها للحصول على أهم أسرار العدو في مرحلة حرجة من مراحل الصراع بين الفلسطينيين وبني إسرائيل في تلك الفترة الغابرة من الزمان..

وردت قصة دليلة في كتاب اليهود المقدس (التوراة)، وبالتحديد في سفر القضاة، في الإصحاحات من ١٣ إلى ١٦، وتدور أحداث القصة في فترة التيه التي عاشها بنو إسرائيل بعد وفاة موسى (عليه السلام)، فقد عادوا للشرور والآثام فعاقبهم الرب وسلط عليهم الفلسطينيين يسومونهم سوء العذاب، وفي تلك الفترة عاش رجل من قبيلة دان من بني إسرائيل يدعى)مَنوح)، وكانت امرأته عاقراً لا تلد. وبينما كانت تبتهل إلى الله بأن يرزقها بالولد الصالح نزلت عليها البشرى. كما يحكي كتابهم المقدس. وبشرها المَلاك الذي تصور لها في صورة بشر بأنها ستلد ولداً لا يحلق شعره، لأن في شعره قوته وانه يكون نذيراً لله يخلص بني إسرائيل من أيدي الفلسطينيين (أو الفلسطيِّين كما يذكر كتابهم) وأمرها أن لا تشرب الخمر أو المسكر ولا تأكل شيئاً مما حرمته الشريعة (شريعتهم).

ففرحت المرأة فرحاً عظيماً وبشرت بذلك زوجها. فصلى زوجها لربه ودعاه وابتهل إليه أن يعيد إليه الرجل (ولم يكن يعلم أنه ملاك) ليخبرهما عما يصنعان بهذا الولد إن رُزقا به. فجاء الملاك ثانية للمرأة وهي في الحقل ولم يكن زوجها معها. فأتته مسرعة تبشره بقدوم الرجل الذي بشرها بالولد. فقام واتبعها وجاء إلى الملاك وسأله : هل أنت الرجل الذي تكلم مع امرأتي ؟ فأجاب : أنا هو. فقال مَنوحُ : والآن إذا تحقق قولك، فكيف يجب أن نصنع بالصبي ؟ فقال له الملاك : لتمتنع امرأتك عن كل ما قلت لها أن تمتنع عنه فلا تذق ما يخرج من الكرمة ولا تشرب خمراً ولا مسكر ولا تأكل شيئاً مما حرمته الشريعة. فقال له مَنوحُ الذي فرح للبشرى : لتبقى حتى نذبح لك جدياً من المعز. فقال له : حتى لو

ابقيتني فلا آكل خبزك أما إذا شئت أن تقدم قرباناً فقدمه للرب. فأخذ مَنوحُ جدياً من الماعز وقدمه قرباناً لربه على صخرة عالية، فنزلت النار وأخذت القربان وهو وزوجته ينظران بينما كان الملاك يرتفع إلى السماء، فعلم مَنوحُ أنه ملاك وخرَّ هو وزوجته على الأرض خوفاً.

وحملت المرأة ومرت الأيام وولدت الطفل النذير وأسمته (شمشون)، وبارك الله فيه وملأه قوة. ونشأ الصبي شمشون حتى بلغ مبلغ الرجال، فنزل قرية يقال لها تِمْنَة، فأعجبته امرأة من بنات الفلسطينيين، فصعد إلى قريته وطلب من أبيه وأمه أن يزوجوها له، فقال له أبوه : ألم تجد في شعبك كله من تصلح للزواج ؟ لكن شمشون أصر. وتقول الحكاية إن حبه للمرأة كان تدبيراً من الرب ليكون ذلك سبباً في محاربته للفلسطينيين الذين كانوا آنذاك متسلطين على بني إسرائيل. فلم يجدا أمامهما إلا الإذعان لرغبته. وبينما هم في طريقهم إلى تِمْنَةٌ، اعترضه شبل أسد وزأر في وجهه فما كان منه إلا أن هجم عليه وفسخه كما لو كان جدياً، دون أن يستخدم سلاحاً، فقد كان قوياً جداً. ولم يخبر أباه وأمه بما فعل ومضى في طريقه. وحين كلم المرأة أعجبته، ورجع إليها بعد أيام ليتزوجها، فمرَّ على المكان الذي صرع فيه الأسد فوجد في جوفه عسلاً وسرباً من النحل، فأخذ منه على كفيه ومضى وهو يأكله وجاء إلى أبيه وأمه وأعطاهما منه فأكلا ولم يخبرهما بأنه أخذ العسل من جوف الأسد.

ونزلوا جميعاً إلى المرأة الفلسطينية وهناك أقام شمشون وليمة لسبعة أيام.

ورآه الفلسطينيون فخافوا منه فأرسلوا له ثلاثين رجلاً ليلازموه. فقال لهم شمشون : سألقي عليكم لغزاً فإذا حللتموه قبل أن تنتهي الأيام السبعة للوليمة أعطيتكم ثلاثين قميصاً وثلاثين حلَّةً من الثياب وإن لم تقدروا فاعطوني ثلاثين قميصاً وثلاثين حلَّةً من الثياب. فقالوا : هات لغزك لنسمعه. فقال لهم خرج من الآكل أكلٌ ومن القوي حلاوةٌ. وبقي القوم ثلاثة أيام عاجزين عن حل اللغز. فذهبوا إلى زوجته وطلبوا منها أن تخادعه حتى يحل لهم اللغز وإلا أحرقوها مع أهلها بالنار. فبكت المرأة لدى شمشون وترجته أن يحل لها اللغز وضغطت عليه إلى أن قال لها الحل، فجاءوه قبل غروب شمس اليوم السابع

وقالوا له : أي شيء أحلى من العسل وأي شيء أقوى من الأسد ؟. فعلم أن زوجته سريت لهم الحل فغضب غضباً شديداً، فنزل إلى بلدة أشقلون الفلسطينية، وقتل من الفلسطينيين ثلاثين رجلاً وأخذ ثيابهم وأعطاها لكاشفي اللغز، وعاد إلى أبيه غاضباً وأخبره أنه كره زوجته لما فعلت. فارتكب أبوها خطأ جسيماً بأن زوجها لشخص آخر. ولم يعلم شمشون بذلك إلا حين زار امرأته في وقت الحصاد وحمل إليها جَدْياً من الماعز وقال لأبيها : أريد أن أدخل على امرأتي في غرفتها. لكن أباها منعه من ذلك وأخبره أنه لما بغضها، زوَّجها من صاحبه. وعرض عليه أن يتزوج من أختها الصغرى بدلاً منها. لكن شمشون غضب وأصر على الانتقام من الفلسطينيين وقال : أنا بريء منهم إذا أنزلت بهم شرّاً.

وذهب شمشون واصطاد ثلاثمائة ثعلب وربط كل اثنين منها من ذيليهما وأخذ المشاعل ووضع بين كل ذيلين مشعلاً وأوقد المشاعل، فانطلقت الثعالب في زرع الفلسطينيين فأحرقته عن آخره ودمرت مزارع الزيتون. وسأل الفلسطينيون : من فعل هذا ؟ فقالوا : شمشون صهر الرجل الذي من تِمنَةَ، لأن هذا الرجل أخذ زوجة شمشون وأعطاها لصاحبه. فاجتمع الفلسطينيون وأحرقوا المرأة وأباها بالنار. فقال لهم شمشون : حتى لو فعلتم ذلك فلن أكف عنكم حتى أنتقم منكم. وهاجمهم بعنف وأنزل بهم الهزيمة، ثم نزل وأقام بمغارة في بلدة سَلْعِ عَيطَمَ فصعد الفلسطينيون، وخيموا في أرض يهوذا وهجموا على قراها. فسألهم رجالها : لماذا صعدتم لمحاربتنا ؟ فأجابوهم : صعدنا لنقبض على شمشون وتفعل به كما فعل بنا. فذهب ثلاثة آلاف رجل من يهوذا إلى شمشون وطالبوه بتسليم نفسه للفلسطينيين تجنباً لانتقامهم فأسلم نفسه لهم بعد أن أخذ عهدهم بأن لا يقتلوه. ولما وصل لبلدة لَحي التي خيَّم فيها الفلسطينيون قابلوه بالصياح، فغضب وانحلت مواثيقه وذابت الحِبال في يده. وأخذ شمشون فك حمار ميت وقاتل به الفلسطينيين حتى قتل منهم ألف رجل. وقال لمن بقي منهم : قتلت منكم ألف رجل بفك حمار فاجتنبوني. ثم رمى بالفك وأطلق على ذلك المكان اسم رَمَتَ لَحي. وفجأة أحس بالعطش فدعا ربه وقال : منحت عبدك هذا الخلاص العظيم والآنَ ها أنا أهلك عطشاً وأقع في أيدي الفلسطينيين. فانشقت صخرة هناك في

بلدة لَحي وخرجت منها مياه. فشرب ورجعت إليه روحه وانتعش. ولازالت هذه العين موجودة إلى الآن وتدعى عَينَ هَقوري.

. وبقي شمشون يقضي بين بني إسرائيل فيما اختلفوا فيه لمدة عشرين سنة. بعد ذلك نزل شمشون إلى غزة فصادف هناك امرأة بغياً فدخل عليها. فقيل لأهل غزة : شمشون هنا. فأحاطوا بالمكان وكمنوا له الليل كله عند باب المدينة وقالوا : عند الصبح نقتله. فنام شمشون إلى نصف الليل ثم قام فخلع مصراعي باب المدينة بقائمتيه، وقلع الباب وحمله على كتفه وصعد إلى رأس الجبل قبالة حبرونَ. وبعد ذلك أحب شمشون امرأة من وادي سورَقَ تدعى دليلة. فصعد إليها زعماء الفلسطينيين وقالوا لها : خادعيه إلى أن تعرفي سرَّ قوته فنقتله ويدفع لك كل واحد منا ألفاً ومائة من الفِضَّة. ولما كان شمشون قد أحبها من كل قلبه فلم يكن ليخفي عنها شيئا، أما هي فخانته وأسلمته للفلسطينيين.

لكنه في البداية خدعها حين سألته : أخبرني بماذا قوَّتُكَ العظيمةُ، وبماذا توثَقُ فتُغلَب؟ فقال : إذا أوثقوني بسبعة أوتار طرية لم تجف بعْد. فشدته بها وكمنوا له عند غرفته، فقالت له : هجم عليك الفلسطينيون يا شمشون. فقطع شمشون الأوتار كما يقطع خيط الكتان إن لامس النار. ولم يعرف الفلسطينيون سرَّ قوته.

فقالت له دليلة غاضبة : خدعتني وكذبت علي فأخبرني الآن بماذا تُوثَق ؟ فقال لها : إن أوثقوني بحبال جديدة لم تستعمل من قبل فإني أضعف وأصير كواحد من الناس. فأخذت دليلة حبالاً جديدة وأوثقته بها وقالت له : هجم عليك الفلسطينيون يا شمشون. وكان الكمين عندها مختبئاً في الغرفة. لكن شمشون قطع الحبال عن ذراعيه كما يقطع الخيط. فسألته دليلة : إلى متى تخدعني وتكذب علي فأخبرني بماذا توثق ؟ فقال : إذا نسجت الخصل السبع التي في رأسي بالنول وشددتها بالوتد فإني أضعف وأصير كواحد من الناس. وفيما هو نائم أخذت دليلة الخصل السبع في رأسه ونسجتها بالنول وشدتها إلى الوتد وقالت : هجم عليك الفلسطينيون يا شمشون. فأفاق من نومه وقلع وتد النسيج وما فيه.

فقالت له دليلة : كيف تقول أنك تحبني وأنت لا تثق بي وها أنت للمرة الثالثة تخدعني ولا تخبرني بماذا قوتك العظيمة؟ ولما كانت تضايقه بكلامها كل يوم وتلح عليه، ضاقت نفسه بها حتى الموت، وأطلعها أخيراً على سرّ قوته العظيمة وقال : لم يقص شعري يوماً لأني نذير الله من بطن أمي، فإن قص شعري فارقتني قوتي وضعفت وصرت كواحد من الناس.

وأحست دليلة أنه أخبرها بكل ما في قلبه، فأرسلت ودعت زعماء الفلسطينيين إليها ودعت رجلاً فحلق الخصل السبع في رأسه، وبدأت بتعذيبه بعد أن فارقته قوته وقالت له : هجم عليك الفلسطينيون يا شمشون، فأفاق من نومه وحسب أنه كما في السابق سينتفض في وجههم وينقذ نفسه. ولم يكن يعلم أن قوته قد فارقته، فقبض عليه الفلسطينيون وقلعوا عينيه واقتادوه إلى غزة وقيدوه بسلسلتين من نحاس وجعلوه يطحن في السجن. وهناك أخذ شعره ينمو من جديد

. وأحس زعماء الفلسطينيين أنهم انتصروا أخيراً على عدوهم فذبحوا ذبيحة عظيم وقدموها إلى إلههم وكانوا يعبدون صنماً يقال له داجون. ثم قالوا : هاتوا شمشون لنضحك عليه. فجاءوا بشمشون من السجن وضحكوا عليه وأقاموه بين الأعمدة. فقال شمشون للصبي الآخذ بيده : دعني الامس الأعمدة التي يقوم عليها هذا البيت حتى أتكيء عليها. وكان البيت يغص بالرجال والنساء، وكان هناك جميع زعماء الفلسطينيين وعلى السطح نحو ثلاثة آلاف من الرجال والنساء تجمعوا ليتفرجوا على شمشون ويضحكوا عليه. فدعا شمشون الرب وقال : يا سيدي اذكرني وشددني هذه المرة أيضاً يا إلهي لأنتقم لعيني من الفلسطينيين دفعة واحدة. ثم قبض على العمودين اللذين في الوسط القائم عليهما البيت وأخذ أحدهما بيمينه والآخر بشماله واتكأ عليهما وقال : علي وعلي الفلسطينيين ليسقط البيت. ودفع العمودين بشدة فسقط البيت على الزعماء وعلى جميع الناس الذين في البيت، فكان الموتى الذين قتلهم في موته أكثر من الذين قتلهم في حياته. ونزل إخوته وجميع أهل بيته فحملوه وصعدوا به، ودفنوه بين صَرعَةَ وأشتأولَ في قبر مَنوحَ أبيه، وكان تولى القضاء في بني إسرائيل عشرين سنة..

هذه هي القصة كما يقرؤها اليهود في كتابهم المقدس، وواضح فيها النزعة الأسطورية التي أخذها كُتّاب العهد المقدس من اليونانيين، فهي تذكرنا بالبطل اليوناني أخيل، بطل ملحمة الإلياذة، الذي عجز أعداؤه عن مصاولته حتى توصلوا لنقطة ضعفه، فقتلوه في المعركة، كانت نقطة ضعف أخيل في كاحله، بينما كانت نقطة ضعف شمشون في شعر رأسه، ولكن النهاية كانت واحدة.. كما أن الناقد للقصة يلحظ أن شمشون لم يقم بدور النذير الذي قيل إن الرب أرسله من أجله، وأنه كان بالمقياس الديني فاجرا، فقد ذكرت القصة كيف دخل على المرأة البغي، وزنى بها.. وأيا ما كانت مصداقية تلك الحكاية الأسطورية، أو كذبها ووضعها، فقد دخلت دليلة التاريخ البشري، كواحدة من أقدم "العميلات السريات" اللاتي استُخدمن في صراع عسكري طال بين الفلسطينيين، وبني إسرائيل، وكان المال هو الوسيلة المستخدمة في تجنيد دليلة والسيطرة عليها، ومن الواضح أنها كانت ذات جمال صنع مع الإلحاح سلاحا لا يقاوم، حتى ضعف شمشون وباح بالسر الذي فيه هلاكه..

إستير.. جاسوسة يحتفل اليهود بذكراها كل عام..



ضريح إستير ومردخاي في إيران

إستير.. جاسوسة يحتفل اليهود بذكراها كل عام..

في إطار الصراع السياسي والعسكري التاريخي بين الإمبراطوريتين : العراقية، والمصرية، على مناطق النفوذ والسيطرة، وقع ما يعرف في التاريخ بـ"السبي البابلي".. كان محور النزاع بين الامبراطوريتين الكبريين بلاد الشام وخاصة فلسطين، وفي تلك الأثناء ساند يهود المملكة الشمالية الجانب المصري. مما أثار حفيظة سنحاريب ملك آشور الذي صمم على إخضاع تلك المنطقة. فقام بحملة على المملكة الشمالية في عام٥٩٧ ق م ، فحطم هيكلها وشرد أهلها وأعمل القتل والسبى في أهلها، وأخذهم سبياً إلى آشور، وانتهى بذلك ذكر المملكة الشمالية..

وبقيت المملكة الجنوبية ردحا من الزمن، إلا أن عادة اليهود تغلبت عليهم فأثاروا الفتن والقلاقل ضد الحكم الكلداني في ذلك الوقت، فصمم نبوخذ نصرالكلداني في بابل في العراق القديمة على إخضاع تلك المنطقة بالكامل، فحاصر أورشاليم في عام ٥٨٦ ق م، ودمر هيكلها وسبى عددا كبيرا من اليهود، ومع هذا السبى انتهى أي وضع سياسى جغرافي لليهود في المنطقة، وقد تمت العودة لليهود إلي أرض فلسطين مرة أخرى بعد سقوط الدولة الكلدانية علي يد كورش الأكبر حاكم فارس في ذلك الوقت.. وفي هذا الإطار التاريخي كانت قصة إستير..

وردت قصة العميلة إستير في التوراة، حيث خصص لها سفر باسمها تقديرا للدور الذي قامت به في خدمة قومها في فترة السبي البابلي، وإن تم ذلك بالغدر والخديعة والإغراء.. فكل شيء مشروع لخدمة اليهود..

تبدأ قصة إستير ـ كما يروي سفر إستير ـ بالوليمة الباذخة التي أقامها الملك الفارسي أحشويرش لشعبه لمدة سبعة أيام، في حديقة قصره، في عاصمة ملكه، احتفاء باتساع ملكه وعظمته.. وفي الوقت نفسه أقامت زوجته رشتي

وليمة أخرى للنساء في القصر.. وفي ذلك الجو الأسطوري الأقرب لجو ألف ليلة وليلة، لعبت الخمر برأس الملك، حتى فقد اتزانه، فأمر خصيانه وخدمه : "أنْ يَأْتُوا بِالْمَلِكَةِ وَشْتِي لِتَمْثُلَ فِي حَضْرَتِهِ، وَعَلَى رَأْسِهَا تَاجُ الْمُلْكِ، لِيَرَى الْحَاضِرُونَ مِنَ الشَّعْبِ وَالْعُظَمَاءِ جَمَالَهَا، لأَنَّهَا كَانَتْ رَائِعَةَ الْفِتْنَةِ"..

كان طبيعيا أن ترفض الملكة هذا الأمر المهين، ولأن الخمر كانت قد أتت على ما بقي للملك من حكمة واتزان، فقد استشاط غضبا، وحين استشار حكماءه ومستشاريه ، أشار عليه أحدهم بنزع الملك من الملكة، وأن يبحث الملك عن زوجة أفضل، كيلا تكون رشتي قدوة لنساء المملكة في عصيان الأزواج والتمرد على أوامرهم..

وبعد أن عمل الملك بالمشورة كان عليه أن يبحث عن البديل لرشتي، وهنا جاءته النصيحة : لِيُجْرَ بَحْثٌ عَنْ فَتَيَاتٍ عَذَارَى بَارِعَاتِ الْجَمَالِ مِنْ أَجْلِ الْمَلِكِ. ٣وَلْيَعْهَدِ الْمَلِكُ إِلَى وُكَلاَئِهِ فِي كُلِّ أَرْجَاءِ مَمْلَكَتِهِ حَتَّى يَجْمَعُوا كُلَّ الْفَتَيَاتِ الْعَذَارَى الْفَاتِنَاتِ إِلَى جَنَاحِ الْحَرِيمِ فِي شُوشَنَ الْقَصْرِ، لِيَكُنَّ تَحْتَ إِشْرَافِ هَيْجَايَ خَصِيِّ الْمَلِكِ وَحَارِسِ النِّسَاءِ، حَيْثُ تُقَدَّمُ إِلَيْهِنَّ الدُّهُونُ الْمُعَطِّرَةُ. ٤وَالْفَتَاةُ الَّتِي تَرُوقُ لِلْمَلِكِ تُصْبِحُ مَلِكَةً مَحَلَّ وَشْتِي». فَاسْتَحْسَنَ الْمَلِكُ هَذَا الْكَلاَمَ وَعَمِلَ بِهِ

كان الحل أن تعرض عذارى المملكة الفاتنات على الملك (كما كان يفعل شهريار)، ومن تروقه منهم تصبح الملكة، ووسط هذا الجو الإباحي الخليع.يظهر موردخاي..

كان موردخاي من اليهود الذين سبوا في حملة نبوخذ نصر، وكان حظه أن يعمل في قصر الملك، وأن يتولى رعاية ابنة عمه إستير بعد أن مات أبواها، وأن يتبناها، وكالعادة كانت الفتاة رائعة الجمال، باهرة الحسن، جسدها سلاح لا يقاوم..

وجد موردخاي الفرصة سانحة لخدمة شعبه وكانت إستير الجميلة هي الوسيلة.. قدمها إلى الخصي المكلف بتقديم الفتيات للملك، بعد أن أوصاها أن تكتم أصلها وديانتها، فأعجب بها حارس النساء، ورآها جديرة بتقديمها للملك

فزينها وطيبها، وحين جاء دورها ودخلت على الملك أعجب بها، وجعلها زوجة وملكة..

استمر موردخاي في عمله، ينتظر الفرصة التي يستطيع بها التقرب من الملك، ليساعد ابنة عمه في السيطرة عليه، ودفعه لاتخاذ القرارات في صالح بني قومه.. وجاءت الفرصة بالفعل حين عرف مردخاى أن حارسى باب الملك يدبران مؤامرة لاغتياله، فأخبر أستير التى أخبرت الملك، الذي قام بالتحقيق واكتشف صحة بلاغ موردخاي، وكيلا ينسى الملك هذه الواقعة أشارت عليه إستير أن يسجلها فى كتاب أخبار الأيام الخاصة بملوك الفرس..

هنا يقفز على سطح القصة، الوزير هامان، الشخصية الفارسية الوطنية التي ستمثل الخطر الأكبر على إستير وموردخاي ومخططهما لخدمة اليهود..

ليبرر كتاب التوراة العداء الذي اشتعل بين هامان وموردخاي، يرجعون ذلك لرفض موردخاي السجود لهامان، كما كان يفعل خدم القصر وموظفوه، ولما علم هامان بيهودية موردخاي، قرر أن يعاقب الشعب اليهودي كله، وأن يأخذهم بذنب موردخاي..

استطاع هامان أن يستصدر أمرا من الملك بإبادة يهود المملكة، كان ذلك بعد أربع سنوات من تتويج إستير وكان طبيعيا أن تؤثر الكارثة في موردخاي وتدفعه للعمل السريع..: " ١وَلَمَّا عَلِمَ مُرْدَخَايُ كُلَّ مَا عُمِلَ، شَقَّ مُرْدَخَايُ ثِيَابَهُ وَلَبِسَ مِسْحًا بِرَمَادٍ وَخَرَجَ إلى وَسَطِ الْمَدِينَةِ وَصَرَخَ صَرْخَةً عَظِيمَةً مُرَّةً، ٢وَجَاءَ إلى قُدَّامِ بَابِ الْمَلِكِ، لأَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ أَحَدٌ بَابَ الْمَلِكِ وَهُوَ لاَبِسٌ مِسْحًا. ٣وَفِي كُلِّ كُورَةٍ حَيْثُمَا وَصَلَ إِلَيْهَا أَمْرُ الْمَلِكِ وَسُنَّتُهُ، كَانَتْ مَنَاحَةٌ عَظِيمَةٌ عِنْدَ الْيَهُودِ، وَصَوْمٌ وَبُكَاءٌ وَنَحِيبٌ. وَانْفَرَشَ مِسْحٌ وَرَمَادٌ لِكَثِيرِينَ.."..

بدأ موردخاي وإستير التخطيط للإنقاذ اليهود من المذبحة الموشكة، وكان على إستير الدور الأعظم في ذلك، فقد غرسها موردخاي في القصر الملكي لمثل هذا اليوم.وكان لابد أن تتحرك..

تزينت إستير وتجملت ودخلت على الملك ودعته لوليمة عندها في اليوم التالي،

على أن يصحب معه وزيره هامان. قبل الملك وأخبر وزيره الذي ملؤه الفخر بهذه الدعوة الخاصة من الملكة، وقرر أن يطلب من الملك في الوليمة أن يجيبه لصلب موردخاي، الذي كان مصرا على احتقار هامان وعدم السجود له..

تشاء الصدف أن يصيب الأرق الملك تلك الليلة فيدعو بسفر الأيام، وحين تأتي قصة موردخاي والمؤامرة التي أبلغ عنها ينتبه الملك إلى أنه لم يكافيء موردخاي المكافأة التي تليق بعمله هذا، فيستدعي الملك وزيره ويستشيره في المكافأة المناسبة لرجل خدم الملك، فيظن هامان أن الملك يقصده، فاقترح أقصى درجات التكريم: "إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي يُسَرُّ الْمَلِكُ بِأَنْ يُكْرِمَهُ ٨ يَأْتُونَ بِاللِّبَاسِ السُّلْطَانِيِّ الَّذِي يَلْبَسُهُ الْمَلِكُ، وَبِالْفَرَسِ الَّذِي يَرْكَبُهُ الْمَلِكُ، وَبِتَاجِ الْمُلْكِ الَّذِي يُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ، ٩وَيُدْفَعُ اللِّبَاسُ وَالْفَرَسُ لِرَجُل مِنْ رُؤَسَاءِ الْمَلِكِ الأَشْرَافِ، وَيُلْبِسُونَ الرَّجُلَ الَّذِي سُرَّ الْمَلِكُ بِأَنْ يُكْرِمَهُ وَيُرَكِّبُونَهُ عَلَى الْفَرَسِ فِي سَاحَةِ الْمَدِينَةِ، وَيُنَادُونَ قُدَّامَهُ: هكَذَا يُصْنَعُ لِلرَّجُلِ الَّذِي يُسَرُّ الْمَلِكُ بِأَنْ يُكْرِمَهُ». ١٠فَقَالَ الْمَلِكُ لِهَامَانَ: «أَسْرِعْ وَخُذِ اللِّبَاسَ وَالْفَرَسَ كَمَا تَكَلَّمْتَ، وَافْعَلْ هكَذَا لِمُرْدَخَايَ الْيَهُودِيِّ الْجَالِسِ فِي بَابِ الْمَلِكِ. لاَ يَسْقُطْ شَيْءٌ مِنْ جَمِيعِ مَا قُلْتَهُ». ١١فَأَخَذَ هَامَانُ اللِّبَاسَ وَالْفَرَسَ وَأَلْبَسَ مُرْدَخَايَ وَأَرْكَبَهُ فِي سَاحَةِ الْمَدِينَةِ، وَنَادَى قُدَّامَهُ: «هكَذَا يُصْنَعُ لِلرَّجُلِ الَّذِي يُسَرُّ الْمَلِكُ بِأَنْ يُكْرِمَهُ».

بعد هذا التكريم الملكي لموردخاي في ثياب الملك وعلى فرسه، وعلى رءوس الأشهاد، عاد هامان إلى بيته تملؤه الحسرة والغيظ..

وفي الوليمة التي أعدتها إستير للملك ووزيره، استطاعت أن تثير الملك على الوزير، وأن تجعله يأمر بصلبه على الخشبة التي كان هامان أعدها لصلب موردخاي، وورث موردخاي هامان.. أخذ ممتلكاته ومنصبه، وصلب أبناءه العشرة.. أما قرار إبادة اليهود فقد تحول لإذن باليهود بالانتقام من كل من يؤذيهم ويهدد وجودهم، فقتلوا عشرات الآلاف من أعدائهم.. وانتهت القصة نهاية سعيدة.. الأمان والسلام لليهود.. والملك لإستير.. والوزارة لمردخاي.. وما زال اليهود لليوم يعظمون إستير وموردخاي ويحتفلون بذكرى تلك القصة في مارس من كل عام..

حاملة الرسالة إلى مكة



صورة متخيلة لحاملة الرسالة

حاملة الرسالة إلى مكة

لم يخل تاريخنا العربي والإسلامي من قصص العيون والجواسيس، الذين خدموا الأمة، أو خدموا أعداءها، ولا شك أن قصور الخلفاء والأمراء والسلاطين لم تخل من النساء اللاتي مارسن تلك المهنة، وتم استخدامهن في صراعات ومعارك تلك الأيام، ولكنهن لم يسلط عليهن التاريخ ضوءه الكافي، كعادة العرب في الستر على أمور النساء، أو لأن ما فعلنه بقي خارج دائرة التسجيل التاريخي. وكأنهن لم يكن ولم يظهرن على ساحة الأحداث قط..

لقد ركز التاريخ مثلا على عيسى العوام، ذلك السباح المسلم( ) الذي كان يستغل مهارته في السباحة في نقل أخبار الصليبيين، والقيام بالعمليات السرية التي تفيد معسكر القائد صلاح الدين، ولكن التاريخ لم يسلط الضوء الكافي على زوجته التي كانت تجيد السباحة وتساعده في بعض مهامه..

وهكذا لم يقدم لنا التاريخ العربي والإسلامي الكثير في موضوع كتابنا هذا.. وقد اخترنا أن نقدم حاملة الرسالة كنموذج لنساء الجاسوسية في تاريخنا العربي والإسلامي..

لم يذكر التاريخ اسمها.. ربما لأن أهمية الرسالة التي كانت تحملها طغت على أهميتها هي، وربما لأن المؤرخين رأوا أنها أقل من أن تذكر مع ذلك العمل الشائن الذي كانت تنوي القيام به.. وعلى كل فقد دخلت التاريخ باعتبارها حاملة الرسالة إلى قريش..

في العام السادس من الهجرة النبوية عقد النبي (صلى الله عليه وسلم) صلح الحديبية الشهير مع أهل مكة، ومن ضمن البنود التي اتفق عليها عليها الطرفان، حرية قبائل العرب في التحالف مع المسلمين أو مع أهل مكة، فلا يعتدي أحد الطرفين على حلفاء الطرف الآخر، ووفق هذه المعاهدة دخلت قبيلة خزاعة في تحالف مع المسلمين، ودخل بنو بكر في عهد قريش، وكان من المفترض أن تستمر الهدنة بين المسلمين وكفار مكة عشر سنوات، ولكن بعد عامين خرق القرشيون

المعاهدة، واشتركوا مع بني بكر في العدوان على قبيلة خزاعة، إحياء لثأر قديم بين خزاعة وبني بكر، فأرسل الخزاعيون للنبي (صلى الله عليه وسلم) يستنجدون به.. فقرر (صلى الله عليه وسلم) فتح مكة.. بعد أن أخل أهلها باتفاقهم وغدروا بمسلمي خزاعة حلفاء النبي (صلى الله عليه وسلم).. ولخطورة القرار، ولرغبة النبي (صلى الله عليه وسلم) في مباغتة المكيين، لتحقيق نصر كامل بأقل الخسائر، فقد أخفى نيته عن رجال جيشه، كيلا يصل الخبر لمكة.. ورغم التوتر الذي ساد المدينة، وأمر النبي بالتجهز للخروج في غزوة كبرى، فقد بقيت وجهة الجيش في أضيق نطاق من الصحابة ومستشاري رسول الله (صلى الله عليه وسلم). وسارت الأمور على هذا النحو.. حتى نزل الوحي بالنبأ الخطير. فالخبر يوشك أن يصل لمكة في رسالة كتبها أحد المسلمين، وتحملها امرأة انطلقت في طريقها إلى قريش بالفعل..

فاستدعى النبي ثلاثة من أقوى فرسانه وكلفهم بمهمة اللحاق بالمرأة، ومنعها من توصيل الرسالة.. مهما استدعى الأمر..

فانطلق علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، والمقداد بن الأسود إلى المكان الذي حدده النبي (صلى الله عليه وسلم)، وهناك أدركوا المرأة، فأمروها أن تخرج الرسالة، فأنكرت، وقالت : ما معي من كتاب. فهددوها بتفتيشها وإخراجه عنوة، فأخرجته من بين ضفائرها، وكانت قد عقصت عليه شعرها، فعاد الفرسان الثلاثة بالرسالة وحاملتها، وأمرهم النبي (صلى الله عليه وسلم) بقراءة الرسالة، فوجدوا فيها تحذيرا من أحد الصحابة (اسمه حاطب بن أبي بلتعة) لشخصيات معينة من مشركي مكة، يخبرهم بالغزوة الوشيكة لينجو بأنفسهم وأموالهم. فأرسل النبي (صلى الله عليه وسلم) للصحابي فاعترف بأنه صاحب الرسالة، وأنه كتبها ليحملها له هؤلاء القوم، فيحمون أقاربه في مكة. فطلب عمر من رسول الله أن يأذن له بضرب عنق حاطب جزاء على خيانته، ولكن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أبى، مراعيا سابق جهاد الصحابي، وقال (صلى الله عليه وسلم) كلمته الشهيرة:

إنه شهد بدرا.. وما يدريك لعل الله ان يكون قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم؟

وفي الحديث عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) قال: «بعثني رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنا والزبير والمقداد بن الأسود، قال عليه السلام: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ (اسم مكان) فإن بها ظعينة (أي امرأة مرتحلة) ومعها كتاب فخذوه منها.

فانطلقنا بخيلنا حتى انتهينا إلى الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب! فقالت: ما معي من كتاب. فقلنا: لتخرجي الكتاب أو لتلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها (ضفائرها) فأتينا به وبها لرسول الله)صلى الله عليه وسلم) فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال رسول الله : ما هذا؟ قال حاطب: يارسول الله، لا تعجل علي، إني كنت ملصقا (تبعا) في قريش، ولم أكن من أنْفَسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات في مكة يحمون بها أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، فقال الرسول (صلى الله عليه وسلم): لقد صدقكم. وقال عمر بن الخطاب - وقد كان حاضرا المجلس - يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): إنه شهد بدرا، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم"..

2

الفصل الثانى

جاسوسات عالميات

إيماس إدموندس.. أجرأ جاسوسة فى التاريخ..



من الحرب الأهلية الأمريكية

إيماس إدموندس.. أجرأ جاسوسة في التاريخ..

تستمد قصة حياة إيما أهميتها من عدة اعتبارات:

فقد ظهرت في فترة - منتصف القرن التاسع عشر - كان يُنظر فيها للمرأة نظرة محافظة تقليدية، ترى أن مكانها الوحيد هو المنزل، زوجة وفية، ومربية متفانية لأطفالها، وخادمة لأسرتها.. وقد استطاعت إيما بجرأتها وذكائها أن تكسر هذه النمطية وتجبر الجميع على احترامها.. وأن تفتح باب المغامرات وخدمة الوطن لمن تريد..

الاعتبار الثاني، أن إيما ظهرت في فترة الحرب الأهلية التي كانت تهدد وحدة الولايات المتحدة وكيانها الناشيء، لذا بادرت الآنسة إيما بالتطوع لخدمة قضيتها الوطنية، فقدمت بذلك المثل لكل وطني، فعلى خلاف أغلبية من يقتحمون عالم الجاسوسية لم يكن المال أو الجنس هو الدافع أو السبب لعملهم كعملاء سريين وجواسيس، فلم تعمل إيما من أجل المال، كما لم يعرف عنها طوال حياتها علاقة عاطفية واحدة..

الاعتبار الثالث أن الفتاة الجريئة كانت تتحرك على نحو ارتجالي مبتكر في كثير من عملياتها، وكانت تتصرف بوحي غريزتها وحاستها، كانت بارعة في انتحال شخصيات الرجال المحاربين والعاملين في خدمة الجيوش، حتى إنها قضت عامين تنتحل شخصية ممرض في جيش أعدائها، دون أن ينكشف أمرها!! وقد نجحت في تحقيق العديد من العمليات المبهرة بهذه الموهبة العجيبة..

والأهم من ذلك كله أن الفتاة إيما إدموندس قضت نحبها في واحدة من عملياتها.. فضلت أن تموت على أن ينكشف أمرها ولو باحتمال ضئيل.. لذا استحقت مكانتها الخاصة التي تبوأتها في ذلك العالم الغامض المبهر..

جاءت "إيما" إلى الولايات المتحدة من "نيو برانز ويك" في "كندا" (مسقط رأسها) عام ١٨٥٦م، لتعمل خلف خطوط الحلفاء، أثناء الحرب الأهلية الأمريكية.. فعندما بدأت الحرب الأهلية حملت اسم "فرانك تومبسون"، وكانت

بدايتها شديدة الجرأة، إذ انتحلت شخصية رجل، وتطوعت للعمل كممرض ذكر في الجيش الاتحادي، لفترة ليست بالقصيرة، دون أن ينكشف أمرها، على الرغم من إقامتها التامة، وسط جنود الجيش، طوال تلك الفترة..

ولقد حضرت "إيما" المعركة الأولى، بين قوات الحلفاء والولايات المتحدة، وهي معركة (صويع ؤوف) " جري الثيران"، وكانت معركة عنيفة، وبعد أن قضت عامين في دور الممرض، دون أن ينكشف أمرها، ذهبت "إيما" إلى المسئولين بإرادتها، وكشفت لهم أمرها، فأصابهم ذهول شديد، تضاعف عندما روت قصتها، ثم قفز إلى الذروة، عندما أعلنت هدفها الحقيقي، من وراء هذا..

فمع براعتها المذهلة، في فن التنكر والتقمّص، عرضت عليهم "إيما" أن تتطوّع للعمل كجاسوسة، خلف خطوط الحلفاء...

وعلى الرغم من غرابة الفكرة، أو ربما لغرابتها نفسها، وافق المسئولون على مطلبها، وأصبحت "إيما" بالفعل جاسوسة فريدة من نوعها، في ذلك الزمن...

ولقد أثبتت "إيما" أنها تستحق ما حصلت عليه بالفعل، بل ولن نبالغ، لو قلنا: إنها قد أبهرت المسئولين إبهاراً، وخاصة عندما صبغت جلدها، وتنكرت كشاب أسود، وارتدت باروكة شعر؛ للعبور إلى الخطوط الأمامية، بالقرب من "يورك تاون"..

وكانت مهمة يخشاها أشجع الرجال..

ولكن "إيما" أدتها بجرأة ومهارة مذهلين..

فعلى الرغم من تظاهرها بأنها رجل أسود حر، إلا أن المشرف حين رآها كلفها العمل في حصون الحلفاء، وبعد يوم واحد، من العمل الشاق، استطاعت أن ترسم "اسكتش" دقيقاً للحصون، وتحصي المعدات الموجودة بها...

في اليوم التالي كانت تحمل الماء للعمال والطعام للقوات، وعلى الرغم من كونها تحت المراقبة، عندما عملت كـ"خفير درك"، إلا أنها أفلتت من كل ما حولها، واستطاعت في ليلة ممطرة أن تتراجع للخطوط الأمريكية، حاملة معها بندقية من بندقيات الحلفاء كتذكار...

وكان هذا أحد أهم ما تحرص عليه، في كل مهمة...

التذكارات..

ولقد كاد هذا يكتب نهايتها يوماً..

وبمنتهى العنف.

ويعتبر المؤرخون أن الجاسوسة الأمريكية، كندية المولد (إيما س. إدموندس)، واحدة ممن كتبن، بجرأتهن وشجاعتهن ونجاحهن، الوثيقة الأولى لعمل النساء) رسمياً)، في عالم الجاسوسية...

ولقد أثبتت هذا بجدارة، في مهمتها الأولى..

فعلى الرغم من قصر المدة، التي قضتها (إيما)، وراء خطوط الحلفاء -ثلاثة أيام- إلا أنها عادت بمعلومات عسكرية مهمة، كان لها الفضل الأوّل، في معظم ما أعقبها من انتصارات..

وكانت هذه مجرد بداية...

فخلال الأشهر التالية، استطاعت (إيما) بنجاح أن تنجز إحدى عشرة مهمة أخرى، خلف خطوط الحلفاء، دون أن يتم كشفها..

وكان لبراعتها المدهشة، في التنكر والتقمص، الفضل الأوّل، في كل ما حققته من نجاحات، في عالم الجاسوسية المدهش..

ففي إحدي المرات ذهبت على هيئة بائعة جائلة أيرلندية، ولم تكتفِ بالحصول على أسرار ومعلومات الخصم فحسب، وإنما حقّقت ربحاً مادياً وفيراً أيضاً..

وفي تلك المرة، وبعد أن أنجزت مهمتها، سعت (إيما) للحصول على تذكار كعادتها، كما لو أنها في رحلة سياحية طريفة، وليست في مهمة، تحمل الموت في طياتها؛ لو انكشف أمرها...

ولأنها كانت تعشق المخاطرة والمغامرة، قرّرت (إيما) أن يكون تذكارها، في تلك المرة، هو أزرار الزي العسكري لقائد المعسكر..

وفي سبيل هذا، تسللت (إيما) في ظلام الليل، إلى حجرة القائد، ونزعت الأزرار بالفعل، وقبل أن تغادر، فوجئت بالقائد أمامها، يسألها في غضب هادر، عن سر تواجدها في حجرته، في تلك الساعة المتأخرة من الليل..

والمدهش أن (إيما) لم ترتبك أو تتوتر، بل حافظت على تماسكها واتزانها، واصطنعت البكاء في حرارة، وهي تدعي غرامها بالقائد، وتسللها إلى حجرته لرؤيته، بعد أن غلبها الشوق إليه..

وانبهر القائد بعواطفها الجياشة، وطيب خاطرها، وأخبرها في حماس أنه رهن إشارتها، ثم أوصلها بنفسه إلى باب حجرته، التي غادرتها حاملة أزراره الذهبية، التي لم يكشف ضياعها، مع خدعة (إيما)، إلا في اليوم التالي، وعندما أصبحت هي على الجانب الآخر بالفعل..

ويقول مؤرخو عالم الجاسوسية: إن (إيما) كانت لها شجاعة عشرة رجال، وبراعة مائة خبير، وإقدام جيش كامل، وعلى الرغم من هذا، فقد كانت في تعاملاتها العادية بسيطة هادئة، تبتسم دوماً في وداعة، وتتحدّث برقة، حتى ليخيّل لك أنها مجرّد ربة منزل بسيطة، لا تميل إلى مغادرة بيتها إلا لمامًا...

وربما لهذا يعود نجاحها المدهش، في كل عملية قامت بها، إذ كان وجهها يبعث على الثقة والارتياح، سواء تنكّرت في هيئة امرأة أو رجل، مما يستحيل معه أن تشك في أمرها لحظة واحدة..

ففي ذات مرة، تنكرت في شكل كاتب حسابات للبضائع المجففة. وزارت عدداً من معسكرات الأعداء، وتجوّلت بينهم في حرية، وشاركتهم الطعام والشراب، بل وعقدت العديد من الصداقات معهم، حتى إن أحدهم وصفها بأنها الشخص الوحيد، الذي يمكنه أن يفتح له قلبه، ويمنحه ثقته بلا حدود...

وحتى عندما فارقتهم (إيما)، حاملة أدق أسرارهم، لم يراودهم الشك في أمرها قط، وإنما تصوّروا أن صديقهم يتبع عمله، أينما دعته الحاجة..

ولم تكن هذه أكثر عمليات (إيما) جرأة في الواقع؛ فقد كانت هناك عملية أخرى..

عملية بلغت فيها جرأتها ذروتها..

وفي تاريخ "إيما" يتوقف المؤرخون كثيراً، عند عمليتها الأخيرة، التي بلغت فيها جرأتها ذروتها، وكأنها تختار خير ختام، لتاريخها الحافل الطويل..

ففي تلك العملية، علمت "إيما" بوفاة جندي شاب في معسكر الأعداء، فما كان منها إلا أن تنكّرت في هيئة شاب، وذهبت إلى معسكر الأعداء، باعتبارها الصديق الوفي الحزين لمصرع صديقه الوحيد.

وبعد أن تلقت "إيما" العزاء، فيمن يفترض أنه صديقها، أبدت غضبها مع حزنها، وعرضت الانخراط في صفوف الجيش؛ للانتقام ممن قتلوه..

وبطبيعة الحال، جرف الحماس الجميع، وتم قبول طلبها، وأصبحت "إيما" جندياً، في صفوف الأعداء.

وهل يمكنك أن تتخيل كم المعلومات، الذي يمكن أن تحصل عليه من قلب العدو مباشرة؟؟!!..

الأكثر جراة، أن "إيما" كانت تتسلل إلى صفوفها الأصلية مرة كل أسبوع على الأقل لتنقل كل ما لديها من أسرار ومعلومات وهي في هيئة امرأة، ثم تعود مرة أخرى إلى الأعداء في هيئة جندي مخلص.

ولم تفصح "إيما" أبداً عن الوسائل التي تتبعها في الخروج والدخول بكل هذه البساطة في زمن الحرب، حتى إن بعض المؤرخين شكوا في كونها جاسوسة مزدوجة تعمل لحساب الجانبين في وقت واحد!!.

ولكن هذا الاعتقاد ينتفي تماماً، مع الوسيلة؛ التي ماتت بها "إيما"... فطوال الوقت، كان يتوقع الجميع أن تلقى "إيما" مصرعها في ساحة القتال، أو أن يتم الإيقاع بها وإعدامها إلا أنها حتى في هذا، فاجأت "إيما" الجميع.

فأثناء انتحالها شخصية الجندي، وربما لتنقلاتها المتواصلة، أصيبت "إيما" بحمى الملاريا، التي اشتدت عليها بسبب رفضها العلاج، خشية كشف حقيقة جنسها، ثم لم تلبث أن قامت برحلتها الأخيرة بين الجانبين متحاملة على نفسها لتموت في هدوء شاحبة نحيلة على فراش المرض.

وطوال حياتها، لم تعرف لـ"إيما" علاقة عاطفية واحدة، ولم تمنحها حياتها غير المستقرة فرصة للزواج أبداً.

ولكنها كانت – ولا تزال – تحمل اسما لامعا في عالم الجاسوسية..

الشقيقتان مور.. جاسوسية عائلية



من الحرب الأهلية الأمريكية

الشقيقتان مور.. جاسوسية عائلية

دارت قصة الشقيقتين جين ولوتي مور في الإطار نفسه الذي دارت فيه قصة إيما إدموندس، وفي الفترة الزمنية ذاتها: فترة الحرب الأهلية الأمريكية في القرن التاسع عشر، وإن اختلف الولاء، فبينما كان ولاء إدموندس لقوات الشمال، كان ولاء الشقيقتين لحلفاء الجنوب..

وكما كانت إيما إدموندس استثناءً من الظروف التي كانت تحياها النساء في ذلك الزمن، كذلك كانت الشقيقتان جيني ولوتي مور استثناء، ونموذجا للنساء اللائي يشاركن في القضايا الكبرى لمجتمعهن في حقبة كان ينظر فيها للنساء، وكأنهن جزء من ديكورات المنازل، إنهما شقيقتان كسرتا القيود الاجتماعية ووظفتا قدراتهما، واستثمرتا دهاء المرأة في اختراق صفوف الأعداء خلال الحرب الأهلية الأمريكية بين ولايات الشمال والجنوب، ومع ذلك لم ينكشف أمرهما.

ولدت الشقيقتان جيني ولوتي لطبيب يعيش في ولاية فيرجينيا بالولايات المتحدة، إلا أن الأسرة انتقلت إلى أكسفورد بولاية أوهايو والبنتان صغيرتان في السن، وقد تعرفت لوتي على شاب وسيم وثري من ولاية أنديانا يدعى أمبروز بيرنسايد، ويروى إنها هربت معه كي يتزوجا، إلا أنها عدلت عن ذلك قبيل عقد القران بلحظات، ويقال أيضاً إن الشقيقتين كانتا متقلبتي المزاج ولهما باع طويل في التنقل بين الصدقاء والمعجبين، وقد اقترنت لوتي في نهاية المطاف بجار العائلة جيم كلارك، الذي أصبح القاضي كلارك بعد فترة وجيزة من الزواج.

أرسلت العائلة الشقيقة جيني لتعيش مع عائلة كلارك بعد أن رفضت مواصلة دراستها بكلية أكسفورد للنساء في الستينيات من القرن التاسع عشر، وكانت عائلة كلارك تؤيد قوات الجنوب، وكذلك كانت الشقيقتان، وكان القاضي كلارك عنصراً نشطاً في جمعية "فرسان الدائرة الذهبية" السرية التي أسستها القوات المتحالفة، ولم يكن مستغرباً أن يزور حَمَلة الرسائل السريون منزل العائلة، وذات

يوم طرق الباب واحد من هؤلاء وهو يحمل رسائل تتضمن معلومات شديدة السرية، كان يجب أن تصل إلى الجنرال إدموند كيربي سميث أحد كبار قادة القوات المتحالفة في ولاية كنتاكي.

تطوعت الزوجة لوتي بنقل الرسالة، وهكذا كانت خطوتها الأولى في عالم الجاسوسية..

تخفت لوتي في هيئة امرأة عجوز، واتجهت نحو ليكسينجتون في كنتاكي مستخدمة قارباً صغيراً، ومن حسن طالعها أنها التقت الكولونيل توماس سكوت، أحد قادة قوات الجنوب وسلمته الوثائق السرية كي يحملها إلى الجنرال كيربي سميث، وركبت لوتي القطار عائدة إلى منزل العائلة، بعد أن استغلت مهارتها في التمثيل في إقناع ضابط كبير من القوات المعادية بمساعدتها.

وبعد النجاح الذي حققته في مجال التجسس، تلقت لوتي أمراً بتسليم مؤيدي القوات الاتحادية في كندا رسالة سرية، فقامت بتزوير مستندات تؤكد أنها من رعايا بريطانيا، وسافرت إلى واشنطن حيث التقت كبار المسئولين في إدارة القوات المعادية، وأقنعتهم بضرورة منحها تصريحاً بزيارة ولاية فرجينيا لتلقي العلاج، وبالفعل قامت لوتي بتسليم الرسالة السرية وعادت إلى ولاية أوهايو.

وفي هذه الأثناء كانت الشقيقة جيني في مدينة ممفيس مع أمها، التي انتقلت إلى المدينة بعد رحيل الأب عن الحياة، وكانتا تقومان برعاية الجرحى في الوقت الذي اقتربت فيه قوات اليانكي من المدينة، وقد دأبت جيني على التنقل من المدينة إلى مقر القوات الاتحادية لنقل المعلومات السرية وحمل الإمدادات الطبية، وكانت تشق صفوف الأعداء، وبينما كانت في مدينة جاكسون ميسيسيبي، علمت جيني أن هناك معلومات مهمة يتوجب نقلها إلى جمعية فرسان الدائرة الذهبية في مدينة أوهايو.

أصرت جيني على نقل المعلومات، وأصرت أمها على مرافقتها، وكانت القوات المعادية قد بدأت تشك في وجود جاسوسات بين صفوفها.. مضت جيني وأمها في المهمة رغم كل شيء، وأوصلتا المعلومات دون أن يتعرضا لأي أذى، ودون أن

يتم اكتشاف أمرهما.. وعند مغادرتهما أوهايو، وبينما هما داخل غرفتهما بالمركب، دخل عليهما ضابط من قوات اليانكي، وطلب تفتيش الغرفة. وفجأة أخرجت جيني المسدس الذي كانت تحمله ووجهته نحو الضابط وهي تصرخ: "أنا صديقة الجنرال بيرنسايد".. وغادر الضابط الغرفة، وبعدها ابتلعت جيني أهم المعلومات التي كانت تحملها..

وبعد أن وضعت الحرب أوزارها عادت لوتي إلى مدينتها واشتغلت بالصحافة، بينما تنقلت جيني، المسكونة بحب التجوال والتنقل، وحطت بهوليوود، وقامت بأداء دورين سينمائيين في فيلمي "الراقصة الإسبانية" و"روبن هود"، اللذين تم عرضهما في العشرينيات من القرن الماضي، ومن هناك اتجهت نحو نيويورك وسكنت قرية جرينتش حتى وافتها المنية عن عمر ناهز الثمانين.

كرستين جرنفيل.. لهذا لقبها تشرشل بـ "الأميرة"..



كرستين..ابتسامة ساحرة

كرستين جرنفيل.. لهذا لقبها تشرشل بـ"الأميرة"..

كانت شجاعتها لا تقل عن جمالها، وقد اختارت أن تكون مغامراتها مع البوليس السري النازي، الذي كان يعد أحد أعتى المؤسسات الاستخبارية في العالم في تلك الحقبة.. إنها البولندية كرستين جرنفيل..

ولدت كرستين في العاصمة البولندية وارسو من أب ينحدر من إحدى العائلات البولندية الأرستقراطية ، وكانت أمها - ستيفاني جولدفيدر . ابنة أحد الشخصيات اليهودية البارزة في قطاع البنوك.

تربت كرستين في كنف عائلة ثرية، واعتادت حياة الرفاهية الي أن فقد والدها الكثير من الأموال بسبب إفراطه في الملذات مما جعلها تقرر الزواج بسن مبكرة، لتجد من يعوضها ويكفل لها نفس المستوى الاجتماعي الذي اعتادته، غير أن ارتباطها من رجل أعمال وهي ما تزال في سن الثانية والعشرين لم يكن ناجحاً، إذ سرعان ما انفصلت عنه وعادت في عام ١٩٣٨ وتزوجت من الكاتب البولندي جيرزي جيزيزك، وكان الزوجان يعيشان في شرق إفريقيا عندما غزت ألمانيا بلادهما بولندا في سبتمبر ١٩٣٩، مما جعل كرستين تعود مباشرة إلى أوروبا، وعندما وصلت إلى لندن عرضت خدماتها في القتال ضد الألمان.

ومن جانبهم أبدى البريطانيون اهتماماً قليلاً بها، لكنها في النهاية كسبت الجولة بفضل ما أسمته بـ" الاتصالات" . وتلقت كرستين تدريباً شاقاً في مجال التجسس فضلاً عن تدريبها علي القتال الأعزل علي يد كيم فلبي، الذي أصبح فيما بعد جاسوس الحرب الباردة.

وسرعان ما أرسلت الي هنغاريا (المجر) ومن ثم تسللت الي بولندا . وقد حاولت جاهدة إقناع والدتها بمغادرة البلاد لكن من دون جدوى، غير أن رحلتها لم تكن بلا فائدة حيث استطاعت أن تساعد في تهريب بنادق مضادة للدبابات. وأثناء عودتها الي هنغاريا تأثرت كثيراً بضابط الجيش البولندي أندرزج كورسكي الذي كان منهمكا بالعمل الاستخباري، ووقعت في هواه، ورغم اعتقالهما من قبل

الجستابو في يناير ١٩٤١ فقد أطلق سراحهما بعد أن تظاهرا بإصابتهما بحمى الدرن !!

واستطاعت كرستين وحبيبها أن يفرا من البلاد عبر البلقان الي تركيا. وقد صعق زوجها جيرزي جيزيزك عندما أخبرته أنها تحب اندرزج كورسكي، ولم يحتمل الزوج ذلك الأمر الذي جعله يغادر إلى لندن ثم يهاجر الي كندا، ليتما إجراءات الطلاق بعد انتهاء الحرب..

وفي عام ١٩٤٤ أسند لها منصب في القسم الفرنسي في إدارة العمليات الخاصة وقد استخدمت لأول مرة اسم كرستين جرنفيل، وتركت بصماتها من خلال العمل هناك بحيث إنها نالت إعجاب فيرا آتكنس - مساعد مدير إدارة العمليات الخاصة - الذي وصفها بأنها امرأة شجاعة جدا.

وقد اختيرت كرستين لتحل محل أحد العملاء الذين أعدمهم البوليس السري النازي، وأنزلت بواسطة المظلة في جنوب شرق فرنسا في ٦ يوليو ١٩٤٤ ، وقد أصبحت جزءاً من شبكة شهيرة يديرها العميل البلجيكي فرانسز كامريتس..

ومن القصص التي تروى عن شجاعتها وجراتها، أنه في الثالث عشر من أغسطس ١٩٤٤ في ديجن، وقبل يومين من الإنزال الذي نفذه الحلفاء في الجنوب الفرنسي، تم إلقاء القبض علي كل من العميل فرانسز كامريتس، والعميل البريطاني اكسان فيلدنج، وزميل آخر من قبل البوليس السري الألماني. وهنا عرفت كرستين أن الرجال الثلاثة سوف يتم إعدامهم، لذلك قامت بترتيب الأمر، والتقت بضابط من البوليس السري النازي، وقدمت بكل جرأة نفسها كابنة أخ الجنرال مونتغمري. ولم تكتف بذلك، بل ذهبت الي أبعد من ذلك، وهددته بأنها ستنتقم منه انتقاماً لا يوصف فيما لو حدث أي مكروه للأسرى ! ومن جانبه صدق الضابط الألماني ادعاءاتها، وبهذا استطاعت إنقاذ زملائها، وهو الأمر الذي جعل كرستين تحصل علي ميدالية جورج ومن ثم ميدالية (يصظ).

دخلت كرستين جرنفيل من خلال جمالها المناطق الأخطر في عالم الجاسوسية الرهيب، واستطاعت أن تنفذ الي قلوب شخصيات معروفة وبارزة،

كانت مفعمة بالحيوية والشباب، ولها عينان فاحمتا السواد تضجان بالغنج الذي يسحر الناظر إليها من أول وهلة. كما استطاعت بشجاعتها ان تتحدي الموت أكثر من مرة في زمن الحرب، ولم تكترث لشيء من أجل أن تنقذ رفيقاً من حبل المشنقة أو لتصل الي الهدف، وكثيراً ما نجحت في بلوغ ما أسند إليها من خلال جمالها ودهائها وحيلتها التي امتلكتها.

كانت تمتلك الخبرة التي تمكنها من فرض نفسها، لا سيما أن فكرة التجسس بإسقاط امرأة خلف خطوط العدو وفي المناطق التي يحتلها، كانت خارج سياسة الادارة البريطانية، حتى حولتها جرنفيل لواقع. لقد أدهشت ونستون تشرتشل بتقاريرها التي أرسلتها في عام ١٩٤١ عن ان الدبابات الألمانية تحتشد علي الحدود الروسية، حيث كانت بمثابة دلالة علي ان غزو الاتحاد السوفييتي علي وشك البدء. لذلك فقد كان مبتهجاً جداً بالمعلومات، وكان يصفها بـ "جاسوستي المفضلة".

كان جمالها الأخاذ سببا في تعدد علاقاتها العاطفية هناك الكثير من الرجال الذين مروا في حياة كرستين جرنفيل وهاموا بها، ومنهم إيان فلمنج مبتكر شخصية (جيمس بوند)، الذي استطاع أن يخلدها كبطلة من خلال شخصية فيسر لند فتاة بوند الأولى، فقد ارتبط الاثنان وطوال سنة كاملة بعلاقة حب عنيفة، بحيث انه حتي عندما وصلت الي محطتها النهائية لم يستطع إيان نسيان كرستين. لقد أصبحت أول فتاة لبوند من خلال تركيز فلمنج علي شخصيتها في روايته الأولي (٠٠٧) كازينو رويال - التي كتبها في عام ١٩٥٢.

ورغم الخدمات الجليلة التي قدمتها جرنفيل للمخابرات البريطانية، والحلفاء، ورغم أن اسهامها في تحرير فرنسا كان له وقع كبير في نفوس الكثيرين، أدى لمنحها وسام فرنسا الأشهر "كروبكس دي جوير"، فإن الجاسوسة الحسناء أهملت من قبل إدارة العمليات الخاصة إيظ وقد سرحت من الخدمة بمبلغ ضئيل قدره ١٠٠ جنيه استرليني.

يقول أكسان فيلدنج في كتابه " أختفي وأسعى" الذي يتناول سيرة كرستين بالتفصيل وصدر في عام ١٩٥٤: " بعد الصعوبات الجسدية والضغوطات العقلية

التي عـانت منهـا كـرسـتين طوال خـدمـة السنوات الست في إدارتنا، كـانت ربما الأكثـر حـاجـة من أي عـميل آخر عـمل معنا لتـأمين الحـمـاية اللازمـة لهـا طوال حياتها البـاقيـة. ولكن العكس قد حـصل، فـبـعـد أشـهـر سُرحت كـرسـتين براتب شهري محدود وتركت في القاهرة لتناضل من أجل نفسها..".

وحين تقـدمـت للحـصـول علي جـواز سـفـر بريطاني، بعـد أن وافـق التـحـالف الأنجلو أمـريكي على انضـمـام بولندا لهـيـمنة الاتحـاد السـوفـيـتي، تـأخـرت أوراق الحصول علي الجواز البريطاني بطريقة فيها الكثير من البيروقراطية.

وفي هذه الأثناء، وبفـقـدانها الأمل فـي الحـصـول علـى مظلة الحـمـاية الكافيـة. انطلقت كرستين في حياة ملؤها السفر والتجوال في بلدان العالم علي غير هدى. وكـأنها تعوض حيـاة الخطر التي عاشـتهـا، وتبـحـث عن المتعة التي افتقدتها طوال السنوات الماضيـة، إبان عملها كجاسوسة حيث كانت تتحدي الموت من دون أي اكتـراث، وخـلال الفـتـرة التي تلت الحـرب التـقت كـرسـتين - عندمـا كـانت في الثـلاثينيـات - بـ إيان فلمنـج الذي كان قد سرح حديثـاً من استـخـبـارات البـحـرية حيث بدأت علاقتهما الغرامية..

والمفارقة أن الاثنين أخـذا يلتقيان في فندق اسمه جـرنفيل في دوفر. وفي هذه الأثناء كان فلمنج يعتزم الزواج من ليدي آن روذرمير، وهـي سيدة مـجـتمع جذابة قد أدهشت الكثيرين بجمالها في أوساط لندن الاجتماعية، لذا فإن علاقة فلمنج مع كرستين استمرت حوالي السنة، ويبدو أنهما انفصلا بعد أن أشبعا رغباتهما.

وتنحـدر بهـا الأمـور أكـثـر، حـتـى تضطر للعـمل كـمـضـيـفـة بواخـر في احـدي الشـركـات المـلاحـة، وعند عـودتهـا إلى بريطـانيـا في مطلع الخـمـسـينيـات بدت كرستين وكـأنهـا إنسانة ضـائعـة، وكـانت تسعـى للعـلاقـات الغـرامـيـة والرفـقـة كلمـا استطاعت إلى ذلك سبيلا.

ومع ذلك فإن تأثيـرها لم يغادر مـخيلة إيان فلمنج، الذي أدمن الكحـول وأصبح كلما يتذكر كرستين يذهب لاحتساء الفودكا من دون توقف.

وبحلول صيف عام ١٩٥٢ كانت تربط كرستين عـلاقـة صداقة بالمدعو جورج

مولدوني الذي التقته عندما كانت تعمل كمضيفة في إحدى السفن، وكان يعمل بواباً في نادي الإصلاح في لندن بول مول، وقد ظلا يتواصلان ويلتقيان.. كان جورج راغبا في علاقة جسدية مع كرستين، لكنها كانت دائماً تصده وتقول له إنها تعتبره صديقاً.

وفي السابع عشر من يونيو عام ١٩٥٢ شاهد جورج كرستين تتمشي في أحد شوارع لندن مع رجل آخر، فانتابته ثورة من الغيرة أوقدت غضبه الكامن. وبعد ذلك بفترة التقى بها، وراودها عن نفسها ولكنها صدته، وأخبرته أنها تنوي أن تغادر لندن للعيش في كونتنت لمدة سنتين علي أقل تقدير.

فما كان من جورج مولدوني الثائر إلا أن استل سكيناً وطعن كرستين في قلبها، لتتوفى على الفور، أما جورج فبعد محاكمة طويلة صدر الحكم بحقه حيث تم شنقه.

ثلاثي أضواء الجاسوسية



هتلر في باريس ١٩٤٠

ثلاثي أضواء الجاسوسية

ثلاث من الفرنسيات تطوعن لخدمة الحلفاء في أوج الحرب العالمية الثانية.. وحققن إنجازات كبيرة في المهام التي أوكلت لهن..

في شهر يونيو /حزيران من عام ١٩٩٧ نشرت مجلة الحرب العالمية الثانية على لسان الكاتب ورجل المخابرات السابق وين نيلسون قصة نساء الجاسوسية : سيمون، وأوديت وجينيت، حيث كتب يقول:

يحتاج المرء إلى الشجاعة لكي يمتهن الجاسوسية، والنساء اللائي تطوعن للعمل في هذا المجال جئن إلى مكتب الخدمات الاستراتيجية (ياإ) والملحق بفرقة المشاة الأميركية رقم ٣٦ التي كنت أعمل فيها عند جبال فوسجيس في فرنسا في خريف عام ١٩٤٤..كن يتحلين بشجاعة لا نظير لها، ومنذ أن نزلت وحداتنا عند الريفيرا في اليوم السادس عشر من أغسطس، كان من الواضح أن حملة الجيش السابع في جنوب فرنسا ستكون فريدة وغريبة من نوعها، إذ بعد يومين من إنزال قوات الحلفاء على شواطىء النورماندي والتخطيط لعبور نهر موزليه، والتقدم منه إلى نهر ميورث، بدأت المقاومة الألمانية تشتد، وكان لا بد من بث العيون لرصد تحركات القوات الألمانية، حتى لا تفاجأ القوات بكمين يعد لها وتمنى بخسارة لا تعوض، وجاءت هذه الفكرة من كتيبة المهمات الخاصة التي عبرت النهر الأول وتوقفت عند النهر الثاني، وكان الحل الوحيد تجنيد جواسيس مخابرات فرنسا الحرة (معق)، وكنا نعرف أن الجواسيس الفرنسيين أو الفرنسيات على استعداد للمخاطرة بالحياة في سبيل إنقاذ فرنسا من الاحتلال الألماني، وكان اختيار نساء لمهمة التجسس هو الأضمن لتحقيق المهمة فهن لا يلفتن الانتباه كالرجال، وإن كن يفتقدن للمعرفة الفنية، فإن لديهن القدرة على استخلاص النوايا الألمانية ممن يتعرفن عليهن من الضباط الألمان.

في نهاية شهر يوليو/ أيلول أيقن العسكريون أن الجناح الأيمن من الفرقة السادسة والثلاثين مكشوف ويخشى من هجوم معاكس تقوم به القوات الألمانية.

وكانت الفرقة في أمس الحاجة إلى معلومات حول الخطط العسكرية الألمانية. وكانت تجربة عدد من الجواسيس الرجال قد فشلت، إذ إن عيون الألماني تترقب أيّ تحرك وتقف لكل جاسوس يتسرب إلى صفوفها بالمرصاد، وكانت الحاجة ماسة لجواسيس لا يثيرون أي شبهة.

في اليوم الأول من شهر أكتوبر/ تشرين الأول تقرر إيفاد الجاسوستين أوديت وسيمون وكانتا في التاسعة والعشرين من العمر، ولهما خبرة سابقة مع المخابرات الفرنسية بمنطقة إيبنال، وكانت المهمة التي أوكلت إليهما دخول المنطقة المحتلة والاختلاط بالألمان.. وكان لا بد من أخذهما إلى أقرب مكان من مدينة (جرانجس سور فالون)، وكانت إحداهما تعمل مع رجال المقاومة الفرنسية منذ عامين، والثانية لها خبرة ستة أشهر في لعبة التجسس".

يكمل وين نلسون: "أخذتهما إلى منطقة تندون بسيارتي الجيب، واكتشفنا أن هناك متراساً في الطريق يحرسه جنود ألمان، وغيرت الاتجاه إلى)سينت جين) ومنها إلى حدود مدينة هوكس، وتوقفت على بعد ٢٠٠ ياردة من المدينة بعد أن أبصرت الجنود الألمان عند التلال التي تطل على المنطقة، وتركت سيمون وأوديت وعدت أدراجي.. وكانت التعليمات الصادرة إليهما التسلل إلى الخطوط الألمانية والعودة مساء إلى (ليبانجيز)، وفي مساء تلك الليلة عادت سيمون بمفردها، واتضح من التقرير الذي قدمته أنهما وجدتا سبعة من الجنود الألمان بمدينة هوكس، وسرعان ما أبدوا رغبتهم في الاستسلام لمعرفتهم بأن القوات الأميركية تزحف تجاههم عن قرب، واستسلموا للجاسوستين فأخذتا أسلحتهم، ووضعتاها في حجرة منفصلة، بينما وضعتا الجنود السبعة في سرداب، وبقيت أوديت لتحرسهم، وعادت سيمون لتخطر المسؤولين بالأمر حتى يأتوا لأخذهم واستجوابهم عن تحركات جيشهم ومواقع قواتهم.

وفي صباح اليوم التالي حاولت الذهاب إلى كوكس، ولكن الحراسات الألمانية فوق التلال كانت تطلق النار جزافاً عند كل حركة، وانتظرت ومعي ضابط برتبة ملازم حتى المساء ثم دخلنا المدينة الشبح، وسمعنا رنين هاتف وتحركنا باتجاهه واتضح أنه داخل أحد المتاجر.. ودلفت إلى الداخل ورفعت

صوتي لعل أحداً يسمعني، وانفتح باب جانبي وصوبت باتجاهه حربتي ورأيت امرأة قادمة من السرداب وسألتها عن آنسة تدعى أوديت فأجابت: (إنها في السرداب مع الأسرى الألمان).. وارتفع صوتي هذه المرة باسم أوديت وسمعت صوتها، ونظرت فإذا بالأسرى السبعة، وعلى مقربة منهم من تبقى من سكان هوكس، الذين لجأوا للسرداب لاتقاء نيران العدو التي تطلق أحياناً جزافاً من فوق التلال. وسلمت الأسرى السبعة للملازم الذي صحبني ومعهم رجل عجوز أصيب بالهذيان وخيل إليه أنه الملك لويس الرابع عشر"..

يستطرد وين نلسون:" في اليوم التاسع من أكتوبر/ تشرين الأول أخذت سيمون وأوديت ثانية إلى خارج المنطقة، وكانت وجهتنا هذه المرة)جلونفيل) في محاولة لاختراق صفوف العدو والتزود بمعلومات عن خططه وتحركاته، وشهدنا خراباً غير مسبوق.. فإذا ببعض القرى التي كانت تضم أكثر من عشرين بيتاً لا تحوي غير ثلاثة أو أربعة منازل مهجورة، ولا أثر للألمان، واضطررنا للعودة والمغادرة ثانية في الحادي عشر من أكتوبر /تشرين الأول، وتركت سيمون وأوديت هذه المرة عند حافة الغابة، على مقربة من مدينة)برويرز)، وكان الجنود الألمان على بعد ١٠٠ ياردة.. ونجحت سيمون وأوديت في الوصول إلى المدينة والاختلاط مع الضباط الألمان وكأنهما من سكان المنطقة، وظلتا تجوبان المنطقة بلا رقيب ولا حسيب، وتتصرفان كأنهما ولدتا في تلك المنطقة، وعيونهما على كل جندي يتحرك أو حراسات تغير مواقعها.

في اليوم الرابع عشر من أكتوبر/ تشرين الأول عادت سيمون وأوديت بعد أن كللت مهمتهما بالنجاح، وكانتا قد تنقلتا حتى مدينة (تينتروكس) وإن عجزتا عن دخول (سينت داي) إلا أن تقريرهما كان غاية في الأهمية، إذ كشف عن تحركات القوات الألمانية في الغابة بالقرب من منطقة (ليس روج ياو)، وقد اهتمت القيادة بهذه المعلومات وكأنها كانت تبحث عنها، كما أنهما أحضرتا تقريراً مفصلاً من أحد العملاء كان يحتوي على معلومات خطيرة، وبدأت بناء على هذه التقارير تحركات قوات الحلفاء إلى الأمام لاكتساح فرنسا وطرد كل القوات المحتلة "..

ثم جاء دور جينيت..

يقول رجل المخابرات نيلسون - بعد العمل لبعض الوقت مع سيمون وأوديت أوكل إلى العمل مع الجاسوسة جينيت التي أطلقت عليها: (الجاسوسة التي استخدمت رأسها)، وكانت هي أيضاً شجاعة، ولكنها حين ألقي القبض عليها وعذبت وهددت بالقتل، اكتشفت أنها في حاجة لما هو أكثر من الشجاعة المجردة.

جاءت جينيت إلى وحدة مكتب الخدمات الاستراتيجية (يإإ) كمتطوعة لاختراق منطقة (جيراردمير)، وكانت جيراردمير مركز وحدة استخبارات ألمانية، وتقع إلى الحدود الغربية من (كول دي لا شلوخت) أحد أهم الممرات إلى جبال فوسجيس، وخط إمداد للقوات الألمانية، كما أن المنطقة أشبه ما تكون بخلية نحل حية تزخر بعمليات الجستابو، وكنا قد فقدنا اثنين من عملائنا هناك، وكانت جينيت تتمتع بمسحة من جمال، وفي الثامنة والثلاثين من عمرها، وقد عملت مع المقاومة الفرنسية عامين، وذلك منذ أن بعث الألمان بزوجها إلى أحد معسكرات الاعتقال، وكانت تبدو نموذجاً حياً للزوجة الفرنسية، ربة البيت الساذجة، وقد كانت كذلك قبل مأساة زوجها، ولهذا فهي جاسوسة بالمصادفة، وكانت مهمتها ضمن مكتب الخدمات الاستراتيجية (يإإ) - نواة وكالة المخابرات الأميركية (ضقش) فيما بعد - مهمة ذات شقين، إذ كان عليها أولاً أن تحصل على معلومات استخباراتية حول نشاط القوات الألمانية في منطقة جيراردمير، والأربعين ميلاً التي تفصل بين قواتنا وتلك المنطقة التي عليها اجتيازها، وكان عليها ثانياً أن تتصل برجال المقاومة في منطقة جيرادمير.

منذ الثاني من أكتوبر / تشرين الأول، وبينما كانت سيمون وأوديت تقومان بمهمات لمكتب الخدمات، كانت جينيت تتلقى تدريباً خاصاً لضمان نجاحها في المهمة ذات الشقين، واستطاعت بعد أن أكملت هذا التدريب الخاص بشؤون المخابرات أن تدخل إلى منطقة العدو، وكانت تدخل منزلاً وتخرج منه إلى آخر. وتعبر طرق الغابة والممرات بين الجبال حتى وصلت إلى جيراردمير بسلام بعد ثلاثة أيام، وبدأت بمهمة الاتصال برجال المقاومة وعرفت الطريق إليهم، ولكن لحظها العاثر ما إن وصلت إليهم حتى فوجئت ومن معها بهجوم ألماني، فقد كان

للمخابرات الألمانية عميل داخل المقاومة، وتم إلقاء القبض عليها ضمن رجال المقاومة الفرنسية، وأخذوها إلى قيادة الجستابو بفندق (اسبيرانس)، وكانت أوراقها تؤكد أنها من سكان مدينة (موينموتير) التي لا تبعد كثيراً حيث عاشت منذ مولدها، ولم يكتشف الجستابو أن أوراقها أصلاً مزورة، ولكن محاولاتها للوصول إلى رجال المقاومة قد أثارت شك رجال الأمن حتى قبل إلقاء القبض عليها، وحاول الجستابو استرضاءها لتعترف، ولما أصرت على موقفها بدءوا يهددونها ثم تعرضت للضرب، ولكنها ظلت تردد: (أنا مواطنة فرنسية من موينموتير) وقد جئت لأبحث عن شقيقي الذي قيل لي إنه في هذه المنطقة)، ولكن الألمان لم يصدقوها، وحبسوها ثلاثة أيام في غرفة بالفندق، وكان الحارس كل صباح يضرب الباب برجله ويفتحه ويترك لها ما يشبه المرق مع خبز مطاطي، ويتبع ذلك التعذيب، ولكنها بقيت على اصرارها، وأخيراً قال لها رائد من رجال الجستابو:)غداً سنأخذك إلى مدينتك فإن اتضح كذب كلامك فسيتم إعدامك على الفور).

تلك الليلة ظلت جينيت تحدق في سقف الغرفة تبحث عن حل ينجيها من قسوة الجستابو ومن موعد الغد، وقبل ساعات الصباح الأولى وصلت إلى حل بدا كطيف خلاص، إذ قررت أن ترقد على الأرض وتضع رأسها في حافة الباب حتى إذا ما ركله الحارس أصابها بجرج أو كدمة تتصنع بعدها الإغماء، وجاء الحارس كعادته وركل الباب بقوة فأصابها بجرح في رأسها، وبدأ النزيف وخاف الحارس فاستدعى المسؤول، وكانت هي من قوة الصدمة قد أغمي عليها بالفعل، ولم تع بنفسها حين حملوها إلى المستشفى، وحين استيقظت من غفوتها وجدت رجل الأمن عند رأسها ولم يمهلها الرائد لحظة، بل راح يستجوبها مجدداً، ولما أحس بأن أجوبتها غير مترابطة وشبه مبهمة ، التفت إلى الطبيب فقال له إن الركل على الرأس يسبب ارتجاجاً في الدماغ، وما هو أخطر من ذلك، وشعر رجل الجستابو أن الأسيرة لم تعد تفيده، والتفت هذه المرة إلى الحارس الذي ركلها ونعته بأقذع الأوصاف وكان أقلها الغباء مع تشبيهه بذلك الحيوان الذي لا يأكل لحمه المسلمون، وكانت له مهام أخرى أكثر أهمية من متابعة قروية ساذجة فأومأ

بإطلاق صراحها، ولكنها بدلاً من أن تتخذ لها ملجأ بالمدينة حتى تحررها قوات الحلفاء، فضلت وبشجاعة رحلة الأيام الثلاثة والعودة لمكتب الخدمات الاستراتيجية (يا!) "...

يقول نيلسون: " سعدنا بعودتها بعد أن اعتقدنا أننا فقدناها للأبد، وفوجئنا بأنها طوال رحلة العودة كانت تدرس عن كثب مواقع وتحركات القوات الألمانية، وتضيف لهذا تحليلها الخاص. وكان تقريرها قد جاء في الوقت المناسب، وكتب عليه مدير مكتب الخدمات الاستراتيجية: (إنه تقرر جدير بالدراسة)، وهكذا وفي أحلك الظروف استخدمت الجاسوسة جينيت (رأسها) بتعريضه للركل مرة حتى تنجو من الأسر وباستخدامه في رصد تحركات القوات الألمانية مرة أخرى، واستحقت أن توصف بالجاسوسة التي استخدمت رأسها.. وبعد انتصار الحلفاء وتحرير فرنسا من قوات الاحتلال الألماني تم تكريم نساء الجاسوسية: سيمون وأوديت وجينيت..

الجاسوسة فلورا



من الحرب العالمية الأولى

الجاسوسة فلورا

لم يكن أحد يعرف عنها شيئا.. حتى بعض رجال دائرة الاستخبارات الإنجليزية أنفسهم لم يكونوا يعرفون عنها شيئا ، بالرغم أنها كانت تتدرج على دائرتهم وتجتمع إلى بعض رؤسائهم.

هذه هي فلورا الفتاة الإنجليزية الجميلة. والجريئة .

فلورا التي كانت تعرف العديد من اللغات وحظيت من العلم بنصيب كبير .. المرأة الداهية التي إن دخلت مأزق خرجت منه لتوقع من أوقعها فيه.

انخرطت هذه الفتاة الجذابة في سلك الجاسوسية لدوائر الاستخبارات الإنجليزية.. وكلفت بأصعب المهمات وأعقدها وأخطرها .. لهذا كانت تستعمل لباقتها وجاذبيتها وأنوثتها الساحرة لمعرفة أسرار الوزراء وكبار الضباط حتى الجواسيس المحنكين منهم.

ما يكاد يقع أحد في حبالها حتى تنتزع منه أسراره وأوراقه..

كانت من الجمال والروعة بحيث كان يقع في حبها كل من يراها..

ويقال إن أحد كبار الفرنسيين عرض عليها أن يترك عائلته وأولاده ويتزوجها لكنها رفضت عرضه.

ووقع في غرامها رئيس إحدى الوزارات الإيطالية ، وشغف بها ، حتى لم يعد يفارقها مما كان حديث المجتمعات الإيطالية في بداية الحرب العالمية الأولى.

وفي عام ١٩١٥ عرف رجال الاستخبارات البريطانية بوجود أحد كبار جواسيس الألمان في سويسرا فبعثوا بفلورا إليه لتنتزع منه أسراره.

وكان هذا الجاسوس يطلق على نفسه (الأستاذ أهرادت) ويدعي أنه عالم آثار.. ولذا لم يكن يسمح لأحد بدخول غرفته التي يقطنها في الفندق ، بحجة أنه لا يريد أن يعبث أحد بمجموعة الآثار التي يحتفظ بها في غرفته ، حتى إن مفتاح غرفته كان خاصا به وليس في الفندق مثله . ولم تكن الآثار القديمة التي

ادعى أنها في غرفته ما هي بالحقيقة إلا عبارة عن نظام للجاسوسية الألمانية ، وأغراضها ، وأسماء رجالها في سويسرا ، وهذا ما أرادت المخابرات البريطانية الحصول عليه لتكمل ما لديها من معلومات عن نظام الجاسوسية الألمانية ، وأن تبرهن للسلطات السويسرية بأن الأستاذ أهرادت يعمل لحساب المخابرات الألمانية ، لتقتنع الحكومة السويسرية بضرورة إبعاده ..

نزلت فلورا في نفس الفندق الذي يقيم فيه اهرادت وحاولت أن تستلفت نظره إليها حتى أوقعته بشباكها.. وأحبها.

بعد أيام دعاها أهرادت إلى غرفته لتناول قدح من الشراب.. وبعد أن احتسيا الخمر طلبت فلورا منه أن يحضر لها غرضا من الصالون كانت قد نسيته. وكان المفروض بالجاسوس ألا يغادر غرفته وفيها أسراره.. ولكنه ذهب.. فقامت فلورا إلى أوراقه ووضعتها في محفظتها وهمت بالهرب ، لولا أن فتح الباب فجأة وظهر على عتبته سكرتير ألماني كان يحنقه ما يقوم به رئيسه من لهو ومجون ، فيراقب غرفته من باب الحيطة ..

ولما جاء الألماني (أهرادات) وعرف أن فلورا قد أخذت أوراقه أقسم أن يسلمها للبوليس، فلاطفته فلورا ووعدته بأن تعطيه أسماء الجواسيس الإنكليز وأخبارهم في ألمانيا مقابل إخلاء سبيلها.

ووافق الألماني على ذلك وأخذ يكتب ما تميله عليه فلورا من أسرار.. وفي الصباح تركته فلورا وخرجت بينما ذهب هو ليبعث بتقريره إلى حكومته..

سافرت فلورا من سويسرا فور خروجها ، بينما تلقى الألماني بعد أيام كتابا من حكومته تلومه وتوبخه على تقريره العاري من الحقيقة والصحة والواقع.

وقد استغرب الألمان عندما علموا أن فلورا تتنقل في ألمانيا طوال الحرب العالمية الأولى ، وكانت تزور كل مدنها.

وكانت تحمل جوازا هولنديا ليس فيه ما يدعو للشك..

كانت هدف فلورا الوصول إلى الشيفرة الألمانية الحربية ولكنها لم تتمكن لصعوبة الأمر، إلا أنها استطاعت أن تحصل على الشيفرة التي تتخابر بواسطتها

المدرعات الألمانية حينما تكون في عرض البحر ، وهذا ما ساعد الاستخبارات الإنجليزية على معرفة أغراض الألمان في معركة جوتلندا البحرية.

ومن العمليات بالغة الأهمية التي قامت بها فلورا ، أنها تمكنت من سرقة الشفرة الألمانية الخاصة بالاتصالات بين سفن الأسطول الألماني ، وذلك لما وقع أحد الضباط الألمان في غرامها وأخذها معه لزيارة الطراد الذي يقوده.

كريستين كيلر.. جاسوسة والضحية وزير بريطاني

رئيس الوزراء البريطاني هارولد ماكميلان



كريستين كيلر.. جاسوسة والضحية وزير بريطاني

بدأت القصة حين تعرفت الفتاة اللعوب كرستين ذات السبعة عشر عاما بالطبيب د ستيفن وارد في الملهى الليلي الذي كانت تعمل به في أحد شوارع لندن، كانت وظيفتها في هذا الملهى هي أن تسير بين (طاولات) الزبائن عارية، نظراً لما تتمتع به من جمال باهر وجسم فاتن، ولما كان د. ستيفن (طبيب العظام الشهير) مولعا بالتعامل مع المومسات وفتيات الليل، فقد دعاها لشقته، وقدم لها المخدرات إضافة للجنس، بعدها تحولت الفتاة إلى مدمنة، وأصبح فراقها عنه شبه مستحيل، لذلك بدأت تستجيب لكل طلباته وأوامره مهما كان الثمن..

كان د ستيفن يمتلك عيادة شهيرة في وسط لندن، وفي أكثر أحيائها ثراء، يتردد عليه فيها رجال ونساء الطبقة الاجتماعية الراقية، وكان يقيم الحفلات لمعارفه من تلك الطبقة في قصره، ويقدم لهم العاهرات وفتيات الليل، ويستفيد المال والمزيد من العلاقات..

ومن بين مرضى د ستيفن كان السير "كولن كوت" رئيس تحرير صحيفة "الديلي تلجراف" الذي كان يُعالج من مرض "اللومباجو"، وفي أحد لقاءاته معه عرَّفه كوت بالكابتن "يوجيه إيفانوف" الملحق العسكري الروسي في بريطانيا، والذي كان ضمن وفد يزور الصحيفة للاطلاع على أحدث ما تم التوصل إليه في سير العمل الصحفي، وكان إيفانوف هذا يشترك مع د ستيفن في أنه زير نساء، ويحب أن يقيم علاقات عديدة معهن، لذلك اتفق الاثنان على تحقيق اللذة المنشودة كلٌ عن طريق الآخر..

وفي إحدى المرات كان الدكتور في زيارة لواحد من أصدقائه الأثرياء في مقاطعة "كليفيدين" اسمه "لورد استور" وهو ثالث أغنى رجل في بريطانيا، وقد تعرف عليه د ستيفن بعد أن قام بعلاجه من كسور خطيرة تعرض لها نتيجة حادث وقع له، وقد أهداه "اللورد استور" منزلاً ريفياً جميلاً في هذه المقاطعة وسمح له باستخدامه هو وأصدقائه في أي وقت يشاء، وقد اصطحب ستيفن

"كريستينا" في هذه الزيارة، هي ومجموعة من الأصدقاء من بينهم الكابتن "إيفانوف"، وسرعان ما قامت علاقة غرامية متبادلة بين إيفانوف وكريستينا وبعدها تعددت اللقاءات والحفلات الخاصة.

إلى هنا والسيد "جون بروميمو" وزير الدفاع لم يكن التقى بتلك الفتاة ولا تعرف عليها، حتى جاء وقت كانت فيه كريستينا في زيارة "لكليفيدين" وقابلت "بروميمو"، في منزل اللورد "استور" لكن كان لقاءً عادياً لم يجذب أيٍّ من الطرفين الآخر إليه، وبعد عدة أسابيع من هذا اللقاء، عاد "بروميمو" إلى زيارة اللورد "استور" في منزله الذي سكنته كريستينا لكنَّ لقاءه معها هذه المرة كان لقاءً مختلفاً تماماً عن لقائه السابق..

فقد كانت الفتاة تستحم عارية تماماً في حمام السباحة الملحق بالمنزل وحينما شعرت بأقدام تقترب من الحمام سارعت في الخروج من المسبح لارتداء ملابسها، لكن كانت هناك يد سبقتها إليها وقذفت بهذه الملابس بعيداً حتى يستمتع "بروميمو" أكثر بمنظرها وبجمال جسمها

ولم يستطع الوزير أن يتحمل جمالها الصارخ، وأرقت ليله وباته سهران يفكر فيها، وصمم على أن يلتقي بها وكان له ما أراد بعد أن تكفل بذلك صديقه اللورد "استور" وأصبح الوزير والفتاة عاشقين، يجتمعان ويذهبان معاً في أماكن خاصة لقضاء بعض الوقت والاستمتاع، بل إنه كان يأخذ سيارته الحكومية مصطحبها معه ليفرجها على مبنى البرلمان ومنزل رئيس الوزراء في داوننج ستريت، وتعددت لقاءاتهما في شقة "ستيفن" وقد استطاعت هذه الفتاة أن تجمع على فراشها الملحق العسكري الروسي ووزير الدفاع البريطاني..

لكن الأمور لم تظل على ما يرام فقد شعرت الفرقة إم - يمين (ندتم يمين) في شعبة مكافحة الجاسوسية في لندن بالقلق إزاء تشعب علاقة د. ستيفن بالعديد من الرجال ذوي المناصب الحساسة بالدولة، لكن ملفه كان يغلق دائما كلما فتحته هذه الفرقة لعدم وجود أدلة لإدانته.

وبعد مناقشات كثيرة قرروا الاستفادة في الشعبة من ستيفن هذا في أن يقوم بتوفير الجو الملائم والترفيهي للدبلوماسيين الأجانب الذين يزورون بريطانيا، حيث يقدم الحسناوات لرجال السلك الدبلوماسي الأجانب ويأخذ صورهم في أوضاع مشينة، تستغلها المخابرات في تجنيدهم لمصلحتها، ولم تعرف أن السحر سينقلب على الساحر.

بعدها طلبوا منه معلومات كافية عن "إيفانوف" الذي كان على علاقة بكريستينا "لأنهم اكتشفوا أنه جاسوس سوفيتي خطير. أما "إيفانوف" فقد شعر بحاسته الأمنية أنه في خطر، وأنه قد يقبض عليه في أي وقت فأبرق لقيادته في موسكو فأرسلوا إليه تعليماتهم بأن يترك لندن على الفور، لكنه قبل سفره حرص على أن يأخذ معه كل الأشرطة التي سجلها د. ستيفن لبعض الدبلوماسيين الأجانب في لقاءاتهم الخاصة مع بعض الفتيات، لاستعمالها فيما بعد لأغراض ابتزازية..

كانت المخابرات البريطانية تراقب دكتور ستيفن عن كثب، ولكن عملاء يكونوا على علم بأن أحد وزرائهم على صلة بإحدى فتياته الحسناوات، ولكنهم كانوا يعرفون بأن بروفيومو على صلة بالدكتور ستيفن، ولهذا حذروه من صحبة الطبيب كونه على صلة بالملحق العسكري البحري الروسي، وقطع الوزير صلته بالجاسوسة كريستين كيلر، ولكن بعد أن أفضى إليها بأسراره الخطيرة في لحظات غيبة عن الوعي، وكان من الممكن أن يظل الأمر سراً لولا أن كريستين كانت على صلة أيضاً بتاجر مخدرات جامايكي غيور، إذ ما كادت تغيب عنه يوماً حتى هاجم منزل الدكتور ستيفن ظاناً أنه قد حجبها عنه، وتم إلقاء القبض عليه. وأتوا بالحسناء شاهدة، وبدأت كيلر وهي في مقعد الشهود بالمحكمة تفضفض بما سئلت عنه وما لم تسأل عنه وقالت إنها على علاقة بأربعة رجال: تاجر المخدرات، والدكتور ستيفن، والملحق العسكري الروسي إيفانون ثم فجرت قنبلة حين أضافت لهذه الأسماء اسم وزير الحربية البريطانية بروفيومو في عز أيام (الحرب الباردة)، وقالت نكاية في الوزير الذي أعلن قطع صلته بها قبل ذلك بأيام إنها لا تعرف كيف أن وزيراً في الحكومة يتخلى عن مسؤولياته ويعاشرها

رغم أنه متزوج، ولم تكتف بذلك بل قالت إن الدكتور ستيفن قد أجبرها على الحصول على معلومات سرية من الوزير، وقد فعلت، وحملت شرطة إسكتلنديارد على د. ستيفن لتخفيف الضغط الصحفي عن الوزير، وأعلن الوزير بدوره أنه لا علاقة له بهذا الوضع المشين، ولكن أحداً لم يصدقه من زملائه في مجلس العموم البريطاني فقد فاحت الرائحة. وكانت الأدلة كثيرة ضده، خصوصاً تلك التي قدمتها الفرقة (٥) وحينما زادت الضغوط عليه، اعترف لزوجته بكل شيء فنصحته بأن يذهب لرئيس الوزراء لمقابلته ومصارحته بكل شيء لكن رئيس الوزراء "هارولد ماكميلان" في ذاك الوقت (١٩٦٣ م) رفض مقابلته فلجأ إلى مدير مكتبه كي يكتب أمامه اعترافاً كاملاً بكذبه أمام مجلس العموم مرفقاً بهذا الاعتراف استقالته، وكما تقتضي الأعراف كان عليه الذهاب إلى مقر "باكنجهام" لتقديم إخلاء طرفه إلى الملكة، ولكنه لم يذهب وأرسل شخصاً ينوب عنه لمقابلة الملكة، وأوشكت الفضيحة أن تعصف بحكومة المحافظين، وغيرت إلى الأبد نظرة التقديس التي كان يكنها البريطانيون لرجال السياسة، وأصبحت قصة كريستين كيلر والوزير معلماً بارزاً من معالم تلك السنة إلى جانب اغتيال الرئيس الأميركي كيندي، وجنون الشباب بأغاني (البيتلز) وسرقة القطار الكبرى.

بعدها تم القبض على د. ستيفن وارد وأودع السجن وأغلق مكتبه الفخم في وسط لندن، وأثناء التحقيق معه تكشفت كل الحقائق :

في عام ١٩٥٦ اعتنق الدكتور ستيفن الشيوعية مذهباً وعقيدة، وفي عام ١٩٦١ عرف الدبلوماسي الروسي إيوجين إيفانون بنجمته الراقصة كريستين كيلر، وكان إيفانون ملحقاً بحرياً بسفارة روسيا لدى لندن في ظاهر الأمر، ولكنه كان مجنداً من قبل المخابرات الروسية وهكذا التقى وتصادق الرجلان د. ستيفن و(إيفانون)، وكل منهما في خدمة المخابرات، وكان الروسي يلح على الدكتور ستيفن بأن يظهر حماسه للنظام الشيوعي الذي اعتنق مبادئه بإثبات ولائه من خلال التجسس لصالح السوفييت وتجنيد حسناواته لهذا الغرض، وكان بروفيومو سيء الحظ قد وقع في حبائل كريستين كيلر فأوحى إليها (ستيفن) بمحاولة استدراج وزير الحرب البريطاني بروفيومو للبوح لها بسر يحاول الروس الحصول

عليه، فقد كان السوفييت يرغبون في معرفة ما إذا كانت الولايات المتحدة الأميركية ستزود ألمانيا الغربية بقنابل نووية.

أودع الدكتور ستيفن السجن، وفي سجنه تمكن من الانتحار بعد فترة..

أما الفتاة فقد حكم عليها بالبراءة لعدم بلوغها السن القانوني وتقديم المعلومات المطلوبة منها بحسن نية ودون دراية بما كان يحاك حولها، ووقف زير الدفاع أمام "لورد وينتج" أشهر قضاة لندن والذي كان يتولى التحقيق في هذه القضية، وبعد أن هدأت العاصفة قليلاً حول "بروميمو" قرر أن يعتزل الحياة السياسية ككل، وفضل أن يعيش في زاوية النسيان في غرب لندن متطوعاً في منظمة خيرية تساعد المتخلفين عقلياً والمعاقين وذوي العاهات..

وتقديرا لجهوده منح بروفيومو عام ١٩٧٥ لقباً ملكياً تقديراً لخدماته الخيرية للمحرومين والمعوزين في القطاع الشرقي من العاصمة البريطانية، وفي عام ٢٠٠٣ بدأت حملة من كل الأحزاب البريطانية تطالب بمنح العجوز بروفيومو عضوية المجلس الاستشاري (مجلس الملكة الخاص)،

أما كرستين فقد ظلت طوال أكثر من أربعين سنة تكافح للتخلص من ماضيها، ولجأت لأكثر من أسلوب وطريقة فعمدت إلى تغيير اسمها، وانتقلت من حياة لندن الصاخبة إلى الريف البريطاني متخذة من الضواحي مسكناً وملجأ ومهرباً، وبعكس حياة اللهو والمجون التي عايشتها أصبحت تفضل صحبة القطط على بني جنسها من البشر، تأنس لأصوات الذئاب وتهرب إلى مخدعها إن صوّت إلى جانبها إنسان.

تزوجت مرتين وأنجبت ابنين، وعملت في مصبغة لغسل وكي الملابس، وظهرت في مجلة (للرجال فقط)، وعملت بإحدى المدارس ولكن مديرها سرعان ما طردها حين علم بقصتها، وطبعت قبل سنوات كتابا بعنوان: (إليكم الحقيقة - أخيراً)،وظلت ترفض الإدلاء بأحاديث صحفية عن ماضيها، وكان كتابها الثاني بعنوان) :لقد بقيت على قيد الحياة ولا أرغب في أكثر من هذا)..

مارجريت هاريسون.. الصحفية التي استهوتها الجاسوسية..

مارجريت هاريسون..



مارجريت هاريسون.. الصحفية التي استهوتها الجاسوسية..

أدركت مارجريت، وقد قاربت الثلاثين، أن العمل الصحفي لا يحقق لها الإشباع الذي كانت تتوقعه.فأخذت القرار.. لابد أن تصبح جاسوسة..

كانت الحرب العالمية الأولى توشك على نهايتها، حين قدمت الصحفية الأمريكية الناجحة أوراقها إلى مدير الاستخبارات العسكرية الأمريكية الجنرال مارلبورو تشرشل، الذي استدعاها لمقابلته، واستطاعت أن تؤثر في الجنرال بجمالها ولباقتها في الحديث وثقتها بنفسها وإجادتها عدداً من اللغات الأجنبية. واقتنع الجنرال، وبدأت مارجريت تحلم بدورها الجديد..

كانت تحلم بأن تعمل لصالح الحلفاء في ألمانيا، ولكن الإحباط بدأ يتسلل إليها حين أدركت أن الحرب توشك على الانقضاء، وأن ألمانيا على وشك الاستسلام، وخيل إليها إن حياة الجاسوسية التي كانت تُمني النفس بها قد انتهت قبل أن تبدأ، ولهذا فوجئت حين استدعاها الجنرال ثانية ليخطرها بأن لديهم مهمة سرية وأنها الأنسب للقيام بها، وطلب منها السفر إلى أوروبا لجمع معلومات عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وتقديمها مباشرة إلى الوفد الأميركي المنتدب لحضور مؤتمر السلام الذي بدأ الحلفاء الإعداد له، ليكون أول مؤتمر للمنتصرين، ومُنحت مارجريت اسماً رمزياً وقائمة بشفرات سرية لتستخدمها عند الضرورة، وتقرر أن تسافر تحت غطاء عملها السابق : صحفية في مهمة خاصة لصحيفة (الصن) البالتيمورية، وأن تكتب لصحيفتها بما تحصل عليه من معلومات في العلن، على أن تخص الوفد الأميركي بالمعلومات.

كان هدف مارجريت الأول الوصول إلى برلين عاصمة ألمانيا، وقد كانت الفوضى تعم أوروبا، وكانت البنية التحتية قد دُمرت والطرقات في حالة يرثى لها كما الناس، وكانت القطارات تعج بالمسافرين الذين يرغبون في العودة سالمين إلى ديارهم، ولجأت مارجريت إلى السفر بطريقة الأوتوستوب، وكانت بعض

السيارات العسكرية تقف وتحملها لمسافة ثم تتركها في الطريق لتعاود سفرها على حساب راحة الآخرين، واستغرق الأمر أسابيع قبل أن تصل إلى ألمانيا، ولم تكن الدولة الألمانية قد أخضعت كلها بعد لقوات التحالف المحتلة، واكتشفت مارجريت أن الحديث عن انتهاء الحرب وعودة السلام إلى ربوع ألمانيا ليس صحيحاً تماماً، فقد كانت لا تزال هناك جيوب للمقاومة، والقتال ما زال مستمراً، وإن يكن متقطعاً في عدد من المناطق بينها شوارع العاصمة برلين وحول فندق بريستول الذي كانت تقصده...

وسرعان ما خرجت مارجريت من عزلة الفندق إلى المجتمع الألماني العريض لتختلط بعلية القوم، دون أن تترك من هم أدنى مرتبة في السلم الاجتماعي، محاولة أن تتعرف على كل حزب سياسي يطل على الساحة استعداداً لما بعد الحرب، وحسمت مارجريت أمرها على ألا تترك أي حدث كبيراً كان أو صغيراً يمر دون أن تعايشه، كان عليها أن تتقصى الأمور، وتتابع كل حديث قد يقود إلى معلومة تكون ذات فائدة للوفد الأميركي.

وجاء يونيو من عام ١٩١٩ لتعقد اتفاقية فرساي للسلام التي أنهت الحرب في أوروبا، مؤقتا، ومعها انتهت مهمة مارجريت في برلين، وعادت إلى بالتيمور، ولكن العمل الصحفي لم يكن يشبع نهمها للعمل الذي عرفته على نطاق العالم، وبدأت تفكر هذه المرة في روسيا التي كانت تعيش لحظات الثورة البلشفية بعد أن أسقط الشيوعيون الصفوة الروسية عن الحكم، وكانت روسيا في حالة اضطراب، وكان هذا الجو العاصف يثير خيال مارجريت، فاقترحت على رجال الاستخبارات فكرة إيفادها إلى موسكو بعد أن اكتسبت خبرة في برلين، وكان دخولها إلى روسيا جاسوسة يشكل خطراً عليها، فقد كان العنف والرعب وتنفيذ حكم الإعدام في غير المرغوب فيهم شيئاً مألوفاً، ولم تكن مارجريت تتحدث الروسية وليست لها تأشيرة دخول، وكان لا بد أن تدخل سراً بأية وسيلة تجدها ميسرة وكانت مهمتها محددة: (ادخلي إلى روسيا واجمعي معلومات عن الوضع في موسكو وغيرها من المدن الرئيسية وعودي بعد أشهر قليلة).

غادرت مارجريت برفقة مترجم إلى الحدود البولندية ـ الروسية، وفي عام

١٩٢٠ استطاعت عبور الحدود على مركبة جليدية ثم سيراً على الأقدام إلى موسكو، وسرعان ما اكتشفت أن النظام الجديد لا يرحب بالصحفيين القادمين من أميركا، وقررت السلطات منحها مدة أسبوعين تعود بعدهما من حيث أتت، واستغلت مارجريت وجودها المعترف به، وبدأت تختلط بكل فئات المجتمع مستفيدة من خبرة سابقة في جمع المعلومات وتحليلها، وكسبت ثقة بعض المسؤولين وامتد الأسبوعان إلى شهور.. وظنت أنها أصبحت جزءاً من المجتمع الروسي، إلا أنها في إحدى الأمسيات فوجئت بجندي يتصدى لها ويوقفها ثم يأخذها لتواجه تهمة التجسس لصالح دولة أجنبية، وكانت الشرطة السرية (ئصرز ذصرزظبخ) قد حصلت على رسالة سرية موجهة للاستخبارات الأميركية. وأيقنت مارجريت أنها تعرضت للخيانة من أحد معارفها..

وسرعان ما وجدت نفسها في سجن (ليبيانكا) المعروف، ووضعوها في زنزانة لا يصلها ضوء الشمس لأيام ثم نُقلت إلى غرفة فيها عدد من السجينات، وكن يقمن بتنظيف الحمامات التي يستخدمها ١٢٥ سجيناً، وكانت النسوة يشغلن وقتهن بصيد الفئران، وطبخها، ويشغلن فيما يتبقى من وقت أنفسهن بالترفيه حتى لا يُصبن بالجنون، وإن لم يحل هذا دون إصابة بعضهن بالجنون بالفعل.. وألمت بمارجريت وعكة فنقلوها إلى سجن آخر لتلقي العلاج.

في بالتيمور قام أصدقاء وزملاء مارجريت بحملة لإطلاق سراحها أسهمت فيها الاستخبارات العسكرية، ونجحت الحملة في الضغط على السلطات الروسية وأطلقوا سراحها، وكانت لا تزال تعاني المرض وقد فقدت كثيراً من وزنها، ولكنها لا تزال حية تنبض عيناها بالحياة.. وحين استردت مارجريت صحتها لم تطق الحياة الرتيبة، وبدأت حياة جيدة فقد راحت تطوف العالم وتكتب أدب الرحلات، وشاركت في إنتاج فيلمي (هونج كونج) وجراس (غمخنن) وتزوجت ممثلاً بريطانياً غير أنه لم يعش طويلاً..

وفي عام ١٩٦٧ توفيت الجاسوسة الصحفية، المغامرة، منتجة الأفلام، الرحالة، السيدة الجسور مارجريت هاريسون عن ٨٨ عاماً.

سارة أورنسون.. الجاسوسة التي هدمت الإمبراطورية العثمانية..

سارة أورنسون



سارة أورنسون.. الجاسوسة التي هدمت الامبراطورية العثمانية..

قررت سارة أن تتعرف على جمال باشا المشهور بالسفاح، بهدف الحصول على المعلومات، ودفعه لاتخاذ القرارات التي تخدم الحلفاء في الحرب..

سارة هي فتاة يهودية، كانت تقود شبكة تجسسية من فتيات الهوى في بلاد الشام، كن يجمعن المعلومات من الجنود الألمان والأتراك ويسلمنها إلى الإنجليز وذلك حتى تتم الغلبة للإنجليز، الذين كانوا وعدوا اليهود بفلسطين.

وجمال باشا هو أحمد جمال باشا (١٨٧٣ - ١٩٢٢). هو قائد جيش عثماني، عين في سوريا عام ١٩١٥، وفرض سلطانه على بلاد الشام وأصبح الحاكم المطلق فيها.

أما الحرب فهي الحرب العالمية الأولى التي قاتلت فيها دولة الخلافة ضد الحلفاء من الإنجليز والفرنسيين والروس، وهي الحرب التي انتهت بانتصار الحلفاء، وأعقبها نهاية دولة الخلافة عام ١٩٢٤..

في تلك الفترة كانت مقاليد حكم سوريا الكبرى بيد جمال باشا الكبير،وقد استطاعت سارة أن تتعرف عليه في حفلة "مدبرة" ليعجب بها من أول رقصة!!! وبعد كلمتين وضحكتين وحركتي غنج رفع الراية البيضاء وسلم قياده لها وجعلها عشيقته. وهكذا أخذت تستقي منه ما تشاء من المعلومات وتعبث بعقله في ما يفعل وما لا يفعل في أمور الحكم، وتعمل جاهدة لتوقع البغضاء بينه و بين العرب (المتمثلين بالأمير فيصل حينها).. كل ذلك وصاحبنا جمال نائم في العسل... والنتيجة كانت هزائم مروعة في الجبهات التركية وصراع العرب والأتراك فيما بينهم في الثورة العربية الكبرى، وبالتالي استيلاء الإنجليز على فلسطين وتقاسم الحلفاء للأراضي...

اكتشف جمال باشا، بعد فوات الأوان وانهيار الجيش التركي بالمنطقة، الدور الخفي الذي لعبته سارة أورونسون، وكونها كانت جاسوسة أولا وقبل كل شيء.. فماكان منه الا أن رصد مكافأة مجزية لمن يقبض عليها ويأتى بها اليه، وقد قيل

أن درجة غيظه منها، وحنقه عليها، كانت مخيفة للدرجة التى بعث فى أثرها خيرة ضباطه وجنوده.. بيد أن تتابع الأحداث، والهزائم التي كانت تلحق بقواته، دفعته للتركيز على إعادة تجميع فلول قوات الجيش التركى، والتخطيط له من جديد، فى سبيل إنشاء حائط صد ضد القوات البريطانية..

وكان المفترض بسارة، وقد علمت درجة غيظ الرجل منها، ولهيب الانتقام داخله، أن تبتعد عن وجه جمال باشا للأبد، أو على الأقل أن تظل متخفية إلى حين حتى تهدأ ثورته عليها، وربما تنسيه المواقف العسكرية الحرجة التى يمر بها، أن يفكر في الثأر منها،

إلا أن سارة كانت من الجبروت الذي دفعها للعودة للتجسس على قوات جمال باشا مرة أخرى، فبجرأة تحسد عليها استطاعت التسلل عبر تحصينات عشيقها السابق جمال باشا إلى بيروت دون أن يكتشفها أحد من جنوده، وكانت مهمتها التي تسللت من أجلها إلى عمق تحصينات الأتراك هى رصد الوضع الجديد الذى كانت عليه القوات التركية، بما فى ذلك الوقوف على خرائط ورسومات مخازن الذخيرة والعتاد الحربى، ومناطق التموين للجيش التركى.

وما كان عليها الا أن تبحث عن شاب لبنانى يتمتع بقدر من الذكاء، تمنحه نفسها فى مقابل أن يعاونها فى مهمتها، ويخفيها عن أعين القوات التركية، ورجال جمال باشا قائد الجيش..

وسرعان ما وجدت فريستها المنشودة، وهو يوسف عمران، الثرى صاحب الجاه والنزوة معا!!

ومن خلال علاقاته المتعددة بعلية القوم وصداقاته التى ليس لها حد، استطاعت سارة أن تجمع من خلال وجودها معه،شبه الدائم، قدرا من المعلومات العسكرية الخطيرة، والتى تحوي أدق أسرار الجيش التركى، ثم قامت بإرسال هذه المعلومات عن طريق الحمام الزاجل إلى منطقة عتليت بفلسطين، التي كانت قاعدة انطلاق سارة أورنسون فى عملياتها الجاسوسية.

تحت ضغط الشهوة، والعلاقة الملتهبة مع سارة، وقع يوسف عمران في فخ

الجاسوسية، واستطاعت سارة أن تجنده في مهمتها، وبالفعل خرج الرجل ليقوم بأول عملية له بمنطقة بعلبك بلبنان، ولكنه وقع في أيدي رجال جمال باشا. وفي الحال، وفور علمها بنبأ القبض على العشيق السابق، فرت سارة متنكرة في ثياب راعي غنم، دون أن ترف دمعة واحدة على عشيقها التي كانت في أحضانه منذ ساعات..

أما يوسف عمران، فقد أخضع للاستجواب المرهق، والتعذيب، إلى أن حكم عليه بالإعدام رمياً بالرصاص فى منطقةعالية. وفى فبراير ١٩١٦ اقتادوه لتنفيذ حكم الإعدام فيه، وهو غير مصدق أن حبيبته التى عرفها باسم جين سكودر ماهى إلا سارة أورنسون الجاسوسة الصهيونية المحترفة، والتى كانت تعمل لصالح إنجلترا والصهيونية، وليس كما أقنعته من قبل أنها تعمل لصالح الألمان..!!

أما سارة فقد استخدمها البريطانيون والصهاينة في مهام أخرى، أظهرت زوايا جديدة من زوايا نبوغها وتفوقها،ومن تلك المهام، حمل الرسائل الخطيرة، في فترة لم تكن عرفت الهواتف والبرق، والاتصالات بالأقمار الصناعية والانترنت، ومن الرسائل الخطيرة التى حملتها سارة أورنسون، رسالة كانت من الشريف حسين إلى ولده فيصل فى دمشق، والتى ينبؤه فيها بقرب قيام الثورة العربية..

فهذه الرسالة كانت كفيلة بوقوعها فى يد جمال باشا القائد التركى بقتل فيصل أو إعدامه !! وكانت رحلة التسليم للرسالة سفراً محفوفاً بالمخاطر من القدس إلى دمشق، وقد أدت سارة خطواتها بمنتهى البراعة والذكاء، وبشجاعة تحسد عليها، وبمعاونة أمهر رجالها المتعبدين فى محراب أنوثتها اللعوب،

وكان من معاونيها هؤلاء : ليك ليشانسكى زعيم اليهود البولنديين، وهو عالم الكيمياء المعروف، ونهمان بلكند الإنجليزى اليهودى المتعصب للصهيونية، وجوزيف طويين اليهودى الروسى البارع الذكاء..

وكان يطلق عليهم ولازال لدى المتخصصين فى هذا المجال(عصابة الثلاثة)

كانوا من جنسيات مختلفة، وربما لاتوحدهم لغة واحدة، انما الذى وحدهم : حلم وجسد.. حلم بإقامة دولة لليهود على أرض فلسطين، وجسد يطوفون به، وهو جسد سارة أورنسون..

جوزفين بيكر.. مطربة وممثلة وجاسوسة..



جوزفين بيكر.. مطربة وممثلة وجاسوسة..

المعروف عن المطربة والممثلة الأمريكية السوداء جوزفين بيكر، أنها ولدت في سانت لويس في ولاية ميسوري بالولايات المتحدة سنة ١٩٠٦،، وعاشت حياة صعبة في طفولتها، عملت خادمة في بيوت البيض منذ الثامنة، ثم ذاقت حياة التشرد في الأحياء السوداء في سانت لويس منذ عامها الثاني عشر، وفي الفترة نفسها تعلمت الرقص وأتقنته، ثم توجهت لمسارح نيويورك وهي في الخامسة عشرة من عمرها، ومن نيويورك لباريس سنة ١٩٢٤ حيث افتتحت مسرحا خاصا بها قامت بتقديم عروضها العارية عليه، وحيث حققت نجاحا كبيرا بتلك العروض، وأصبحت بعد فترة قصيرة أنجح الفنانات الأمريكيات في فرنسا، وقدمت ثلاثة أعمال سينمائية بين عامي ١٩٢٧ ـ ١٩٣٥، وفي عام ١٩٣٧ تزوجت جوزفين من الفرنسي جان ليون، وحصلت على الجنسية الفرنسية..

بدأت قصة جوزفين بيكر مع الجاسوسية مع نشوب الحرب العالمية الثانية، إذ لم تتردد بطلة السينما الفرنسية الشهيرة جوزفين بيكر، في أن تجوب العالم بحثا عن المعلومات لتقديمها للحلفاء خلال الحرب العالمية الثانية, من دون ان تلفت الانتباه اليها.

وكانت جوزفين قد رفضت أن تعتلي المسارح في الملاهي التي كان الضباط الألمان يرتادونها، ولذلك تركت باريس عند بداية الاحتلال الألماني. ولجأت الي قصر ميلاند في منطقة دوردون، لكنها لم تمكث هناك مدة طويلة وذهبت إلى جنوب غرب فرنسا لجمع المعلومات حول حشود القوات الألمانية في المنطقة، وذلك قبل أن تبدأ جولة في إسبانيا والبرتغال..

وكانت تنقل معلوماتها بواسطة حبر سري مكتوب علي النوتات الموسيقية الخاصة بها وفي عام ١٩٤٢ اعتنقت جوزفين بيكر مواقف الجنرال شارل ديجول، وقامت بجولة للدعاية لأفكاره في منطقة البحر المتوسط باسم الترفيه عن الجنود، وقد استمرت صداقتها مع الجنرال ديجول بعد انتهاء الحرب واستسلام

ألمانيا، ولقد تم منح جوزفين بيكر رتبة ضابط في القوات الجوية الفرنسية، كما مُنحت وسام جوقة الشرف الأرفع عام ١٩٦١ لدورها في المقاومة والتحرير.

عاشت بيكر ثلاثين عاما بعد الحرب، وعادت لحياتها الفنية، ومجهوداتها من أجل مكافحة العنصرية ضد السود، وفي أبريل من العام ١٩٧٥ كانت وفاتها، عن عمر يناهز الثامنة والستين، وكانت أول امرأة أمريكية تقام لها جنازة عسكرية، وتُغلق من أجلها شوارع باريس، وحملت إلى موناكو حيث دفنت..

لويز دوبيتيني.. ملكة الجاسوسات

الجنرال فون بيسينج



لويز دوبيتيني ملكة الجاسوسات

كثيرة هي قصص جواسيس الحرب العالمية الأولى، فقد جاءت تلك الحرب في فترة تعاظم فيها إدراك الدول لدور المخابرات والجواسيس في صنع الانتصارات، ودفع الهزائم، ومن القصص التي ما زالت تروى في ذلك المجال قصة الملكة.. ملكة الجاسوسات..

لويز دوبيتينيي.. ابنة احدي العائلات الفرنسية، كانت لويز مثل الكثير من سكان شمال فرنسا قد لجأت الي بريطانيا أثناء اجتياح الجيوش الألمانية لبلادها، وعندما قام أحد ضباط الاستخبارات البريطانيين باستجوابها، قدمت له معلومات ثمينة كانت قد جمعتها قبل هربها، وهو ما لفت الاستخبارات البريطانية لإمكانية الاستفادة من بصيرتها الثاقبة ومعرفتها التامة للغتين الإنجليزية والألمانية، وهكذا اقترحت عليها العودة الي المنطقة المحتلة للاستخبار عن الحالة المعنوية، وعن تحركات جيوش الألمان، وتقديم المعلومات للحلفاء، وهكذا دخلت لويز في عالم الجاسوسية.

انطلقت لويز في العالم الجديد، واتخذت اسما مستعارا هو أليس دوبوا، وللتمويه عملت في مهنة بائعة للأقمشة في مدينة ليل، حيث شكلت شبكتها التي ضمت نحو عضوا، واستطاعت الجاسوسة الشابة مساعدة الحلفاء في قصف قطار كان يقل ضباطا ألماناً، وكذلك قصف موكب الإمبراطور غليوم الثاني وهو في طريقه الي مدينة ليل أثناء زيارة سرية له، بعد أن كانت لويز قدمت معلومات دقيقة عن يوم وصول موكبه وساعة هذا الوصول.

اعترفت هيئة الاستخبارات البريطانية فيما بعد بأن شبكة دوبوا (لويز دوبيتينيي) كانت إحدى أكثر المصادر فعالية أثناء الحرب العالمية الأولى، لكن الكماشة كانت تضيق أكثر فأكثر حول الفتاة بمقدار ما كانت تتسع شبكتها، كما كان الألمان قد لجأوا إلى تجنيد مخبرين جدد، بعد أن أصيبوا بخسائر فادحة متلاحقة..

وفي سبتمبر تم إلقاء القبض علي شريكة للويزا تدعي شارلوت، وعن طريقها تم الوصول للويزا وتم اعتقالها أيضاً... في مارس صدر الحكم بإعدام لويز دوبيتيني، ولكن الجنرال الألماني فون بيسينج، حاكم بلجيكا، خفض حكم الإعدام الي السجن٢٧ سنة، بسبب موجة الاحتجاج التي كانت قد واجهته عالميا بعد إعدام الجاسوسة البريطانية إديث كافيل.

أصيبت لويز بالسل في زنزانتها الرطبة ليتم نقلها، بعد شهور طويلة، وبعد أن ساءت صحتها كثيرا، وأيضاً بعد تدخل بابا الفاتيكان وملك إسبانيا، إلى مستشفي سانت ماري في كولن الألمانية، وكان الوقت قد تأخر كثيرا، وماتت قبل يوما فقط من توقيع الهدنة التي كانت ستشهد إطلاق سراحها، و تم دفنها أولا في ألمانيا قبل نقل رفاتها إلى مسقط رأسها في فرنسا، وعمدها الإنجليز بلقب (ملكة الجاسوسات)، ومنحوها بعد موتها وسام الحرب..

ألين جريفيث

ألين جريفيث المرأة العجوز على اليمين



ألين جريفيث..

ولدت ألين في نيويورك عام ١٩٢٣، وبعد ٢١ عاما كانت في إسبانيا غارقة في بحر الجاسوسية..

إبان الحرب العالمية الثانية، كانت المخابرات الأمريكية تبحث عن الشباب المؤهل للعمل في خدمتها، خاصة من الفتيات.. وكان متوقعا أن تلفت ألين أنظار رجال مكتب الخدمات السرية، وأن يتقدم إليها أحد رجالات المكتب ليطرح عليها العمل جاسوسة، بعد أن ظل زمناً يبحث عن مغامرين يتميزون بالقدرة على التحمل، والقوة، إضافة إلى السيرة الذاتية الحسنة، التي لم يلوثها الفساد، وحبذا لو كان العملاء الجدد يعرفون المدن الأوروبية، وقبل هذا يتحدثون عدداً من لغاتها، وكانت الآنسة جريفيث تدخل في هذه الفئة، وقد ذكرت في فصل من كتابها (الجاسوسة لبست الأحمر) إنها ركزت في الكلية على دراسة اللغة الفرنسية، وبعدها الإسبانية..

وحين تم تجنيدها أعجب مديروها باستجابتها للتدريب الشاق، وأظهرت خلال هذه الفترة وإبان عملها جاسوسة فيما بعد، شجاعة في السلوك، وبراعة في الخداع، مع قلب متحجر عند التجربة، وسذاجة وبراءة عند الضرورة مع إخلاص ورباطة جأش في كل الظروف، وقد أثبتت . كما ذكرت في كتابها . أن الجواسيس يجب أن يكونوا من سلالة خاصة، فعملهم السري وبقاؤهم على قيد الحياة يتطلب أن يكونوا دائماً على حذر، وفي احسن حالاتهم يتمتعون بثقة يدفعها إحساس قوي بالولاء، والهدف الذي من أجله يعملون، ويشجعهم ما كلفوا به من واجب على إكمال المهمة دون اعتبار للثمن الذي يدفعونه، سواء أكان ذلك سيكلفهم التضحية بصداقة، أم ارتكاب جريمة أو خيانة من يحبون، إذ يأتي في الدرجة الأولى أداء الواجب..

وفي إسبانيا حيث كلفت بالعمل، وفرت لها الاستخبارات الأمريكية حياة ناعمة مرفهة تناسب مهمتها، إذ لم تكن تملك شقة فارهة فحسب، بل كان يقوم

بخدمتها عدة من الخدم والحشم، ولم يكن ينقصها الطعام أو أي شيء، ووفروا لها الملابس الراقية ليسهلوا عليها الاختلاط بالوسط الأرستقراطي الإسباني..

كانت معظم مهام مكتب الخدمات الاستراتيجية التجسسية الأصعب والأنجح في أيام الحرب العالمية الثانية، تجري في دول محايدة في أوروبا والشرق الأوسط، وكان احتمال احتلال الألمان لإسبانيا يشكل خطراً استراتيجياً جسيماً على الحلفاء، خاصة في الأشهر التي تلت حملة الألمان على شمال إفريقيا عام ١٩٤٢، وعندما كانت خطوط الإمدادات والمؤن تمتد من المناطق التي تسيطر عليها فرنسا إلى الجبهة التونسية.

في أبريل من عام ١٩٤٢ بدأ عملاء مكتب الخدمات الاستراتيجية عملياتهم في لشبونة ومدريد تحت غطاء وزارة الخارجية الأميركية باعتبارهم دبلوماسيين. وفي الشهر التالي قام عملاء المكتب بثلاث مهام ناجحة تحت إشراف هيئة الأركان المشتركة، وتم اكتشاف ما يدل على وجود تعاون عسكري بين إسبانيا وألمانيا النازية، شمل منح تسهيلات للقوات الجوية لدول المحور باستخدام المطارات الإسبانية، كما اكتشف العملاء أن إسبانيا تقدم تسهيلات أخرى للغواصات الألمانية مع تزويدها بالوقود، وأن هناك تعاونا في مجال الخدمة السرية بين مدريد وبرلين، وتعرف عملاء قسم مكافحة الجاسوسية (تمم) التابع لمكتب الخدمات الاستراتيجية الأمريكي (يإإ) على ما لا يقل عن ثلاثة آلاف عميل لدول المحور، وكانت أعمال مكتب الخدمات المكتبية واللغوية تعتمد في معظمها على نساء الجاسوسية، اللائي يُجدن أكثر من لغة بينها الإسبانية والألمانية، وكانت ألين ضمن هؤلاء النسوة..

انهمكت ألين في عملها في مدريد في قسم مكافحة الجاسوسية، حيث كانت تستدعى في أي ساعة من ليل أو نهار لحل شفرة الرسائل السرية التي تصل مكتب الخدمات، وكانت ترأس شبكة تجسس صغيرة، مهمتها التجسس على سكرتير خاص لوزير في الحكومة الإسبانية، وكان عملها الرئيسي يتم بعد ساعات الدوام الرسمية ، بعد أن استطاعت بجمالها الأخاذ وحنكتها في التعامل مع الآخرين الدخول إلى قلب المجتمع الإسباني الأرستقراطي ، وكانت مهمتها

الأولى تتوقف على حسن الاستماع والتنصت، حيث تنقل إلى المكتب الأحاديث اليومية التي تسمعها، والشائعات، وتحلل كل ثرثرة تسمعها قبل أن ترفعها صباح اليوم التالي، مع كل ملاحظاتها عما تحضره من حفلات مسائية تعج بعلية القوم من الأرستقراط الإسبان، وأصدقائهم من كبار المسؤولين الألمان..

كانت ألين جريفيث جميلة، ولماحة، وقد حفلت ملفات الأرشيف الوطني الأميركي بعدد من العمليات التي قامت بها، وكانت كل معلومة تنقل إلى مكتب الخدمات الاستراتيجية تحال بصورة دقيقة لاستخلاص كل ما يمكن أن تشير إليه، فقد تكون المعلومة أشبه بخبر يؤخذ بظاهره بينما يكون الخبر أو المعلومة رسالة شفوية مشفرة تعني تحركات جيوش أو تكليف عملاء بمهام سرية، وأصبحت الجاسوسة ألين جريفيث من أشهر نساء الجاسوسية اللائي يعتمد عليهن مكتب الخدمات الاستراتيجية (بابا)، وقد كتبت عنها كارول بيفير المسؤولة عن الملفات الشخصية للجواسيس: (العميلة ألين واحدة من أكثر النساء العميلات نشاطاً ونفوذاً في أوروبا وأميركا، وقد عملت جاسوسة لمكتب الخدمات خلال الحرب العالمية الثانية، وتزوجت بنبيل إسباني، واكتسبت شهرة عالمية كجاسوسة وسيدة مجتمع، وكانت من القلائل اللائي تم تدريبهن للعمل في أوروبا جاسوسة، وهي سيدة أعمال ناجحة، ومرموقة، ومؤرخة، وناشطة سياسية، ومن محبي الرحلات، ومؤلفة واحدة من روائع القصص العالمية عن حياتها كجاسوسة تحت عنوان)الجاسوسة ارتدت الأحمر)، إضافة إلى عدد من الكتب والقصص الأخرى التي تم نشرها في إسبانيا وبريطانيا وأميركا، وقد كتبت عدداً من الدراسات التاريخية عن إسبانيا في القرن السادس عشر، وعن أميركا الجنوبية وحصدت جوائز وميداليات عن هذا العمل التاريخي، والجاسوسة ألين لها صلة بكثير من قادة العالم، وعملت مستشارة لعدد من وكالات المخابرات العالمية"..

وكتب وليام كيزي زميل الجاسوسة ألين جريفيث خلال الفترة بين عامي ١٩٤٢ ـ ١٩٤٥، ومدير وكالة المخابرات الأميركية ١٩٨١ ـ ١٩٨٧ عن ألين وكتابها (الجاسوسة ارتدت الأحمر) كتب يقول: " زميلتي ألين رومانونس قد ألفت كتاباً رائعاً ومثيراً، استحضرت فيه تلك الأيام الرائعة التي خدمنا خلالها معاً في

مكتب الخدمات الاستراتيجية، وكتابها يعكس في حماس منقطع النظير، وبدقة متناهية، المكائد التي كانت تحاك والمناورات الاستراتيجية بين الخدمات السرية التي كانت تعكس الصراعات بين الحلفاء ودول المحور، كما تعكس الجو الذي كان سائداً آنذاك في الحياة الاجتماعية في إسبانية أيام الحرب.. وقد حفل الكتاب بعدد من الحقائق المذهلة، حيث كشف العداء المستحكم بين السفارة الأميركية والمخابرات الأميركية في إسبانية، وكان كل منهما يضطر إلى تحمل الآخر لنجاح العمليات السرية، وكتبت الجاسوسة ألين في مقدمة كتابها أنها كتبته بأسلوب غير رسمي، حتى لا يقرأ كوثيقة من قبل الذين يجدون متعة في قراءة القصص التي تزخر بالغموض والدسائس والمؤامرات في عالم الجاسوسية.. والكتاب الذي ذكرت في غلافه عبارة (مغامراتي كجاسوسة في الحرب العالمية الثانية) يروي قصتها، قصة فتاة جميلة كانت تعمل عارضة أزياء في مؤسسة هاتي كاتيجي في نيويورك حين تم تجنيدها للعمل في الخدمة السرية، وهو حافل بقصص المطاردات والاغتيالات وحفلات المجتمع الإسباني الراقي التي يختلط فيها كبار النازيين الألمان مع أرستقراطيي إسبانيا وعملاء أميركا، ويروي قصة زواجها بنبيل إسباني لتصبح الدوقة ألين رومانون "..

في عام ١٩٦١ تم تجنيد الدوقة ألين بعد أكثر من عشرين عاماً على نهاية الحرب العالمية الثانية من قبل حلف شمال الأطلسي (ناتو) للكشف عن جاسوس متخفٍّ في عباءة الحلف، واستطاعت استغلال وضعها كدوقة واختلطت بالمجتمع الأوروبي، وقامت بتجنيد دوقة وندسور وعملتا معاً ونجحتا في اكتشاف العميل، وروت هذه التجربة في كتاب آخر بعنوان (الجاسوسة ذهبت للرقص)..

وفي عام ١٩٧٧ التقت الجاسوسة المتقاعدة ألين جريفيث، وكانت تدعى آنذاك الدوقة رومانونس بعد زواجها بالنبيل الإسباني الذي أحبته، رجلاً جذاباً يدعى (كارلوس) وعادت من جديد إلى عمل الجاسوسية الذي تركته زمناً، غير أنها سرعان ما اكتشفت أن زميلها الجديد ليس سوى الإرهابي المعروف كارلوس، وعدلت عن موضوع التجسس بذكائها المعهود.. وروت ذلك في كتابها الرابع (القاتل المستأجر دمث الأخلاق)..

ومهما كان فلن ينسى تاريخ الجاسوسية ألين جريفث التي تميزت بأنها جاسوسة وكاتبة، ومؤرخة، وناشطة سياسية، وسيدة أعمال، ومؤلفة إحدى روائع القصص العالمية..

تانيا راديونسكا.. جاسوسة بالوراثة!!

في كندا عملت تانيا راديونسكا



تانيا راديونسكا.. جاسوسة بالوراثة!!

كان أبوها ضابطا في الشرطة السرية السوفيتية، وقد قررت أن تسلك الطريق نفسه.. وساعدتها مواهبها في ذلك..

حين بلغت عامها الحادي والعشرين (١٩٤٥)، أرسلت الفتاة الجميلة تانيا إلى معهد التدريب على الجاسوسية.. ثم انتقلت إلى مرحلة تدريبية أخرى في مدرسة "جاكزينا"، حيث أنهت تدريبها الأكاديمي على أعمال الجاسوسية العالمية..

كانت الحرب العالمية قد انتهت، وبدأت مرحلة عالمية جديدة من الصراع بين المعسكرين: الرأسمالي الغربي، بقيادة الولايات المتحدة، والمعسكر الاشتراكي الشرقي بزعامة الاتحاد السوفيتي، مرحلة سميت بالحرب الباردة.. حرب بغير قتال مباشر، حرب اعتمدت على التحالفات العسكرية، والدعاية، وتطوير الأسلحة والتقدم الصناعي، وتطوير التكنولوجيا، والتسابق الفضائي.. حرب انشغلت فيها القوتان الكبريان القوتان بالإنفاق الضخم على الدفاع العسكري، والترسانات النووية، والدخول في حروب غير مباشرة باستخدام وسيط -.

وفي خضم هذه الحرب، ازدهرت الحرب السرية..حرب الجواسيس..

اختيرت (تانيا) لدخول بريطانيا بريطانيا والإقامة فيها، فانتحلت شخصية مواطنة بريطانية تحمل اسم (إيلين وندرسون)، وأعطتها المخابرات السوفيتية سلسلة من التدريبات التي جعلتها تبدو واحدة من البريطانيات، ثم منحتها جواز سفر بريطانيا باسمها الجديد..

وفي بريطانيا أصبحت إيلين مواطنة بريطانية بامتياز، وأدت دورها بإتقان يحسدها عليه كبار الممثلين، وفي الوقت نفسه كانت تستعد لأداء مهمتها الحقيقية.. في كندا..

بعد اتخاذها الخطوات اللازمة للسفر، تركت بريطانيا مسقط رأسها الزائف،

وأبحرت إلى كندا في مارس ١٩٥٩، ونزلت في أوتاوا، حيث اختارت ان تلعب دور امرأة في منتصف سني عمرها الثلاثين..

وخلال أربعة أشهر من إقامتها في أوتاوا، استطاعت هذه السيدة الإنجليزية الهادئة التي أحبها الجميع أن تصبح جاسوسة رئيسية، وقد قامت خلال إقامتها في أوتاوا بعمليات قتل وخطف لكل من يشكل خطرا على الشبكة، وكانت تعمل كبائعة في متجر للملابس النسائية، ومع الأيام وجدت أن التزامها بهذا العمل لا يترك لها وقتا كافيا للانصراف إلى نشاط الجاسوسية المتزايد، فتركت عملها وقررت أن تفتح متجرا خاصا بها لتزاول فيه بيع الملابس النسائية.

وفي عطلة ميلاد ١٩٥٩. ١٩٦٠، وأثناء مكوثها في المتجر دخل عليها شاب وسيم فأعجبت به وأعجب بها، وللمرة الأولى بعملها كجاسوسة يقبل قلبها أن تتخلى عن الانطباع الذي أعطته عن نفسها بأنها لا تخرج مع أحد، رغم أنها كانت أذكى الجواسيس السوفييت وأكثرهم حزما، فقد وقعت بالحب وأقامت علاقة مع هذا الشاب استمرت حتى أواخر عام ١٩٦٠ حين اكتشفت أنه ضابط في الشرطة الكندية وتقدم لخطبتها، ووافقت على ذلك بعد أخذ الإذن من موسكو، واستطاعت إيلين بأنوثتها وطرقها الخاصة أن تحصل من خطيبها الضابط على معلومات مفيدة عن الأوضاع العامة.

وقد استمرت في عملها إلى نهاية ١٩٦١، حين تلقت أوامر من رؤسائها بمغادرة كندا بعد أن قدمت للمخابرات السوفييتية الخدمات الجليلة في كندا، وعادت ثانيا راديونسكا إلى موسكو لتستريح بعض الوقت ثم تُزرع في بلد آخر وباسم جديد..

كلير فيليبس.. جاسوسة انتقمت من أعدائها

كلير يستقبلونها استقبال الأبطال في نيويورك بعد إطلاق سراحها..



كلير فيليبس.. جاسوسة انتقمت من أعدائها

كلير فيليبس حالة فريدة في تاريخ الجاسوسية.. لا مفر من الاعتراف بذلك، والسبب ستعرفه في السطور التالية..

كانت الحرب العالمية الثانية مشتعلة في أوربا وآسيا، هتلر وحلفاؤه يحققون الانتصارات الساحقة، والولايات المتحدة تترقب.. تعلم أنها ستجبر على الاشتراك في تلك الحرب يوما ما، فقط حين يتجرأ أحد ويشد ذيل القط.. لم يكن اليابانيون ارتكبوا حماقتهم التاريخية بعد، بتدميرهم الأسطول الأمريكي في بيرل هابور، في ديسمبر من ذلك العام(١٩٤١)، فيعطوا الأمريكان الدافع القوي لدخول الحرب..

في ذلك العام، وفي تلك الأجواء التي يخيم عليها شبح الحرب، حملت السيدة كلير حقيبتها بيد وبالأخرى ابنتها الصغيرة، وغادرت الولايات المتحدة الأميركية على أمل العمل بفرقة غنائية راقصة في مانيلا عاصمة الفلبين، ولما كانت تتمتع بالجمال الأخاذ في الصوت والملامح، فقد قابلها الجمهور بالترحاب، وسرعان ما التقت بضابط من مشاة البحرية الأميركية (اسمه جون فيليبس) أعجب بها، وتحول الإعجاب إلى حب انتهى بزواج عوضها عن زوجها الراحل..

وفي فبراير من العام التالي، حدث ما كان الزوجان يخشيان وقوعه، فقد غزا اليابانيون الفلبين، ولم يستغرق القتال وقتا طويلا، احتل اليابانيون كل جزر الفلبين، وعلمت كلير أن زوجها الضابط قد وقع في الأسر، وأودعه اليابانيون أحد معسكرات الاعتقال..

كان الغزو الياباني للفلبين متوقعا، وتحسبا لصحة الشائعات التي انطلقت بأن اليابانيين قادمون وأن من يقع في أيديهم من المدنيين الأميركيين سيودع السجون والمعتقلات، اتخذت كلير هوية جديدة، وأشاعت أنها إيطالية تزوجت فلبيني فصارت تحمل جنسيته، وأطلقت على نفسها اسم (دوروثي فيونتيس)، وساعدها على حبك قصتها ملامحها التي تشبه ملامح الإيطاليات، ببشرتها التي تميل للسمرة، وشعرها الأسود..

وحين بلغها خبر اعتقال زوجها اتخذت أغرب قرار يمكن أن تتخذه امرأة وحيدة، في بلد أجنبي تحت الاحتلال.. بدلا من أن تعود للولايات المتحدة، أو تنزوي خوفا ويأسا قررت كلير أن تقاوم اليابانيين..

هداها تفكيرها إلى إقامة ناد ليلي لجذب الضباط اليابانيين، ولحل مشكلة التمويل، باعت مجوهراتها، واشترت ناديا سمته (نادي توسو باكي)، التي تعني بالفلبينية "نادي زهرة الكاميليا ".وبدأت مهمتها الجديدة.. وبالفعل بدأ الضباط اليابانيون يترددون على مرقص السيدة (دوروثي)، التي لم يشكوا في كونها أمريكية، تحمل الحقد والعداء لقوم أسروا زوجها وتسببوا في ترملها للمرة الثانية..

كانت إيطاليا الضلع الثاني في مثلث دول المحور، فكان من الطبيعي أن يكون للإيطاليين مكانة خاصة لدى اليابانيين، وهو ما ساهم في تعزيز مكانة كلير، وتوافد ضباط الجيش الياباني على مرقصها..

كانت الفكرة الأولى التي خطرت على بال كلير أن تستغل ما تكسبه من مال في دعم المقاومة الأميركية في ريف مانيلا، وفي تخفيف معاناة الأسرى الذين كانوا يموتون بسبب سوء التغذية، وقهر السجون اليابانية، حيث كانوا يضعون فيها الأسرى في حفر تحت الأرض حتى يصابوا بالجنون أو يلقوا حتفهم.

ورغم أن النادي كان يحتل موقعا هاما، وأن جناحها الخاص كان يطل على الميناء، فإنه لم يخطر ببال كلير أن هذا الموقع يمكن استغلاله إلا عندما تغيرت خطتها في كيفية محاربة اليابانيين، وحدث هذا التغيير عندما علمت أن زوجها قد لقي حتفه بعد أن اضطره اليابانيون إلى سلوك الطريق إلى (باتان) في مسيرة طويلة كان يطلق عليها (مسيرة الموت)..

كان صاحب فكرة هذه المسيرة هو القائد الياباني (هوما)، الذي اكتشف أن الأسرى الفلبينين والأمريكيين يتزايدون بشكل يفوق طاقة المعتقلات اليابانية في مانيلا، فقرر في مارس ١٩٤٢ أن يجعل هؤلاء الأسرى يسيرون على الأقدام إلى معسكر (باتان) الذي يبعد عن العاصمة الفلبينية حوالي ١٠٠ ميل !!

ولما كان في الأسرى جرحى ومرضى، ولما كان اليابانيون قد بدءوا يقدمون لهؤلاء الأسرى منذ يناير من هذا العام نصف مخصصاتهم من الطعام،فقد كان طبيعيا أن يتساقط الأسرى إعياء، فكان اليابانيون يضربونهم لحملهم على المسير، ويقتلونهم لأي سبب، وكانوا يضعون الأسير المتمرد تحت وهج الشمس دون ماء أو طعام أو خوذة، فإذا طلب الماء أعدم، وكان بعض الجنود ينامون فوق أجساد الموتى من زملائهم عندما يجيء الظلام ويسمح لهم بالرقاد، وكانت الرحلة تستغرق أسبوعاً، وفي مرات نادرة كانوا يسمحون للجنود بحمل جرحاهم، وكان فيليبس أحد ضحايا (مسيرة الموت) بسبب سوء التغذية..

بدأت كلير العمل كجاسوسة إضافة إلى جهدها في المقاومة، وقررت أن تستدرج كبار الضباط اليابانيين إلى ناديها الليلي، وتوفر لهم كل سبل الراحة من عناء الحرب أو وعثاء السفر، وكانت تغريهم ومن يتعاون معهم، بالبوح بأسرار تحركات قواتهم ولو على سبيل التباهي بقوة الجيش الياباني وذكاء القادة، وكانت الرقصات والعروض الراقصة تسحر اليابانيين فيفرطون في الشرب ثم تبدأ ترثرة لا تنتهي، وأصبح هذا مصدراً للمعلومات، التي كانت كلير تنقلها لوحدات المقاومة..

كانت هناك كتيبة من فرقة الكشافة الفلبينية المعروفة يقودها نقيب أميركي تعمل كوحدة مقاومة في الجبال المحيطة بالعاصمة الفلبينية مانيلا ولديها أجهزة إرسال، وأصبح جنود هذه الكتيبة ينتظرون المعلومات التي تقدمها لهم كلير كل ليلة، لينقلوا للحلفاء تحركات السفن اليابانية من الميناء وحركات الجنود.

واشتهر الملهى الليلي وازداد عدد اليابانيين، وبدات كلير تحصل على معلومات غاية في السرية، وتحلل بعض المعلومات وتبعث بها إلى مخابرات الحلفاء عند الجبل لتنقل للقيادة، ومما نقلته أن اليابانيين يستخدمون سفن الصليب الأحمر لا لنقل الجرحى بل لنقل الجنود، كما نقلت لهم أن حاملات طائرات يابانية تحرسها مدمرات تترك الميناء إلى جهة ما، وكان تحليلها أنها جميعاً في طريقها إلى)جزر سليمان)، واكتشف الحلفاء فيما بعد أن تحليلها كان صحيحاً..

وكانت تبلغهم أولاً بأول عن النشاط العام في الميناء، مشيرة إلى عدد السفن

التي وصلت وتلك التي غادرت الميناء، والفترة التي استغرقتها صيانة هذه السفن الحربية، وكانت حين تحصل من بعض عيونها على معلومات باللغة الفلبينية تترجمها مباشرة وتبعث بها، ولم تترك رغم نشاطها التجسسي عملها الآخر في تزويد الأسرى بالكينين، لمعالجة الملاريا، وبالطعام والفواكه وحتى بالرسائل التي تصلهم من ذويهم، وذلك بشكل سري، عبر رشوة حراسهم اليابانيين، ورغم أنها لم تكن تستطيع إنقاذ كل الأسرى، فقد استطاعت أن تنقذ الكثيرين رغم ما في هذا العمل من خطورة..

كانت مهمة كلير شديدة الخطورة، وتعتمد على السرية وإخلاص المتعاونين معها وقليل من الحظ، وظلت لعام ونصف العام لا تثير الشبهة، وحين أحست بأن الشكوك بدأت تساور البعض بشأنها، فكرت في الفرار بصغيرتها إلى الجبال، ولكنها تذكرت كيف أن الصغيرة قد أصيبت هناك بالملاريا في مرة سابقة، كما أنها شعرت بأن الحلفاء من جهة، والأسرى من جهة أخرى في أمس الحاجة إليها، فقررت أن تبقى وتستمر في أداء مهمتها برغم كل المخاطر.. ولكنها من باب الاحتياط أودعت ابنتها لدى إحدى صديقاتها، لتكون الابنة في أمان إن ألقي القبض على الأم..

وحدث ما كانت تخشاه، ففي الثالث والعشرين من مايو عام ١٩٤٤ تم إلقاء القبض على أحد الرجال الذين كانوا يشكلون حلقة صلتها بالأسرى، ويبدو أنه حين تعرض للتعذيب ذكر اسمها خلال الاستجواب، ولم تمض ساعات حتى ألقي القبض عليها..

كان اليابانيون يعرفون اسمها الرمزي، وبدأوا ينادونها بهذا الاسم الرمزي، وقرأوا عليها رسالة كانت قد بعثت بها إلى القسيس الملحق بالسجن، وأوهموها بأنهم يعرفون كل ما قامت به من عمليات سرية، واستمروا في استجوابها وتعذيبها، حتى اضطرت في الثاني من نوفمبر عام ١٩٤٤ للاعتراف بالتجسس، وقدمت بعد ذلك للمحاكمة وحكمت عليها المحكمة بالإعدام، وألقيت في سجن مظلم في انتظار موعد تنفيذ الحكم، وفي اليوم التالي وقفت أمام محكمة عسكرية، ووجدت مذنبة بارتكاب أفعال سرية تضر بالإمبراطورية اليابانية، وصدر الحكم هذه المرة بالسجن عشرين سنة.

لم تمكث كلير في سجنها كثيرا، ففي العاشر من فبراير ١٩٤٥ أعلنت اليابان استسلامها..

استسلم اليابانيون وتولى الأميركيون قيادة السجن الذي كانت به كلير، فأطلقوا سراحها، وأسرعت إلى ابنتها، وغادرت الفلبين بلا رجعة وعادت إلى مسقط رأسها بمدينة بورتلاند.

في عام ١٩٤٧ كتبت كلير قصتها في كتاب (التجسس في مانيلا)، وفي عام ١٩٥١ تسلمت كلير (وسام الحرية)، وكانت أول امرأة في أميركا تتلقى هذا الوسام بناء على توصية الجنرال (دوجلاس ماكارثر).. وفي عام ١٩٥١ شهدت الجاسوسة كلير فيلماً سينمائياً عن قصة حياتها بعنوان (كنت جاسوسة أميركية يخن غف شغزمضذغف نكٌّ!)، وتوفيت كلير بعد ذلك بتسع سنوات.. ودخلت التاريخ باعتبارها سيدة ريفية ساذجة، قررت أن تتحول ليس إلى جاسوسة فحسب، بل وأن تقود حركة مقاومة كبرى من حيث الحجم والدقة، وبأسلوب الجاسوس المتمرس..

(ماتا هاري).. نجمة الصباح



(ماتا هاري).. نجمة الصباح

هي أشهر أنثى عرفها تاريخ الجاسوسية.. حتى صارت علما على هذه المهنة الخطرة.. إنها نجمة الصباح.. أو (ماتا هاري)..

كانت تلك الراقصة الهولندية حريصة علي أن تخفي حقيقتها عبر نسج الحكايات الخيالية عن ماضيها، حيث قالت إنها ابنة أسرة من أمراء الهند، أو من سلالة المهراجات.. لكن الحقيقة شيء آخر فهي من مواليد ٧ أغسطس ١٨٧٦ في بلدة لاوردن الهولندية، وابنة آدم زيل، الذي كان يملك معملا لصناعة القبعات في مدينة ليواردن الهولندية، والذي أولاها اهتماما فاق الاهتمام بأخواتها الثلاث..

وبعد أن فقد الأب ثروته، أرسل ابنته للعيش عند أحد أعمامها في لاهاي، وهناك تزوجت من الكابتن رودلف مكليود ذي الأصل الأرستقراطي الاسكتلندي الذي كان يكبرها بعشرين عاما، وأنجبت منه طفلا وطفلة.

بعد وفاة الطفل فجأة وعمره عامان ونصف العام وتزايد الخلافات داخل الاسرة، استحالت الحياة بين الزوجين بسبب طموح ماتا هارى الشديد.. على العكس من زوجها الذى تمسك بوظيفته ورأى فيها كل الفخر لنفسه..

ثم تطور الأمر حتى انفصلا، فحمل الضابط ابنته بعيدا وهو يقسم أن أمها لن تراها مرة أخرى..

فجن جنون (ماتا هاري) وراحت تبحث عن ابنتها فى كل مكان بعد أن تاكدت أن زوجها لم ياخذها معه، وانما تركها فى رعايه اسرة بديلة فى إندونيسيا..

وتملك اليأس من (ماتا هاري) وقررت الرحيل إلى باريس مدينة الجن والملائكة.. في مطلع عام ,١٩٠٤

لم تكن مرجريتا تهتم أبداً بالرقص وفق التقاليد الفنية البوذية كما كانت تدعي، ولكنها مع ذلك بدأت عملها في الصالونات الباريسية بصفة راقصة

شرقية، ولقد نجحت سريعا، ولكنها قالت بعد سنوات: " لم أكن قادرة أبداً علي أداء الرقص بصورة صحيحة، لكن الناس كانوا يأتون لرؤيتي لأنني كنت المرأة الأولى التي تجرأت علي أن تعري بعض مفاتنها أمام الجمهور ".. وتضيف : " كلما زدت من التعري زاد نجاحي، وتهافت علي الكثير من المعجبين..".

ومنذ ذلك الحين اختفت مرجريتا زيل ومدام مكليود لتحل مكانها (ماتا هاري) للإشارة الي أصل هندي مزعوم، وقد أصبحت بعد فترة وجيزة إحدى نجمات باريس، ومن هذه المدينة انطلقت لتغزو أوروبا، من مدريد إلى ميلانو ومرورا بمونت كارلو وبرلين وغيرهما.

ومن المؤكد أن (ماتا هاري) كانت تملك جمالا أخاذا ومفاتن جسدية، جعلت من الرجال المهووسين بهز الوسط لا يستطيعون كبح أنفسهم من حضور حفلاتها والليالي الحمراء التي تحييها. وبالرغم من وجود الكثير من النساء الجميلات في أوروبا في مطلع القرن العشرين-أي في الزمن الذي ظهرت به ماتا كراقصة - الا أنه لم تكن هناك من تستطيع الرقص مثلما ترقص، أو تعرض مفاتن جسدها بنفس طريقة وأسلوب ماتا.

حتى أكثر النقاد المسرحيين اللاذعين أقروا واندهشوا بقدراتها الفائقة في الرقص. وقد كتب أحدهم: " إن الواحد يحتاج إلي كلمات خاصة وكلمات جديدة عندما يريد ان يوضح ذلك الفن المثير الذي كانت تؤديه (ماتا هاري). وربما من السهل أن نقول ان هذه المرأة هي الإيقاع الذي يقدم موسيقي تنساب من ذلك الجسد الفاتن الذي يتمايل طربا مع ايقاعات شرقية يسمعها لأول مرة الرجال الغربيين "..

ولم تسلب ماتا عقول الرجال علي المسرح وحسب، بل إن حتي أسوأ أعدائها، وهو الجاسوس بيير بوتشاردون، اعترف بأنه لم يكن يستطيع منع نفسه من النظر إلى مفاتن جسدها.

وفي برلين أصبحت عشيقة الكولونيل ألفريد كيبير الذي طلب منها أن ترافقه لحضور مناورات الجيش في منطقة سيليزي.

عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى في ١٩١٤ كانت (ماتا هاري) في برلين وهربت منها الي هولندا، حيث حاولت العثور علي ابنتها البالغة آنذاك من العمر ست عشرة سنة. كان زوجها قد وافق على أن ترى ماتا ابنتها، شريطة أن يتم اللقاء في مدينة روتردام، ثم صرح بعد ذلك بأنه ليس ثرياً الي الدرجة التي يمكن له معها أن يدفع تكاليف السفر، وهكذا لم تر (ماتا هاري) ابنتها أبداً.

من هولندا عادت الراقصة الشرقية، الي باريس من جديد، وتدل وثائق أرشيف الجيش الألماني علي أن الاستخبارات الألمانية قد جندتها في هولندا خلال شهر يونيو ١٩١٥ تحت رمز (العميل هـ ٢١)..

حصلت علي تأشيرة دخول لفرنسا بقصد الإقامة وتأشيرة دخول مؤقتة لبريطانيا، لأنه لم يكن الوصول إلى فرنسا ممكنا عبر بلجيكا المحتلة، أو عبر منطقة شمال فرنسا.. وفي بريطانيا قامت شرطة سكوتلانديارد بتحقيق روتيني مع الراقصة، ولكنها أرسلت بعد ذلك مذكرة لفرنسا، التي كانت (ماتا هاري) قد وصلتها، تطلب فيها عدم منح ماتا تأشيرة للعودة من جديد إلى بريطانيا بسبب سلوكها الغامض.

استعادت (ماتا هاري) أمجادها في باريس، حيث لم تكن تخضع لأي رقابة خاصة.. وقد كان حولها عدد كبير من العشاق أغلبيتهم الساحقة من الضباط الألمان، اذ صرحت فيما بعد بأنها كانت دائما مأخوذة بالزي العسكري، وقالت: أفضل كثيرا أن أكون عشيقة ضابط فقير علي أن أكون عشيقة مصرفي غني.

وبعد عودة لفترة قصيرة من الزمن إلى هولندا، واجهها رفض السلطات الإنجليزية منحها تأشيرة مرور للوصول إلى فرنسا، ولا شك بأنها كانت قد أصبحت محروقة، لكنها لم تتخل مع ذلك عن مشروعاتها وإنما غيرت فقط خط سيرها وقررت المرور بإسبانيا.

بعد عودتها من جديد إلى فرنسا قبلت ماتا أن تعمل، بعد تردد، لحساب جهاز مكافحة التجسس الفرنسي، بعد استخدام ورقة الشكوك الحائمة حولها بأنها جاسوسة المانية، ولكن في ١٧ فبراير ١٩١٧ تم إلقاء القبض عليها سراً، حيث

كانت تقيم في أحد الفنادق الواقعة في جادة الشانزيليزيه، واقتيدت الي سجن سان لازار، حيث تعرضت للتحقيق مدة أشهر كاملة نفت فيها وجود أي علاقة لها مع الاستخبارات الألمانية، وحاولت أن تثبت أن الأموال التي تتلقاها مصدرها عشاقها المختلفون، لكن قاضي التحقيق العسكري توصل الي نتيجة نهائية أكد فيها أن الجاسوسة تتلقي الأموال من الألمان مقابل خدمات تقدمها لهم.

وهناك رواية أخرى لما حدث

كان رقصها الرائع وذلك الثعبان الضخم الذي تستعين به (ماتا هاري) في رقصاتها، سببا في جعل شهرتها تبلغ الآفاق.. ليس في باريس وحدها بل انتقلت الي كل أنحاء فرنسا.. وإلى خارجها إلى أوروبا.. رغم عدم تقدم وسائل الاتصال في ذلك الحين..

واستمرت (ماتا هاري) في عملها وشهرتها حتى فوجئت فى أحد الايام بأحد ضباط المخابرات الألمانية فى حجرتها بعد أن انتهت من رقصتها..

وعرض عليها العمل مباشره لحساب الألمان.. ولا أحد يدري لماذا قبلت (ماتا هاري) العمل لحساب الألمان: أهو انتماء فكري إلى الحضارة الألمانية، أم بغض للفرنسيين الذين يتعاملون معها كراقصة ملهى أم أنه حب المغامرة والإثارة ؟..

لا أحد يدري..

المهم أن (ماتا هاري) وافقت على العمل لحساب الألمان وبدأت في توطيد علاقاتها بالمسئولين الفرنسيين، وكبار قادة الجيش وبدأت المعلومات العسكرية تتسرب إلى الألمان على نحو أقلق رجال الأمن الفرنسيين، ودفعهم للبحث عن سر تسربها....

وأحاطت الشبهات بـ(ماتا هاري).. كانت أكثر المقربات للمسئولين ورجال الجيش، والدبلوماسيين الفرنسيين، ولكن كل هؤلاء أكدوا أن علاقاتهم بها لم تتطرق أبدا إلى الأسرار السياسية أو العسكرية..

ولكن شكوك رجال الأمن لم تبتعد عن (ماتا هاري)..وفي إصرار راح طاقم أمن فرنسي كامل يراقب (ماتا هاري) ليلا و نهارا،على أمل العثور على دليل إدانة واحد، يتيح لهم إلقاء القبض عليها ومحاكمتها...

ولكن شيئا من هذا لم يحدث...

لقد ظلت (ماتا هاري) على علاقاتها بالجميع، دون أن ترتكب خطأ واحدا أو تترك خلفها دليلا ولو -بسيطا- في حين استمر تسرب الأسرار العسكرية بلا انقطاع.

وهنا قفزت إلى ذهن أحد رجال الأمن فكرة.

لم لا تكون (ماتا) قد استغلت علاقاتها بالدبلوماسيين، وراحت تنقل رسائلها إلى الألمان عبر الحقائب الدبلوماسية التي لا يجوز اعتراضها أو تفتيشها.

وكانت فكرة لا بأس بها بالفعل... فكرة تستحق أن توضع موضع التنفيذ...وعلى الرغم من أنه لا يجوز اعتراض الحقائب الدبلوماسية أو فحصها وتفتيشها فقد نجح رجال الأمن الفرنسيين في التقاط خطابات باسم (ماتا هاري) من إحدى الحقائب الدبلوماسية، وراحوا يفحصونها، ويمحصونها، ويدرسونها بكل دقة، وعلى الرغم من هذا لم يعثروا على دليل واحد...

كانت (ماتا هاري) تستخدم أسلوب شفرة شديدة التعقيد في مراسلة عملاء ألمانيا خارج فرنسا...

أسلوب يصعب إن لم يكن من المستحيل فك رموزه وحله...

وثارت ثائرة رجال الأمن عند هذه النقطة...

ودب الخلاف والشقاق بينهم...

كان بعضهم يرى ضرورة إلقاء القبض على (ماتا هاري) قبل أن تنقل إلى الألمان أسرارا مخيفة قد تؤدي إلى هزيمة فرنسا، في حين يرى البعض الآخر أن إلقاء القبض عليها دون دليل ينذرها بشكوكهم دون أن يكفي لإدانتها...

ولأن الجو كان مشحونا بالتوتر في هذه الأيام فقد تغلب صوت الحذر على صوت العقل...

وتم إلقاء القبض على (ماتا هاري) عام ١٩١٦ م ومحاكمتها بتهمة الجاسوسية.

وحدث ما توقعه الطرف الثاني تماما.. لقد أنكرت (ماتا هاري) التهمة بشدة، واستنكرتها، وراحت تدافع عن نفسها في حرارة وتؤكد ولاءها لـ فرنسا، واستعدادها للعمل من أجلها.

وبدلا من أن تنتهي المحاكمة بإدانة (ماتا هاري) بتهمة الجاسوسية انتهت باتفاق بينها وبين الفرنسيين، للعمل لحسابهم والحصول على أية معلومات سرية لهم، نظرا لعلاقاتها القوية بعدد من العسكريين والسياسيين الألمان....

والعجيب أن الفرنسيين وافقوا على هذا، وأرسلوا (ماتا هاري) بالفعل إلى مهمة سرية في بلجيكا حيث التقت ببعض العملاء السريين الفرنسيين هناك وقدمت لهم العديد من الخدمات النافعة...

ولقد عملت (ماتا هاري) بالفعل لحساب الفرنسيين فى حماس وإخلاص.. كذلك لحساب الألمان. ولكن اللعب على الحبلين لا يدوم طويلا.. خاصه مع الألمان.. الذين اكتشفوا الأمر..

وأرادوا أن يردوا لها الصاع صاعين..

وبدأ الألمان فى مراسلتها بشكل صريح..

لقد أرسلوا لها خطابات شفرية، مستخدمين شفرة يفهمها الفرنسيون جيدا، مما جعل الفرنسيين يلقون القبض على ماتا مرة ثانية.... بتهمة التجسس مع وجود الخطابات كدليل هذه المرة..

وفي هذه المرة لم تنجح ماتا في إقناع الفرنسيين ببرءاتها..

وتوسلت.. واستجدت وأشارت إلى تعاونها مع الفرنسيين..

ولكن أحداً لم يستمع إليها..

ومرة أخرى تمت محاكمة(ماتا هاري) في باريس....

وفي ٢٤ يوليو ١٩١٧ بدأت محاكمة (ماتا هاري) في جلسات مغلقة بقصر العدل بباريس، واستمرت محاكمة جاسوسة القرن يوما ونصف اليوم.

وفي الخامس عشر من أكتوبر في عام ١٩١٧ ارتدت (ماتا هاري) التي كانت تبلغ من العمر ٤١ عاما، قفازات طويلة وصلت إلى مرفق اليدين مع معطف أزرق داكن.. انطلقت تتمايل أمام حظيرة الإعدام، وتحرك ردفيها بتلك الطريقة التي طالما أثارت الكثير من العسكر ممن كانوا يحضرون حفلاتها الراقصة، وذهب البعض للقول إنها أرسلت في الهواء قبلاتها للجنود الذين كانو يصوبون بنادقهم نحوها لتنفيذ حفلة الإعدام التي حضرها جمهور غفير.

لم تكن تلك المرة الأولي التي تستعرض بها ماتا أمام الجنود لكنها كانت المرة الأخيرة..

باندا ماكلويد.. ابنة ماتا هاري

رودلف ماكلويد والابنة باندا



باندا ماكلويد..ابنة (ماتا هاري)

شاء القدر أن ترث الفتاة الجميلة باندا ماكلويد حسن أمها، وحيويتها، وذكاءها.. والأخطر.. أن ترث مهنتها..

هناك روايتان بخصوص ترك (ماتا هاري) لابنتها الوحيدة، الرواية الأولى تقول :

في سنة ١٩٠٣، قررت (ماتا هاري) أن تترك جاكرتا (أو باتافيا كما كان اسمها في تلك الفترة)، وأن تتوجه لباريس، وليس معروفا للحظة لماذا اختارت باريس ولم تعد لبلدها هولندا، ولكن الثابت أنها تركت لدى أحد معارفها الإندونيسيين وزوجته أغلى ما يمكن أن تتركه المرأة وديعة.. تركت ابنتها ذات الثلاثة أعوام في كنف الإندونيسي، الذي كان يعمل ساقيا في أحد النوادي الليلية، وقد منح الساقي الطفلة الجميلة شهادة ميلاد حملت اسم "باندا ماكلويد "، وكأنه أراد أن يعبر بذلك الاسم الأسيوي ـ الأوربي عن الأصول المختلطة للفتاة، التي كانت ثمرة لعلاقة حب بين الراقصة الهولندية وشاب إندونيسي لم يذكر التاريخ اسمه..

وفي كوخ الساقي الوفي في أطراف باتافيا تربت الصغيرة باندا، وكل ما تعلمه عن أمها أنها تعيش في أوربا، وأنها ترسل لها الملابس الجميلة، والنقود الكثيرة، وترسل الخطابات بانتظام لأبويها الإندونيسيين، وأن أمها ذات جمال باهر ، علمت ذلك من الصور التي كانت الأم ترسلها مع الخطابات، بخلاف ذلك لم تكن باندا تعلم عن حقيقة الأم شيئا..

أما الرواية الثانية، فتقول إن (ماتا هاري) انجبت باندا من الكابتن جون ماكلويد، الذي تزوجته (ماتا هاري) في هولندا، وحين نشبت بينهما الخلافات طلقها،، فحمل الضابط ابنته بعيدا وهو يقسم أن أمها لن تراها مره اخرى.. وتركها للزوجين الإندونيسيين..

فجن جنون (ماتا هاري) وراحت تبحث عن ابنتها فى كل مكان بعد أن تاكدت أن زوجها لم ياخذها معه، وإنما تركها فى رعايه أسرة بديلة فى إندونيسيا..

وتملك اليأس من (ماتا هاري) وقررت الرحيل إلى باريس.. في مطلع عام ١٩٠٤ .

وحين اندلعت الحرب العالمية الاولي في ١٩١٤ كانت (ماتا هاري) في برلين وهربت منها إلى هولندا، حيث حاولت العثور علي ابنتها البالغة آنذاك من العمر ست عشرة سنة، كان زوجها قد وافق على رؤية ابنتها، بعد تبادل عدة رسائل علي ذلك، شريطة ان يتم اللقاء في مدينة روتردام، ثم صرح بعد ذلك بأنه ليس غنيا الي الدرجة التي يمكن معها ان يدفع تكاليف السفر، وهكذا لم تر (ماتا هاري) ابنتها ابدا..

والأرجح أن الرواية الثانية أقرب للحقيقة، وأيا ما كان الأمر، فقد عاشت باندا سنوات طفولتها ومراهقتها كأي فتاة في مثل ظروفها، ألحقها والدها بالتعليم فنالت قسطا منه، أهَلها لتجد مكانا في المجتمع كفتاة اختلطت في عروقها دماء الهولنديين بدماء أبناء جاوة، فصارت في منطقة اجتماعية ثالثة بين أبناء البلد الرازحين تحت الاستعمار، والسادة المستعمرين القادمين من أوربا..

حتى عامها التاسع عشر لم تكن باندا تعلم أنها ابنة (ماتا هاري) أشهر جاسوسة في التاريخ، وأن أمها أعدمت قبل ذلك بعامين في باريس، وقد جاءت لحظة التنوير (كما يقولون بلغة الدراما) حين تقدم لخطبة الفتاة أحد كبار الموظفين في الحكومة الهولندية، هنا في تلك اللحظة أدرك الأبوان أن عليهما أن يخبرا الفتاة بحقيقة أمها، وبنهايتها المأساوية..

بعد ثلاثة أشهر من ذلك اليوم الذي عرفت فيه باندا قصة أمها، واطلعت فيه على الخطاب الأخير الذي كتبته لها أمها قبيل إعدامها، تم زفافها على السيد "ويلهلم فان ديرين "، ورغم فارق السن الكبير بينهما فقد عاشت باندا مع زوجها عامين من السعادة والهدوء، حتى جاء ذلك اليوم الذي توفي فيه السيد "فان ديرين" بحمى استوائية مفاجئة لم تكن معروفة في ذلك الوقت، ليترك زوجته الشابة ذات الواحد والعشرين عاما وحيدة في صدمتها وحزنها..

مع الوقت بدأت الأرملة الشابة في تجاوز صدمتها والعودة للحياة.. وساعدتها الثروة التي تركها لها زوجها الراحل في دراسة الآداب والفنون، والاختلاط بصفوة المجتمع من فنانين ومفكرين وأدباء وسياسيين، حتى أصبح بيتها صالونا تجتمع فيه النخبة من مجتمع باتافيا الأرستقراطي، يتناقشون في الفنون والآداب والسياسة.. وبدأت حياة الأرملة الجميلة في الازدهار لولا أن اندلعت الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩..

فمع دخول اليابان الحرب بجانب ألمانيا وإيطاليا، راحت الجيوش اليابانية تجتاح المستعمرات البريطانية والهولندية في آسيا.. وما هي إلا شهور حتى تغيرت الأوضاع تماما في الجزر الإندونيسية.. فر الهولنديون أمام الجحافل اليابانية، وصار القنصل الياباني "ياكيماتو" هو الحاكم الجديد لجزيرة جاوة، وعاصمتها باتافيا.. حيث تعيش باندا..

لم تقلق باندا كثيرا، فهي لم تكن تهتم بالسياسة، ولا يهمها أن تنتقل إندونيسيا من الاستعمار الهولندي للاستعمار الياباني، صحيح أن أمها هولندية، وجاسوسة سابقة، ولكن تلك المعلومة كانت سرا تطويه بين جوانحها، ولا يعلمه أحد سواها ووالديها الإندونيسيين، ومن شأن ملامحها الأسيوية أن تنفي عنها كل الشكوك في ولائها للهولنديين..

ورغم ذلك فقد تغيرت الأوضاع كثيرا في جاوة بعد الاحتلال الياباني، فقد تقلص الصالون الأدبي والفني الي كانت تعقده باندا تقلصا واضحا، وأصدر الحاكم العسكري الياباني مرسوما يحرم فيه اختلاط الجنود اليابانيين بالفتيات المختلطات في إندونيسيا، وسارت أقاويل عن شك اليابانيين في ولاء هؤلاء الفتيات للهولنديين.ومع تلك العزلة التي بدأت تضرب على باندا باعتبارها واحدة من المختلطات فكرت في الهرب من جاوة، لولا ما حدث في ذلك اليوم من مايو ١٩٤٣..

جاءها ذلك الزائر وعرض عليها صفقة بسيطة واضحة : أن تعمل لحساب الكمبتاي (جهاز المخابرات الياباني) أو تدفع الثمن.. ثمن أنها ابنة (ماتا هاري)

الجاسوسة الشهيرة، بكل ما يعنيه ذلك كشف تلك المعلومة من ازدراء، وشكوك، وتحقيقات، واعتقال.. وثمن أنها أرملة لموظف هولندي سابق، فمن السهل أن تعتقل لأجل ذلك وتتهم بالولاء للهولنديين قوم زوجها وأمها، وأن تخسر كل شيء..

لم يكن أمامها سوى الموافقة..وبدأت عجلة القطار في الدوران..

بعد تلك الزيارة بأسابيع، عاد صالون باندا ماكلويد يستأنف نشاطه، وكان المطلوب منها أن تنقل لليابانيين ما يدور في صالونها من أسرار وأحاديث من أبناء الجاليات الأجنبية، والسياسيين الأجانب والدبلوماسيين، ورجال المقاومة الإندونيسية، وغيرهم من المثقفين والزوار الأجانب، الذين بدءوا يتوافدون على الصالون ويعتبرونه متنفسا لهم من الأوضاع الخانقة التي فرضها اليابانيون على البلاد، وأن تبلغ رجال الكمبتاي عمن تساورها الشكوك بشأنه من زوار صالونها، وكانت المكافأة هي الحياة الناعمة التي عادت إليها باندا تحت حماية المحتل، وإغراقها بالهدايا والأموال من ضيوفها، والكمبتاي، والأهم.. كتمان السر الرهيب..

خلال الشهور التالية التزمت باندا باتفاقها مع اليابانيين، وعملت لحسابهم بحماس معقول، واستطاعت أن ترشدهم إلى عدد من عملاء الحلفاء وأعضاء المقاومة الإندونيسية، وكان من الممكن أن تسير الأمور على هذا النحو حتى انتهاء الحرب لولا التحول الذي حدث في حياة باندا في أواخر العام ١٩٤٣.. لقد وقعت في الحب..

وكأن قدر الأم كان ينادي الابنة، أحبت باندا شابا إندونيسيا يصغرها بـ ١٢ عاما، كان قائدا للحرس الوطني الإندونيسي، وكان مسلما، اشتهر بجاذبيته ووسامته الأسرة، وقد بادلها الكولونيل عبد الله الحب، واتفقا أن تظل علاقتهما طي الكتمان.. ومع الحب بدأت مشاعرها تتغير.. بدأت تشعر بالذنب تجاه أصدقائها رواد الصالون، الذين قتلهم اليابانيون بناء على وشايتها.. لقد وعدها اليابانيون أن يعتقلوا من تبلغ عنهم وحسب.. ولكنها اكتشفت أنهم يقتلونهم دون رحمة.. وفي الوقت نفسه صارحها حبيبها عبد الله بأنه عضو في منظمة سرية لمقاومة الاحتلال الياباني، منظمة هدفها ضرب الخطوط الخلفية لليابانيين

وإقلاقهم حتى يحين موعد وصول الحلفاء، وأنه يستغل منصبه لخدمة المنظمة.. والأهم أنه عرض عليها الانضمام إليهم، بأن تكون جاسوسة لهم على اليابانيين.. وكما فعلت الأم منذ سنين وافقت الابنة أن تكون جاسوسا مزدوجا..

واصلت باندا عملها مع اليابانيين ظاهريا، وصار قلبها وعقلها مع عبد الله والحلفاء، ومع انتصاف عام ١٩٤٤، كان موقف دول المحور، ومن بينها اليابان يسوء، وكان صالون باندا هو المتنفس للجنرالات اليابانيين، يفرغون فيه عصبيتهم وقلقهم من مسار المعارك.وأسرارهم، التي كانت باندا تنقلها بنشاط وإخلاص لحبيبها الكولونيل.. ومنه لمخابرات الحلفاء، عبر اللاسلكي، أو عبر غواصات بريطانية تلتقي في جوف الليل مع أعوان الكولونيل من الصيادين الفقراء، الذين يخرجون بقواربهم لعرض المحيط طلبا للرزق..

ومع الأيام كانت خبرات باندا في عالم الجاسوسية تنمو وتزداد، ويزداد معها حماسها، وزادت خطورة الأسرار التي تنقلها للحلفاء عبر حبيبها عبد الله، حتى إنها تمكنت ذات يوم من الوصول لوثيقة يابانية تحدد أماكن تجمعات الجيش الياباني في إندونيسيا، والأسلحة التي يمتلكونها، وأعدادها، وتوزيعها، وأماكن إخفائها، وأنواعها، ومخازن الذخيرة، وما تحويه، والاحتياطي، وكميته، والخطط التي وضعت لمواجهة أي غزو بريطاني لتلك الخطط، والخطط البديلة لتلك الغزو.. وخلال أيام كانت تلك الوثيقة الخطيرة في أيدي الحلفاء !!

وبعد أشهر قليلة، في العام ١٩٤٥، كانت تلك المعلومات سببا في الانتصار الساحق الذي حققته القوات البريطانية في الجزر الإندونيسية ، وانسحاب اليابانيين منها.. وكان انسحاب اليابانيين معناه عودة الهولنديين لحكم الجزر الإندونيسية.. وبدء مرحلة أخطر في حياة باندا ابنة (ماتا هاري)..

طلب الكولونيل من حبيبته أن تقوم بالدور الي لعبته مع اليابانيين، ولكن هذه المرة مع المحتل الهولندي، خدمة للمقاومة الإندونيسية التي كانت تسعى للاستقلال عن المحتلين كافة..

عاد الهولنديون.. وعاد صالون باندا للتألق، فقد أصبحت الأرملة الشهيرة

رمزا من رموز مقاومة اليابانيين، بعد أن كشفت الصحف الأوربية عن الدور الذي قامت به باندا في خدمة الحلفاء، وفي الوقت نفسه تظاهرت الأرملة المختلطة بكراهيتها للإندونيسيين واشمئزازها منهم، فزادت ثقة الهولنديين بها..

كانت المقاومة الإندونيسية للاحتلال الهولندي تشتد يوما بعد يوم، وأعلنت قيام الولايات المتحدة الإندونيسية، وكانت لعبة الجاسوسية في إندونيسيا تستقطب أطرافا جددا، كان الصينيون قد دخلوا على الخط، والأمريكيون.. وكانت باندا تواصل عملها بحماس في خدمة المقاومة الإندونيسية، واستطاعت أن تمدهم بالمعلومات التي تساعدهم في مواجهة الشراسة الهولندية.. حتى كانت الزيارة الثانية التي قلبت حياة باندا للمرة الثالثة..

كان عام ١٩٤٨ يقترب من نهايته، وكان الزائر أمريكيا هذه المرة، يحمل لها نبأ مصرع حبيبها الكولونيل.. ويحمل التهديد ذاته : تهديد بكشف حقيقة أمها، وتهديد آخر بكشف علاقتها مع المقاومة للهولنديين، بما يعني الاعتقال والإعدام.. ولم يكن أمام باندا، التي خسرت حبيبها وأملها في الحياة الهادئة المستقرة، إلا الموافقة على العمل لحسابهم.. الأمريكيين هذه المرة..

بعد ثلاثة أشهر بدأت عملها لصالح سادتها الجدد.. وكان عليها أن تغادر جاوة، وإندونيسيا كلها إلى شنغهاي..في الصين الشعبية..

ظهرت في الصين في شخصية ممرضة في هيئة الإغاثة الدولية، ثم أصبحت ساقية في البار الدولي بشنغهاي، ثم انتحلت صفة زوجة لمبشر هولندي، وكان المطلوب منها أن تمد السي آي إيه بالمعلومات عن تحركات الشيوعيين في أرجاء آسيا، وبالفعل قامت بإمداد رؤسائها الجدد بالمعلومات الصحيحة الوفيرة، كما بعثت بمعلومات خطيرة عن مساعدات ماوتسي تونج قائد الثورة الشيوعية الصينية لقوات فيتنام الشمالية، كما أرسلت أول خبر عن الوقت المناسب للتدخل الشيوعي في كوريا..

هكذا نشطت زهرة الشمس في العمل لصالح الأمريكيين، خلال العامين التاليين، في جرأة وشجاعة أقرب للانتحار .. حتى جاء يوم ٢٤ ديسمبر , ١٩٥٠.

ففي ذلك اليوم كان الفصل الأخير في حياة باندا، قبلها بأيام كانت قد فرت من الصين لتقع في أيدي السوفييت، الذين عرفوا شخصيتها الحقيقية، وبدوا على علم بتاريخها كله، وكما يحدث كل مرة، عرضوا عليها العمل معهم، ولكن يبدو أن الزهرة كانت قد سأمت الحياة، بحق، وسأمت التنقل بين أجهزة المخابرات، يبدو أنها استعادت تاريخ أمها في تلك اللحظات، وتذكرت الخطاب الذي كتبته لها الأم قبيل أن ينصبوها أمام كتيبة الإعدام.. يبدو أن باندا التي تجاوزت الخمسين أرادت أن تعتزل عالم الجواسيس وأن تلحق بأمها التي لم ترها إلا عبر الصور القديمة.. ولأن السوفييت لا يضيعون وقتا، ولأن الرفض كان قاطعا من باندا.. فقد نفذت كتيبة الإعدام الحكم بصرامة وسرعة.. وكأنه التاريخ يعيد نفسه..

المس بيل.. صفحة مجهولة من تاريخ الجاسوسية

المس بيل مع الملك فيصل ومرافقين عراقيين وبريطانيين

لمس بيل في أصلها البريطاني.. المس بيل عام ١٩٠٩







المس بيل.. صفحة مجهولة من تاريخ الجاسوسية

ولدت جرترود لوثيان بيل عام ١٨٦٨ في مقاطعة يوركشاير ببريطانيا، وهي ابنة السير هيو بيل، وحفيدة السير إسحق لوثيان عالم الكيمياء، وكان أبوها واحداً من كبار رجال الصناعة المعروفين في بريطانيا.

درست في كلية الملكة في لندن، وأتمت تعليمها في إكسفورد، حيث نالت شهادة التفوق في التاريخ، ثم بدأت بدراسة اللغة العربية، وزارت طهران عام ١٨٩٢، ومكثت هناك عدة سنوات، وكان خالها السير فرانك كافندش لاسلز يعمل سفيرا لبريطانيا في إيران، وترجمت في أثناء إقامتها هناك ديوان حافظ الشيرازي من الفارسية إلى الإنجليزية، وأعدت كتابا عن إيران، ثم عادت إلى بريطانيا واشتغلت في علم الآثار.

وبدأت في عام ١٨٩٩ مجموعة رحلات واسعة في البلاد العربية، فزارت فلسطين عام ١٩٠٠، ثم زارت سورية، وألفت كتابها "سورية: البادية والمعمورة"، وزارت العراق، وقامت بجولات مسحية للعراق من شماله إلى جنوبه، تلتقي الناس في المدن والأرياف والبوادي، ثم أقامت في حلب وشمال العراق، وسافرت إلى تركية، ورجعت إلى دمشق عام ١٩١١ لتغادرها مرة أخرى إلى العراق.

وقد وضعتها السلطات العثمانية تحت الرقابة لاعتقادها أنها جاسوسة بريطانية، وصدر أمر بالقبض عليها، ولكنها انتقلت بسرعة إلى حائل في شمال الجزيرة العربية، ثم عادت إلى العراق، وعادت إلى لندن.

وفي عام ١٩١٥ عملت في القاهرة في المخابرات البريطانية/المكتب العربي، وقد اجتمعت في أثناء عملها هناك بلورنس العرب وهوفارت لتخطيط سياسة المكتب العربي، واستطاع هذا الثلاثي (بيل، لورنس، وهوفارت) تشكيل السياسة البريطانية تجاه المنطقة العربية.

وفي عام ١٩١٦ أرسلها المكتب العربي في القاهرة إلى العراق مع الحملة

البريطانية باعتبارها خبيرة في الشأن العراقي، وكانت صفتها المعلنة أنها عالمة آثار، وتعرفت في العراق على المقدم برسي كوكس وجون فيلبي، ثم عينت بصفة المعاون السياسي للحاكم البريطاني في العراق.

عملت بيل في العراق في الاتصال والتنسيق مع القبائل العربية، وتجنيد العملاء، وفي إدارة المفاوضات والعملية العسكرية الاحتلالية للمنطقة، وبعد أن احتل الجيش البريطاني العراق أقامت في بغداد عام ١٩١٧، وعرفت هناك بلقب الخاتون، وترأست تحرير جريدة العرب، وأصدرت كتاب "عرب ما بين النهرين".

وشاركت بيل عام ١٩٢١ في المؤتمر الذي عقد في القاهرة لبحث مصير العراق، ثم سافرت إلى سورية وفلسطين، وتوفيت في بغداد عام ١٩٢٦ بعد سنوات حافلة بالعمل السياسي والاستخباري والاستكشافي.

وقد كتبت في أثناء عملها وإقامتها في العراق والبلاد مجموعة من الرسائل نشرت في مجلدين، ثم ترجمت مؤخرا إلى العربية.

يقسم المؤرخ عبد الحميد العلوجي رسائل المس بيل زمنيا إلى الفترات التالية:

- ١٩١٧ - ١٩١٨وتمتاز هذه الفترة بنشاط بيل في جمع المعلومات والتجسس والرحلات والفعاليات الكبيرة والمهمة، وكانت سلطات الاحتلال البريطاني تعتمد عليها اعتمادا كبيرا.

- ١٩١٨ -١٩٢٣ وكان نشاطها في هذه الفترة سياسيا في مواجهة الحكم الوطني العراقي والبلاط الملكي.

- ١٩٢٤ - ١٩٢٦ وبدأت أهميتها تتراجع، وتبخرت أحلامها في تولي مناصب كبرى في الإدارة البريطانية، وشعرت أن دائرة المندوب السامي البريطاني استغنت عن خدماتها في القضايا الأساسية، واستبعدتها من المفاوضات والمشاورات المهمة، وانحصر عملها في دائرة الآثار ومكتبة السلام والنشاط الاجتماعي، وعاشت منزوية لوحدها.

وتعد هذه الرسائل من المصادر المهمة التي لا تقل عن مدونات الرحالة

الأجانب وسجلات شركة الهند الشرقية، ومؤلفات الحكام السياسيين الذين عملوا في العراق.

تكشف الرسائل التي كانت تبعثها بيل عن نشاطها في جمع المعلومات والتنسيق والاتصال مع العشائر، فقد أعدت خريطة للعشائر العراقية، وقد رتبتها حسب الحروف الأبجدية، وطبعتها على الآلة الكاتبة بعدة نسخ لجميع القوة وأفراد الإدارة البريطانية، وقابلت عددا كبيرا من شيوخ العشائر وأفرادها، ورتبت الاتفاقيات معهم بالإضافة إلى جمع المعلومات.

وقد لاحظت بيل الفروق بين السنة والشيعة وإمكانية استخدام هذا التناقض، وكان لموقف الدولة العثمانية السلبي من الشيعة ربما بسبب الحرب مع إيران الشيعية أثر في معاداة تركيا ومناصرة بريطانيا في الحرب بينهما، كما لاحظت مخاوف السنة في بغداد من الشيعة وسيطرتهم على الحكم في العراق.

وكانت بيل تشعر بغرور كبير بعد جولاتها في العراق والحفاوة التي كانت تلقاها، والتسهيلات والصلاحيات التي وضعت تحت تصرفها، حتى إنها في إحدى رسائلها ترى نفسها كما الخالق الذي يتفقد مخلوقاته، وتتمنى ألا يتم تنصيب أمير عربي، "فعندنا السير بيرسي، ولا نحتاج إلى أمير"، وتقول إنها المرشحة الثانية لمنصب المندوب السامي.

وبعيدا عن السياسية والاحتلال فإن بيل قد أحبت العراق وأهله، وبدأت تشعر بالانتماء إلى ترابه، كما أحبت على نحو خاص البادية والقبائل البدوية، وكان يمتعها التجول في البادية على ظهر حصانها وبخاصة في أيام الربيع عندما ينبت العشب في الصحراء. وفي أحيان كثيرة كانت رسائلها تفيض بالاحتقار للعراقيين حتى المتعاونين مع الاحتلال، والشعور بالملل والسآمة.

وربما تكون رسائل بيل أيضا مفيدة في وصف المدن والبلدات التي زارتها وأقامت فيها في العراق، فقد كانت الرمادي على حد وصفها بلدة صغيرة جميلة، شوارعها عريضة، وبيوتها كبيرة ومبنية في وسط البساتين.

تشير رسائل بيل إلى المفاوضات بين البريطانيين والفرنسيين على ترسيم

الحدود بين العراق وسورية، وبدأت تجري دراسات ومشاورات جادة لترتيب مستقبل العراق بعد ثورة عام ١٩٢٠، وتحتل هذه الثورة مساحة واسعة من الرسائل.

كانت المساجد مركزا للمتطرفين كما تصفهم بيل، ومن الأعمال المهمة التي تشير إليها إبادة كتيبة مانشيستر المكونة من أربعمائة جندي. وقتل الكابتن "ليغمن" وتعتبر بيل هذا أسوأ "أخبارنا"، وتقول بأنه أهان شيخ عشيرة زوبع، وهذا شأنه في الحقد والتكبر على العرب على حد وصفها، كما أنه برغم شجاعته متهور.

وتتحدث أيضا عن وفاة الشيخ المجتهد الأكبر المرزا محمد تقي الدين باعتباره خبرا سارا، وتقول بتشفي وعجرفة: "إن موته كان أمرا رمزيا، فقد كان كثير الضرر في إثارته للناس وتحريك التعصب الديني" وهناك أنباء تأمل بيل بصراحة ووقاحة أن تكون صحيحة عن وفاة خليفة المرزا محمد تقي الدين، وتصف الوفاة بأنها كانت بسبب تعفن شيخوخي.

وفي إحدى رسائلها تقول: " نحن في معمعان الجهاد، أي أننا نجابه أفظع أنواع التعصب عند أناس بدائيين، والحالة يدعمها جنوح إلى الفوضوية المتأتية عن العرب.."..

وفي هذه الأثناء انهارت الحكومة العربية في سورية، وتبدي بيل بشكل عام انحيازها ضد هذه الحكومة، وتقول إن الحسنة الوحيدة لها أنها أظهرت تفوقنا (البريطانيين) في العراق في تحقيق الاستقرار والعدل.

وبدأت بريطانيا برعاية حزب معتدل بقيادة طالب النقيب، ويبدو أنه كان يسعى لدعم بريطاني ليكون ملكا على العراق، وطرح أيضا أفكارا لترشيح آخرين، مثل أحد أبناء أسرة سلطان مصر، أو سلطان تركيا.

طرح السير بيرسي المندوب السامي في العراق مشروع "حكومة مؤقتة"، وحظي اقتراح اختيار الملك فيصل ملكا على العراق بتأييد كبير، وشكلت حكومة برئاسة طالب النقيب، وكان من أعضائها جعفر العسكري، وساسون (وزير المالية اليهودي)، وعين فيلبي مستشارا للحكومة.

وجرت التحضيرات لانتخاب مجلس وطني ينتخب أميرا للبلاد، وكانت عملية فيها قدر كبير من المشاورات والمؤامرات والمخاوف، مخاوف الشيعة من السنة، ومخاوف السنة من الشيعة، ومخاوف الأكراد من العرب، والتنافس العشائري.

وفي نهاية هذه المرحلة عقد مؤتمر القاهرة لبحث مستقبل العراق.

صدر عفو عام عن السياسيين المطاردين من قبل الحكومة البريطانية بسبب مشاركتهم في ثورة العشرين في عام ١٩٢١ تمهيدا لتأسيس دولة حديثة في العراق، وجرى استفتاء على دولة عربية في العراق، وقد كان ذلك كما تقول بيل قبل سنة يعد من وجهة النظر البريطانية السائدة خيانة، وجاء الملك فيصل إلى العراق وكان يقيم في مدينة جدة، وقد وصل إلى البصرة في ٢٤ يونيو/حزيران عام ١٩٢١، وصارت بيل تصفه بالقول "سيدي فيصل" وبدأت مرحلة تزايدت فيها أهمية بيل حتى أصابها غرور خرافي كما يبدو في رسائلها، فهي تقول في إحدى رسائلها، لن أشارك في المستقبل في خلق الملوك، لأن ذلك جهد عظيم.

عملت بيل إلى جانب الملك فيصل، وأعطاها هذا العمل شعورا بالأهمية والعظمة، وكانت تجري بينهما كما تذكر في رسائلها محادثات طويلة بعد الغداء أو العشاء، وتمتلئ رسائلها في هذه المرحلة بأخبار اللقاءات مع الملك فيصل، وتتحدث في كثير من الأحيان عنه بحب وانتماء فتقرن اسمه عادة بـ"حفظه الله". وتعتقد في إحدى رسائلها أنها الشخص الوحيد الذي يحبه الملك حبا حقيقيا.

وبرغم الحقد والاحتقار الذي كان يملأ رسائل بيل، فقد بدأت في عام ١٩٢٢ تغير رأيها كما يبدو، فتقول في ختام إحدى رسائلها: أقسم بشرفي أن العرب يتحلون بالصدق في دخيلة أنفسهم، ونحن لسنا كذلك.

ومن التعليقات اللافتة قولها : نحن نلعب لعبة صعبة، فنطمن الملك وأصدقاءنا الوطنيين بنوايانا الحسنة، فيأتي بعد ذلك الانتداب على فلسطين، وهو أسوأ ما كنا نتوقعه في أغرب أحلامنا، فكيف يمكننا أن نشعر بالتأكد من أن حكومتنا الكذابة النذلة سوف لا تستعمل معنا نفس الحيلة، فتعرض على عصبة الأمم، في الوقت الذي تعقد معاهدتنا مع الملك انتدابا لا يتوافق مع شروطها؟ هذا هو الموضوع الذي نخذل فيه.

لقد سلكنا في فلسطين طريقا يمكن أن يؤدي بنا إلى الثورة، فهل يكون بوسعنا في يوم من الأيام أن نجعل أصحاب الفخامة والجلالة في أوروبا يفهمون أن القومية الشرقية كما يمثلها فيصل ومفتي القدس ليست شيئا يعبث به؟ ويبدو أنها بداية النهاية بالنسبة لمس بيل.

وبدأت تملأ وقتها بالحفلات الاجتماعية، والعمل في مجال الآثار والمتاحف والمكتبات العامة، وكانت آخر رسالة كتبتها في ٢ يوليو/تموز عام ١٩٢٦، وقد آوت إلى فراشها ليلا لتنام، وعندما جاءت خادمتها في السادسة صباحاً لتوقظها - كما العادة - وجدتها ميتة، وقد دفنت في المقبرة المسيحية في بغداد.

سيبيل ديكلور.. عروس الراين

نهر الراين الذي فصل بين الحلفاء والألمان..



يعدونها واحدة من أعظم جاسوسات القرن العشرين، ويعتبرها بعضهم أعظمهن على الإطلاق..

كانت سيبيل ديكلور واحدة من أخطر جواسيس النازي وعملائه خلال الحرب العالمية الثانية، عملت على طول نهر الراين، وفي فرنسا إبان الاحتلال الألماني لها، كما كان لها نشاطها في لوكسمبرج ومقاطعة الألزاس.. ولم تكن خطورتها في قدرتها العجيبة على اقتناص المعلومات وحسب، وإنما أيضا في شراستها وإيمانها الشديد بالنازية.. كان معروفا عن تلك الفتاة الجميلة أنها لا تتردد في اغتيال كل من يقف في طريقها أو يعرقل خطواتها..

ولدت سيبيل ديكلور لأب بلجيكي وأم ألمانية.كانت أمها تدير مقهى في بلدة بلجيكية اسمها بروج، وعندما احتل الألمان بلجيكا كان طبيعيا أن تتعامل الأم مع بني قومها من الجنود والضباط الألمان مما أثار استياء البلجيكيين، طبعا..

كانت سيبيل تساعد أمها في إدارة المقهى حين بدأ رجال الجستابو يترددون على المقهى لالتقاط الفتيات اللاتي كن يبحثن عن مغنم أو وجبة، حتى أصبحت سمعة المقهى أسوأ من أن يؤمها مواطن بلجيكي محترم.. وفي المقهى تعرف فيرنر كرامر على سيبيل، وبدأت علاقته بها من اليوم الأول للقائهما. ولكي يوطد كرامر علاقته بها، فقد استخدم سيبيل كمترجمة، ثم كحاملة للرسائل، وعندما تيقن من إخلاصها دربها كي تصبح واحدة من أخطر عملائه..

وهكذا أصبحت ديكلور أقرب الأعوان لـ " فيرنر كرامر" الذي كان يشغل منصب رئيس المخابرات التابعة لفرقة العاصفة الألمانية، التي اشتهرت إبان الحرب العالمية الثانية بجسارة أفرادها وجرأتهم الشديدة على اقتحام المصاعب وتحقيق الأهداف مهما كانت العقبات.. كما كان كرامر قائدا لفرقة انتحارية خاصة كانت مكلفة بتدمير الأهداف والمواقع الاستراتيجية خلف خطوط الحلفاء.. لم تكن ديكلور أخلص أعوان ذلك الرجل وحسب ، ولكنها كانت خليلته أيضا وأقربهن لقلبه، وكانت هي الأخرى تحبه وتغار عليه كثيرا من خليلاته التي يستخدمهن في عمله..

ظل كرامر لسنوات شوكة في جانب الحلفاء.. كان يرسل رجاله عبر نهر الراين في ثياب الصيادين، كما كان يسقطهم بالمظلات خلف الخطوط.. وحتى عندما بدأت ألمانيا في الانهيار، ظل يواصل جهوده التي أرقت الحلفاء، فقد كان مؤمنا أن ثمة هجوما مضادا سوف تشنه القوات الألمانية ضد الجيوش الأمريكية والبريطانية والفرنسية والسوفيتية، كي تعود ألمانيا إلى السيادة من جديد..

كانت ألمانيا تترنح، وكان الحلفاء قد استولوا على أجزاء كبيرة من ألمانيا.. من الشرق توغل السوفييت، ومن الحدود الفرنسية كانت القوات البريطانية والأمريكية والفرنسية تعبر إلى الأراضي الألمانية.. وهناك، حيث تقع مدينة كولون على الضفة الغربية لنهر الراين، كان الجيش الأمريكي يطارد الفيلق الألماني الي كان يتقهقر يوما بعد يوم، حتى تحولت كولون إلى أطلال وخرائب أثناء الزحف والانسحاب، واستطاع الجيش الألماني أن يعبر النهر شرقا، ليصبح الراين فاصلا بين القوات الأمريكية والقوات الألمانية..

ولأن كرامر لم تؤثر فيه هزائم الجيش الألماني، ولم تزحزح إيمانه بأن النصر سيكون في النهاية حليفا للنازية، ولأن عددا هائلا من العملاء الفرنسيين والبلجيكيين والهولنديين والألمان ممن يعيشون بكولونيا ، قد زُودوا قبل الانسحاب الألماني بأوراق مزورة وجوازات سفر زائفة، فقد أرسل كرامر عشيقته سيبيل لتكون مسئولة عن هذه الشبكة الهائلة، والتنسيق بين أفرادها، والحصول على أكبر قدر من المعلومات عن جيوش الحلفاء، ومواقع التحصينات والقيادات، ثم تقوم مع من تبقى من أعضاء الشبكة بنسف مركز القيادة الأمريكي، وإشاعة البلبلة والفوضى في الوقت المناسب بين جنود الحلفاء، وهكذا يتسنى للجيش الألماني أن يشن هجوما مضادا يعبر فيه نهر الراين، ويطارد جيوش الحلفاء من جديد!!

وكانت خطتها أن تنتحل شخصية فتاة فرنسية فارة من النازيين، وكادت تنجح في إقناع ضباط الحلفاء بقصتها لولا أن راودهم الشك فيها، فأخضعوها لاستجوابات وتحقيقات مكثفة انتهت باعترافها، بعد أن استغلوا ما لديهم من

معلومات عن علاقات كرامر بخليلاته في إقناعها بأنه قد أرسلها في تلك المهمة ليتخلص منها ويصفو له الجو مع عشيقته الفرنسية ماري.

وبدأ ضباط مخابرات الحلفاء في استخدامها في الإيقاع بأفراد الشبكة المنتشرين في ربوع كولون، وفي إمدادهم بالمعلومات عن جواسيس الألمان وعملائهم المندسين وسط جيوش الحلفاء الزاحفة، وبالفعل أمدتهم بكثير من المعلومات، وأرشدتهم إلى مكان إخفاء الملفات السرية للجستابو، وساهمت في القبض على أكثر من مائتي عميل من أخطر عملاء الجستابو ، ولكنها رفضت أن تعاون ضباط الحلفاء في القبض على حبيبها كرامر، وظلت تضللهم عنه، وحتى حينما وقع في أيديهم وأرادوا منها التعرف عليه، أنكرته وقالت إنه ليس هو كرامر الذي يبحثون عنه، ما جعل الحلفاء يقدمونها للمحكمة في وطنها بلجيكا بعد انتهاء الحرب، ولقد صدر الحكم ضدها بالإعدام ، غير أنها استأنفت الحكم، بحجة أنها قدمت للحلفاء خدمات جليلة بأن أرشدتهم لعشرات من عملاء الجستابو، ولقد تصادف في ذلك الوقت أن وصلت الحكومة البلجيكية رسالة من المخابرات الأمريكية تقول فيها إن جهود سيبيل ديكلور قد مكنتهم من اعتقال عدد كبير من عملاء الجستابو مما ساعد في تقدم جيوش الحلفاء..

وعندما نظر الاستئناف رأت المحكمة أن الآنسة ديكلور قد قضت سنوات في السجن، وأنها قبل هذا، قد كفرت عن ذنوبها بمساعدة الحلفاء.. ولذلك قضت بإطلاق سراحها..

بعد الإفراج عنها استعادت ديكلور صحتها في فترة وجيزة، وأطلق الناس عليها لقب "عروس الراين"، فقد كانت عروسا بالفعل في كلتا الضفتين..

كارمن ماري موري.. الملاك الأسود

الملاك الأسود





كارمن ماري موري.. الملاك الأسود

رغم انتهاء الحرب العالمية الأولى بانتصار كبير للفرنسيين على الألمان، فقد كان الفرنسيون يدركون أن الألمان سيعودون للحرب لا محالة، خاصة بعد أن اقتطعت فرنسا مقاطعتي الألزاس واللورين من الأراضي الألمانية، وفرضت شروطا قاسية على الألمان في صلح فرساي، لذا اتجه خبراء الاستراتيجية الفرنسيين لوضع استراتيجية ملائمة لمواجهة أي عدوان ألماني مرتقب، خاصة على الحدود الشمالية مع ألمانيا في منطقتي الألزاس واللورين، وبعد دراسة الإستراتيجية الألمانية التي تبنت نظرية الحرب الخاطفة اتخذت فرنسا إستراتيجية دفاعية، اعتمدت على بناء خط من التحصينات القوية المستديمة يكون قادراً على وقف تقدم القوات الألمانية المهاجمة، ما يسهل قيام القوات الفرنسية المدافعة بتوجيه ضربات مضادة إليها وسحقها، وسمي لك الخط الدفاعي "خط ماجينو".

وقد أثر هذا الفكر الإستراتيجي الخاطئ على تنظيم القوات الفرنسية المدافعة عن خط ماجينو وتكوينها، وأدى إلى إهمال تطوير قواتها المدرعة والميكانيكية، والقوات الجوية وقوات الإبرار الجوي. وقد ساعد على الاقتناع بهذه النظرية أن القيادة العليا الفرنسية، قد تأثرت لعدد القتلى والجرحى في الحرب العالمية الأولى من عام ١٩١٤ إلى ١٩١٨ ، وكان من نتائجها أن صار الرأي العام الفرنسي على درجة عالية من الحساسية لفقد الأرواح، موقنا إنها إن تكررت فستكون النتيجة نهاية فرنسا، وأصبح البرلمان الفرنسي أكثر قناعة للأخذ بالدفاعات المحصنة. التي توفر للجنود الفرنسيين الصمود والثبات.

انتهى الفرنسيون من المرحلة الأخيرة من خط ماجينو في بدايات سنة ١٩٤٠، وكان خطا دفاعيا فريدا.. كان ثمة خطوط كهربية تحت الأرض تنقل المعدات والمدافع والأسلحة من مكان لمكان، وكانت هناك معسكرات بكاملها تحت الأرض،

ودشم تجعل عبور الخط من المستحيلات.. كما كان طول الخط وامتداده بطول حدود فرنسا حتى حدودها مع سويسرا وبلجيكا، أمرا يجعل تصور اختراق الخط، أو تدميره، بالغ الصعوبة..

وهنا جاءت مهمة كارمن..

كانت سويسرية، ولكنها اختارت العمل لحساب الألمان، الذين كلفوها بالمهمة الأخطر : مهمة نقل تفاصيل التحصينات في خط ماجينو، ورغم خطورة المهمة، فقد كانت كارمن واثقة من قدرتها على أدائها وانطلقت لباريس..

في سنة ١٩٣٨ ظهرت كارمن في باريس باعتبارها سويسرية وافدة على مدينة الأضواء، وبمساعدة المال الكثير الذي وضعته المخابرات الألمانية تحت إمرتها، وخلال أسابيع معدودة، استطاعت كارمن أن تصبح واحدة من نجوم المجتمع الباريسي البارزين، وأن تدعم مكانتها في المجتمع الأرستقراطي في العاصمة الفرنسية، وكان طبيعيا مع جمالها ووفرة مالها أن تصبح محط أنظار رجال باريس عاشقي الجمال، ووسط هؤلاء استطاعت كارمن أن تحيط نفسها بمجموعة منتقاة من ضباط الجيش الفرنسي، ورجال وزارة الخارجية، مما جعل هذه المجموعة، تسرع إلى تلبية رغبات كارمن، مهما كانت تلك الرغبات..

لذلك حين أبدت سأمها من الحياة الرتيبة التي تحياها، وجدت من يتسابقون لإرضائها، ومحاولة دفع الملل عنها، وكان الحل في رحلة في الريف الفرنسي الشهير بجماله، والقريب في الوقت نفسه من الحدود، ومن خط ماجينو..

في تجوالها بين قرى الريف استطاعت كارمن أن تقترب من ماجينو، وسط ترحيب ضباطه بالحسناء الباريسية التي ذكرتهم بباريس وجمالها ولياليها.. وصلت كارمن لماجينو، واستطاعت بذاكرتها الحديدية، خلال الأيام التي قضيتها بين تحصينات ماجينو، أن تختزن كل المعلومات اللازمة، وأن ترسلها لبرلين على نحو دقيق أدهش رؤساءها، وأثبت لهم أنهم كانوا على حق حين اختاروها لهذه المهمة..

واصلت كارمن مهمتها في باريس بنجاح، وقضت أكثر من عام تمد الألمان بما

تقع عليه من معلومات، حتى أسكرها الغرور وأصابها الاستهتار، فانكشف أمرها في ليلة شربت فيها كثيرا وانطلق لسانها دون حذر يمدح الألمان وقوتهم العسكرية، دون أن تدري أن الضابطين المصاحبين لها كانا من المخابرات الفرنسية، وفي اليوم التالي تم اعتقالها في سجن النساء في ضواحي باريس..

وفي أبريل ١٩٤٠ وقفت كارمن ماري موري أمام محكمة عسكرية فرنسية أصدرت حكمها عليها بالإعدام رميا بالرصاص.. ولأن نهايتها لم تكن قد حانت فقد بدل الرئيس الفرنسي الحكم إلى السجن مدى الحياة.. وبعد ستة أسابيع كان الألمان قد اقتحموا خط ماجينو، وسقطت فرنسا كلها في أيديهم، وأعلنت استسلامها..

وما إن دخل الألمان باريس حتى أطلقوا سراح كارمن.. واستدعوها في برلين لتقوم بمهمة أخرى في هولندا وبلجيكا..

كان المطلوب منها هذه المرة أن تنضم لمنظمات المقاومة للنازيين، منتحلة شخصية امرأة فرنسية هاربة من الاحتلال الألماني لباريس، وأن تنقل للألمان كل المعلومات الممكنة عن رجال تلك المنظمات وقادتها..

وبالفعل رحلت كارمن لهولندا، ثم بلجيكا، واستطاعت أن تقوم بمهمتها بنجاح كامل، مرسلة العشرات من رجال المقاومة ونسائها وشبابها إلى معسكرات التعذيب، أو إلى فرق الإعدام النازية دون أن يطرف لها جفن.. ثم نقلت، إثر خلاف لها مع أحد ضباط الجستابو في بلجيكا، لمعسكر اعتقال النساء في " ريفنسبروك" شمالي برلين، على أنها سجينة، لتندس وسط المعتقلات من رعايا دول الحلفاء، وتنقل المعلومات لرؤسائها في الجستابو، ولأربع سنوات ظلت كارمن في هذا المعتقل، حيث ظهرت طبيعتها الدموية السادية، وعشقها للتعذيب وإيلام الآخرين، وسجل لها تاريخ المعتقل من الفظائع ما لا يمكن تصور وقوعه من تلك الشابة النحيلة ذات الملامح الرقيقة، التي أوقعت شباب باريس في هواها من قبل، وكانت تلك الوحشية هي السبب في اللقب الذي أطلق عليها.. "الملاك الأسود "..

حتى كانت النهاية..

فمع الانحدار الألماني في نهاية الحرب، تمكنت القوات السوفيتية الزاحفة من تحرير كل المعتقلات في السجن الرهيب، وكانت المفاجأة هي اختفاء كل السجانات ومعهن اختفت كارمن ماري موري !!

استطاعت كارمن أن تفر من ألمانيا الشرقية، وأن تعبر الحدود إلى ألمانيا الغربية، حيث كانت القوات البريطانية، واستطاعت بجواز سفرها الفرنسي أن تقنع البريطانيين أنها سجينة فارة من معتقل " ريفنسبروك"، وأن تكتسب ثقتهم لدرجة استعانتهم بها في مطاردة سجانات المعتقل الهاربات، ورجال الجستابو الين كانوا يتعاملون مع هؤلاء السجانات، وقد أدهشتهم كارمن بذاكرتها الحديدية التي استرجعت كل التفاصيل والمعلومات، وساعدتهم في القبض على العديد من أعضاء الجستابو وحراس المعسكرات..

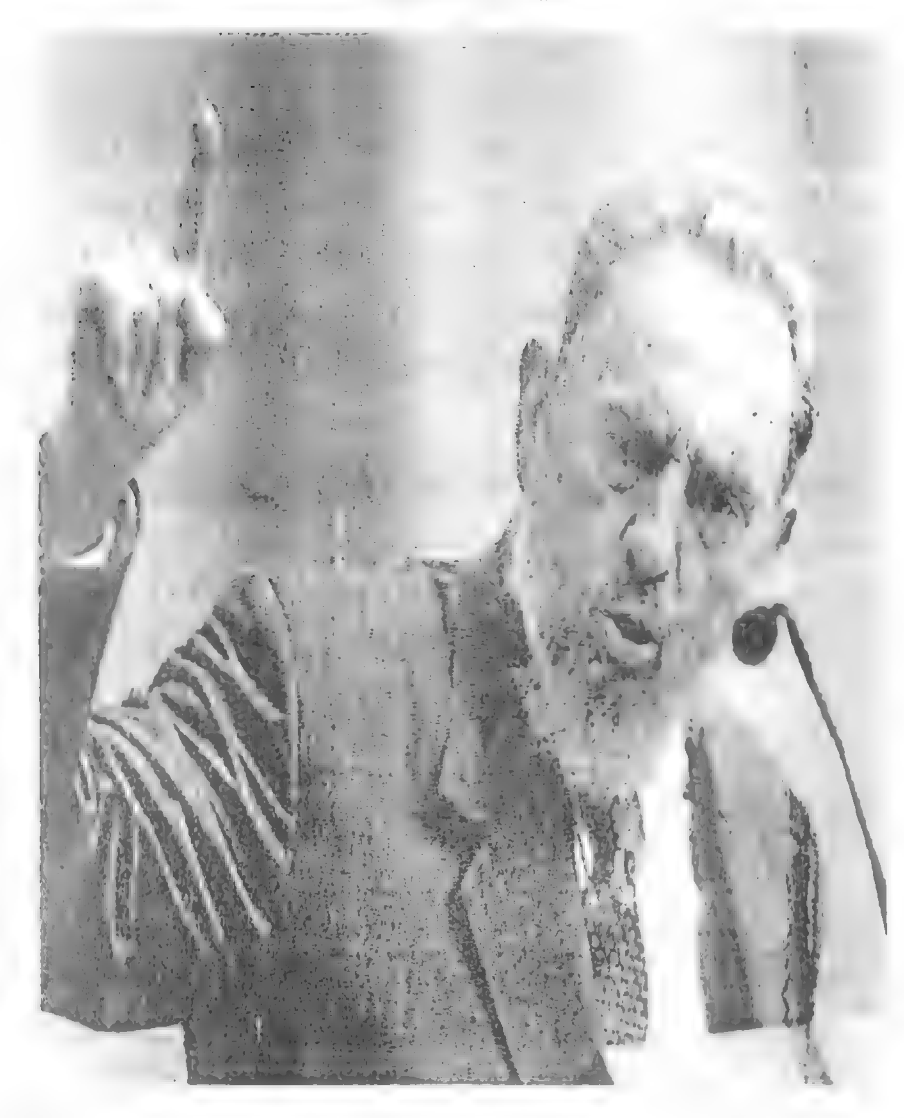
وفي واحدة من المرات التي كانت كارمن ترشد ضباط الحلفاء إلى إحدى السجانات السابقات في المعتقل، تسرب الشك لأحد الضباط، وباستجواب السجانة المقبوض عليها أرشدت عن حقيقة كارمن والدور الذي كانت تقوم به في المعسكر، وما لبثت الحقيقة كلها أن انكشفت وعرف الحلفاء من هي كارمن ماري موري، والدور الذي قامت به في باريس بداية من عام ١٩٣٨، فألقي القبض عليها وسجنت في مدينة هامبورج، حتى بدأت محاكمتها في ديسمبر ١٩٤٦، بتهمة التعذيب الوحشي والقتل، وصدر الحكم عليها بالإعدام شنقا في ربيع ١٩٤٧ ..

ولأنها مواطنة سويسرية فقد أرسلت بطلب إلى الحكومة السويسرية تلتمس فيه تأجيل تنفيذ الحكم حتى تعاد محاكمتها.. ولكن سريعا ما جاء الرد بالرفض..

فعزمت كارمن على الانتحار، وبالفعل نجحت في مغافلة حراسها وقطع شرايين معصمها، ليجدوها ذات صباح ممددة في بركة من الدماء غطت أرضية زنزانتها، معلنة انتقال الملاك الأسود للعالم الآخر..

آن بيليه موتنيز.. جاسوسة في المخابرات الأمريكية

فيدل كاسترو..



آن بيليه مونتيز.. جاسوسة في المخابرات الأمريكية

ولدت آنا بيليه مونتيز في قاعدة نورينبرج العسكرية بألمانيا في فبراير ١٩٥٧ ، فقد كان والدها الطبيب الأمريكي يعمل طبيبًا نفسيا للجنود الأمريكيين بالقاعدة، ثم انتقلت مع عائلتها إلى أمريكا بعد استقالة والدها، مفتتحا" عيادة فى بلتيموز شمال واشنطن، وبعد سنوات انتقلت آن للدراسة بجامعة فرجينيا سنة ١٩٧٧، وتخرجت منها بعد عامين بعد أن حصلت على البكالوريوس في الشئون الخارجية، لتنتقل بعدها إلى واشنطن عام ١٩٨٢، وإلى جامعة جون هوبكنز تحديدا للحصول على درجة الماجستير، ومنها انتقلت إلى العمل بوكالة الاستخبارات الأمريكية كمحللة لشئون نيكاراجوا، وذلك في العام ١٩٨٥ ..

في العام نفسه كانت آن على أعتاب نقطة التحول الكبرى في حياتها، فقد وقعت في حب شاب كوبي، هو الذي دفعها للالتحاق بالعمل فى قلب المخابرات العسكرية الأمريكية، وقد أمدته هى بكل ما وقع بين يديها من أخبار وأسرار ومعلومات، بدافع الحب أولا، وايمانها بقضية الكوبيين ثانيا، فقد كانت معجبة بالرئيس الكوبي فيدل كاسترو، وزاد من إعجابها محاولات الاغتيال العديدة التي نجا منها..

كانت آن من النوع الصموت حتى مع أعز صديقاتها، الأمر الذى جعلها على الدوام مصدر ثقة لمن يتعامل معها، حتى فى فترة العمل كان هذا هو الاطار الذى رسم شخصيتها مع رؤسائها، وهو الأمنر الذى أتاح لها توفير ميزة أخرى لها فى عملها، اذ كان مسموحا لها وعن طريق شبكات الكمبيوتر أن تدخل وتطلع على ملفات ما يقارب الستين جهازا للاستخبارات، بشقيها المدنى والعسكرى، كانت تجمعها شبكة سرية واحدة !! وهكذا بدأت أخطر الأسرار الأمريكية تتسرب للكوبيين..

فيما بعد قالت آن في اعترافاتها أنها قدمت لكوبا معلومات سرية لمناورات حلف الناتو، وملفات سرية كاملة تتصل بالشئون والسياسة الكوبية، كما دلت على

أربعة من العملاء الكوبيين الذين يعملون لصالح أمريكا داخل كوبا.. وطبعا لن تكون هذه فقط الأسرار التي يمكن لجاسوسة في مكان آن، والإمكانيات المتاحة أمامها، أن تنقلها للكوبيين..

ومع الوقت بدأ الأمريكيون في الانتباه لمس آن، فكلفوا أحد رجالهم بمراقبتها، إنه ستيف ماكوي، أحد ضباط مكافحة الجاسوسية الأمريكيين، الذي قال في شهادته أمام المحكمة: "اننى أعمل منذ أكثر من عشرين عاما فى مكتب التحقيقات الفيدرالى، كان منها خمسة عشر عاما فى الاستخبارات وبقسم مكافحة الجاسوسية على وجه التحديد، واثنا عشر عاما فى الشئون المتصلة بكوبا، مما أتاح لى التعرف على أسلوب المخابرات الكوبية فى العمل وسائلهم وطرق اتصالاتهم، ولذلك فقد كلفت بمراقبة الآنسة آن بيليه مونتيز فى تحركاتها، وعلاقاتها.."

وسرعان ما اكتشف الأمريكيون أن الكوبيين وقعوا على كنز من ذهب، أمدهم بكل ما يحتاجون، وبدأت محاكمة آن..

في التحقيقات أبدت آن تعاونا مع المحققين، واعترفت بتجسسها لصالح الكوبيين، لأسباب أيدلوجية بحتة، وقد دللت على ذلك بأنها لم تتلق أى مقابل مادى من كوبا عن عملها، وقد رجحت تحليلات المخابرات الأمريكية هذه المسألة، بجانب علاقتها العاطفية مع الشاب الكوبي، كونها لم تكن واقعة تحت أى تأثير يلجئها للقيام بذلك، فما من تهديدات ولاضغوط نفسية مورست عليها، كذلك فقد جاء تعاونها مع كوبا خاليا من دليل واحد على تقاضيها أى أموال مقابل ما قامت به، ولم يكن للموضوع علاقة بالجنس رغم وقوعها في حب الشاب.

هانـــا زينيـــش

ولدت هانا في اليوم السابع عشر من شهر تموز لعام ١٩٢١ لوالديها كاترين وبيلا، وكان الأب صحفياً وكاتباً روائياً، وشخصيته معروفة في قلب العاصمة المجرية بودابست، وكانت أسرة هانا تعيش مرفهة في مسكن كبير بمنطقة روزهل إحدى الضواحي المتميزة بالهدوء، والخضرة التي تكسو أشجارها المتراصة. وكانت الأم كاترين من أسرة ثرية تنتمي للطبقة العليا من المجتمع المجري، ويميزها طول القامة مع لمحة من جمال يعززه قوام ممشوق. وكان ابنها جورج يكبر هانا بعام واحد، وهو صديقها الوحيد الذي كان يؤنس وحدتها في تلك الأيام، ولما كان والدها صحفياً وروائياً فقد كان منزل الأسرة في الحي الراقي قبلة للفنانين والرسامين والكتاب، وكان والدها الذي أصيب بالروماتيزم في صغره يشكو ضعفاً في قلبه، وعندما بلغت هانا السادسة فوجئت ذات يوم من عام ١٩٢٧ وهي تفتح الباب بأمها تبكي، وكان والدها المسجى على السرير قد فارق الحياة، ولم يكن عمر الأم قد تجاوز بعد الثالثة والثلاثين.

بدأت هانا تشب عن الطوق والتحقت بالمدرسة المحلية وأظهرت نبوغاً مبكراً وخاصة في مادتي الإنشاء والشعر، وعندما بلغت العاشرة من عمرها انتقلت إلى مدرسة البنات البروتستانتية العليا وحصلت على درجات عالية، وتأثرت كثيراً بأستاذها بينوشوفسكي..

وفي مارس من عام ١٩٣٩ تخرجت هانا متفوقة على زميلاتها، وكان من الممكن أن تدخل الجامعة في بودابست، ولكنها قررت الهجرة للدراسة في الخارج، ولم تكن أمها متحمسة لسفرها غير أنها كانت مصممة على السفر.

في الأول من سبتمبر عام ١٩٣٩ حصلت على تأشيرة خروج من المجر، وكان عدد المهاجرين قد ارتفع مع تهديدات أودولف هتلر بالزحف على المجر، والتحقت هانا بكلية الزراعة التي اختارتها في الغربة، ولكنها ظلت تتابع أخبار الحرب في أوروبا، وتشعر بأن والدتها لن تظل في مأمن من الزحف النازي المتواصل لاجتياح

الدول الأوروبية بكاملها، واقترابها من بودابست، ولكنها صبرت ثلاث سنوات حتى أكملت دراستها في كلية الزراعة، وشعرت بعدها بضرورة العودة.

في فبراير من عام ١٩٤٣ علمت هانا بأن هناك مجموعة ترغب في الذهاب على المجر للقيام بمهمة إنقاذ لمن يريد المغادرة خوفاً على حياته من النازية، وعرفت أن بريطانيا تشجع مثل هذه المجموعات التطوعية وتمدهم بالأسلحة والمؤن، وتنقلهم بطائراتها، كما تقوم قبل ذلك بتدريبهم ليعملوا من خلف خطوط العدو وإنقاذ الطيارين الذين يُسقط الألمان طائراتهم، وتطوعت هانا، وحددت لها السلطات البريطانية موعداً للمقابلة، وبقبول هانا وجدت نفسها وقد أصبحت مجندة في الخدمة السرية البريطانية، وبمهنة جاسوسة، وبدأ إعدادها لهذا الدور : فتلقت ثلاث دورات شملت التدريب الأساسي في إطلاق النار والقتال، والتدريب على القفز بالمظلات، ودورة استخبارات في الحصول على المعلومات وإنقاذ الطيارين، وفوجئت بأن مدة التمرين التي كانت تستغرق ٢١ يوماً قد أصبحت لا تزيد على عشرة أيام، لأن الأحداث في أوروبا في تسارع، ونجحت هانا ضمن ٣٢ مجنداً في الاختبار، ثم تلقت دورة سريعة في شؤون التجسس، وحددوا لها مهمتها التي كانت تتلخص في إبلاغ الجيش البريطاني بتحركات القوات الألمانية، وأماكن تجمعاتها، والمساعدة في تخليص الطيارين الهاربين من الأسر ونقلهم إلى مناطق تجمعات ومعسكرات رجال المقاومة المجرية.

في العاشر من شهر مارس عام ١٩٤٤ صدرت الأوامر للجاسوسة هانا ومن معها بالاستعداد للسفر، وأخطروها وزملاءها الستة المرافقين لها . بعد أن زودوها بجهاز للإرسال . بأنهم لن يهبطوا بالمظلات مباشرة في المجر، لأن الألمان يغطون كل شبر فيها، وإنما سيتم إسقاطهم في يوغسلافيا، حيث يلتقطهم رجال المقاومة ويساعدونهم على عبور الحدود إلى المجر.

هبطت هانا بمظلتها ، وعلمت أن المجر كلها تحت رحمة النازية، وأخطروها بأنه من الخطر العبور الآن، واضطرت للبقاء حتى جاء شهر مايو، فقررت الذهاب ولو بمفردها، واضطر قائد المقاومة للسماح لها مع اثنين من مرافقيها، وصحبها رجال المقاومة ومن معها إلى قرية بالقرب من الحدود، وهم يراوغون

رجال الأمن الألمان طوال الطريق، واستغرقت رحلة ٥٠ ميلاً ٢٦ يوماً، وبعد طول حوار أقنعت هانا ثلاثة من اللاجئين الذين تركوا المجر خلفهم بالرجوع معها،واستطاعت العودة إلى المجر بعد طول غياب، وبدأت تحركها لرصد قوات العدو والعمل مع المقاومة الداخلية لإنقاذ الطيارين الفارين من غضب النازية بعد أن أسقطت طائراتهم، وكل من يطلب النجاة بالهجرة، واستعانت بالغابة للتخفي، ولكن رجال الأمن بدءوا يرصدون إرسالها وما تبعث به من معلومات للبريطانيين، وفوجئت بهم ذات يوم يحيطون بها من كل جانب، وكانت قد خبأت جهاز الإرسال عندما انتهت من آخر رسالة، وأخذها رجال الجستابو ومن معها إلى مركز قيادتهم لاستجوابهم جميعاً، وبدءوا بها، ولما أصرت على الإنكار بدءوا يعذبونها، واستمر الاستجواب ليومين كاملين لمعرفة مكان جهاز الإرسال، ورفضت الاعتراف غير أنهم وجدوه في النهاية، وقام الجستابو بإرسالها إلى العاصمة بودابست..

وبعد أيام من الاستجواب والتعذيب أخطرتهم باسمها على أمل أن يتوقفوا ولو قليلاً، ولكنهم لم يكتفوا بالاسم، وأرادوا معرفة من يعملون معها من رجال المقاومة، ومن لديها بهم صلة في العاصمة المجرية، وأصرت على الرفض، وفوجئت بعد أيام بأنهم يأخذونها إلى غرفة أخرى وإذ بأمها كاترين في انتظارها، وكان أول لقاء بعد ٥ سنوات، وكان الجستابو قد ألقى القبض على أمها ذلك الصباح، ولم يدم اللقاء سوى دقائق معدودة حتى فصل بينهما رجال الأمن.

في صباح اليوم التالي دخل حارس إلى غرفة هانا وهو يحمل مقعداً وطلب منها أن تصعد عليه وتنظر عبر النافذة، ووقع نظرها أول ما وقع على أمها كاترين وهي تجلس في غرفة مقابلة، وبعد التفاهم بلغة الأصابع عرفت أن أمها أيضاً تعرضت للتعذيب، ورغم هذه الحرب النفسية رفضت هانا الإدلاء بأية معلومات قد تضر بغيرها، ولما يئس رجال الأمن الألمان من الحصول على معلومات تؤدي للقضاء على المقاومة المجرية قرروا محاكمتها بتهمة التجسس لصالح الحلفاء.

توقف التعذيب وبدأ حراسها يسمحون لها تحت رقابتهم بمقابلة والدتها بين

الحين والآخر، واستعانت بموهبتها القصصية وبدأت تقص على حراسها وزميلاتها السجينات قصصاً خيالية شغلتهم لبعض الوقت عما يدور حولهم، وحين حولوها إلى عنبر مشترك مع أطفال السجينات كانت تصنع لهم لعباً، وتلاعبهم وتعلمهم القراءة والكتابة، غير أنه مع زحف الحلفاء بقواتهم، وإحساس الألمان بأن ساعة الهزيمة قد اقتربت بدءوا يسيئون معاملة الأسرى، ويضعونهم في معسكرات للاعتقال، وقرروا الإسراع في محاكمة هانا خاصة أنها استعانت ببعض ما كان لديها من أوراق وراحت تكتب رسائل وتلقي بها من النافذة إلى الطريق، على أمل أن من يقرأها يحمل قضيتها والظلم الذي وقع على الأسرى إلى العالم الخارجي، وأوكلوا عنها محامياً قال لها حين التقاها أول مرة بأن معظم السجينات يحاكمن بعقوبة تتفاوت بين ٢٠ - ٣٠ سنة، وبانتهاء الحرب سيطلق سراحهن.

في شهر أكتوبر من عام ١٩٤٤ عُقدت المحاكمة، وقالت في دفاعها أنها لم تخن وطنها المحتل المجر، وفي حماسها للحديث والدفاع عن نفسها قالت للمحكمة: " لقد ألفيتم جنسيتي المجرية بكراهيتكم، وعذبتم شعبي، وأنا لست الخائنة لوطني بل أنتم يا من حطمتم كل شيء، وأنزلتم الكوارث بالمجريين، وأنصحكم بأن لا تفاقموا من جرمكم لأن ساعة محاكمتكم قد اقتربت بانتصار الحلفاء". ويبدو أن كلامها لم يسعد المحكمة فتقرر الحكم عليها بالإعدام، ولكن المحكمة لم تشأ أن تنطق بالحكم في ساعة غضب وأجلت ذلك إلى جلسة الرابع من نوفمبر عام ١٩٤٤.

مع اقتراب الحلفاء، ومع سقوط كل قنبلة تلقي بها طائرات الحلفاء كان عدد من القضاة يفر تاركاً السجون بلا قضاة ولا محاكمات، وازداد الوضع في السجن سوءاً، وبدأ الألمان يمزقون كل وثيقة تدينهم في محاولة لإنقاذ أنفسهم مما هو آت، ولم تعقد جلسة الحكم في الرابع من نوفمبر للنطق بالحكم في قضية هانا.

في السابع من شهر نوفمبر عام ١٩٤٤، جاء النقيب سيمون القاضي الوحيد الباقي من المحكمة التي حاكمت هانا إلى غرفتها، وأخطرها بأن المحكمة قبل أن (تنفض) حكمت عليها بالإعدام، وسألها إن كانت ستقدم استرحاماً أو تطلب

الرأفـة، وأجـابت الجـاسـوسـة هانا: (لا أريد اسـتـرحـامـاً أو رأفـة منكم!) وهنا أخطرها القاضي النقيب بأنه يمنحها ساعة واحدة لتكتب وصيتها أو رسالة وداع إن شاءت، واتضح فيما بعد أن المحكمة قد فرت ولم يبق منها أعضاء ليصدروا حكماً على هانا، ولكن النقيب سيمن قد آل على نفسه قتل هانا بسبب حديثها الذي وجهته للمحكمة وللنازية.

في اليوم الثامن من نوفمبر كتبت إلى أمها تقول: (أمي العزيزة لا أدري ماذا أقول، ولكني أشكرك مليون مرة وأرجو السماح).. ثم أسلمت نفسها إلى جلاديها فأعدموها بإطلاق النار عليها.

3

الفصل الثالث

جاسوسات عربيات

حكمت فهمي.. راقصة وجاسوسة مصرية



السادات عند التحاقه بالكلية الحربية

حكمت فهمي.. راقصة وجاسوسة مصرية

كانت الراقصة جميلة جدا، نموذجا للجمال العربي، ذات جسد رائع، وحركات متجانسة، وأعين نجلاء، وملامح مصرية أصيلة، وعندما ترقص يدوي التصفيق كالعاصفة، ويقذفون إليها بباقات الزهور ويقوم الصبية الصغار بالسير جيئة وذهابا حاملين بطاقات المعجبين الأثرياء إليها. كانت حكمت تتنقل كالملكة، يصحبها بلاطها، وكان أصدقاؤها ومعارفها أسطورة.

هكذا كتب -بول كارل-عن الراقصة المصرية حكمت فهمي في كتابه -ثعالب الصحراء-وكانت مصر آنذاك ترزح تحت نير الاستعمار الإنجليزي. وحين اشتعلت الحرب العالمية الثانية كان -روميل-يقترب من -العلمين-التي تبتعد عن الإسكندرية حوالي سبعين كيلومترا، وكانت مظاهرات المصريين تهتف : -إلى الأمام يا روميل-. وفي هذه الفترة أيضا كانت حكمت فهمي تتربع على عرش الرقص الشرقي، وكان مقدرا لها أن تلعب دورا على مسرح الأحداث مع جاسوسين ألمانيين، زرعتهما المخابرات الألمانية في القاهرة، لتوفير المعلومات المهمة التي يحتاج إليها -روميل-في معركته الحاسمة ضد جيوش الحلفاء في الشرق الأوسط .

من واقع مذكرات حكمت فهمي التي كتبها حسين عيد . حين التقاها في بداية السبعينيات وماتت في منتصف هذا العقد قبل أن ترى مذكراتها منشورة . فإن بداية الأحداث وقعت في فيينا حين كانت حكمت فهمي ترقص في أكبر ملاهي هذه المدينة، بعد رحلة فنية استمرت ثمانية أشهر بين رومانيا وتركيا وتشيكوسلوفاكيا، وفي النمسا التقت شابا ظل يطاردها لمدة يومين متتالين مقدما نفسه لها باللغة العربية على أنه طالب مصري يدرس في ألمانيا، ثم دعاها لتناول الغداء في أحد الملاهي فقبلت دعوته دون تردد، واتفقا على اللقاء. لكن هتلر اجتاح النمسا بجيوشه في صباح اليوم التالي. وفكرت حكمت في ذلك الشاب الذي قابلته بالأمس، كمنقذ لها في هذه الغربة لكن كيف تراه وجميع دور اللهو

مغلقة، ولا تعرف أين يقيم ؟ وبينما هي على هذا الوضع طرق باب غرفتها رسول من القنصلية المصرية، يدعوها للذهاب فورا إلى القنصلية لترحل عن النمسا، على أن تحمل الأشياء الضرورية فقط، وعلى إحدى البواخر كانت حكمت فهمي في طريقها إلى الإسكندرية، وقفزت مرة أخرى إلى ذهنها صورة الشاب الذي رأته ولا تذكر سوى أن اسمه حسين، وفي أحد الملاهي في القاهرة، كانت حكمت فهمي تجلس مع أمينة البارودي وأسمهان، ففوجئت بمن يربت على كتفها، وما إن نظرت إلى الوراء حتى قفزت وكأن أفعى لدغتها، وقالت مندهشة: أنت.. أنت أخيرا .. متى جئت؟ وكان ذلك هو الشاب الذي التقته في النمسا، وفي تلك اللحظة تذكرت اسمه كاملا ونطقته "حسين جعفر"، وتحدثا وافترقا على أن يلتقيا في اليوم التالي ليسهرا معا، وأصبح حسين يثير اهتمام حكمت.

عندما نشبت الحرب العالمية الثانية عادت حكمت فهمي إلى مصر، لترقص في ملهي الكونتيننتال، دون أن تعلم أنه قد تم تجنيدها ضمن جهاز المخابرات الألماني من خلال العلاقة التي نسجها حولها حسين جعفر، وكان رئيس المخابرات الألمانية قد شاهد حكمت فهمي وهي ترقص في النمسا، فدعاها للرقص أمام هتلر ووزير دعايته جوبلز في ألمانيا، وعندما شاهدها جوبلز أعطى تعليماته بتجنيدها لصالح الألمان، الذين كانوا يعرفون حجم شعبيتها لدى كبار الضباط الإنجليز في مصر.

ولم تكن حكمت فهمي تعلم أن علاقتها مع حسين جعفر أو الضابط الألماني إبلر سوف تجمعها مع السادات في أكبر قضية تجسس في ذلك الوقت.

كان -إبلر-يعرف مصر من قبل، كما يعرفها ككل أبنائها، فقد كانت أمه الألمانية تزوجت في ألمانيا من صالح بك جعفر المستشار، ثم حضرت معه إلى مصر، وفي يدها ولدها من زوجها الأول (الألماني) وكان ولدها هو هانز إبلر، وأراد الزوج المصري أن يوفر لابن زوجته حياة مطمئنة في مصر، فيسر له سبل التعليم والنجاح وأعطاه اسما مصريا ولقب أسرته، وأصبح هانز إبلر يُعرف في مصر باسم " حسين جعفر "، لكنه لم يكن ذلك الولد الصالح الذي ارتجاه زوج أمه، فقد فشل المستشار في إقناعه بالعدول عن حياة الليل بين المراقص

والحانات، ولما أيقن بأنه لا سبيل لإصلاحه في مصر طرده من حياته قبل الحرب.. وقد اتفقت الروايات على أن الجاسوس هانز إبلر من مواليد،١٩١٤ واختلفت حول محل ولادته..

ولكن كيف تم تجنيد "إبلر" ؟

يحكي ليونارد موزلي في كتابه -القط والفئران " أن ذلك تم في فندق سان جورج في بيروت في أغسطس ١٩٣٨ إثر انفعاله بعد مناقشة ضابطين إنجليزيين، وهنا تم تجنيده للعمل في المخابرات الألمانية، وبعد ذلك بعشرة أيام راجع السفارة الألمانية في استنبول، وزُود بجواز سفر ألماني باسم -جوهانز إبلر-، وقبل نشوب الحرب مباشرة وصلت رسالة من السفارة الألمانية إلى إبلر فسافر إلى برلين، حيث قدم نفسه إلى أحد مكاتب المخابرات الألمانية، وتم تجنيده لإتقانه العربية، وكانت أول المهام التي أوكلت إليه هي نسج علاقة غرامية مع الراقصة حكمت فهمي تمهيداً لتجنيدها، وعندما حاولت المخابرات الألمانية زرع جاسوس ألماني في قلب القاهرة لم يكن أمامها سوى حسين جعفر أو إبلر، وكانت مهمته تتلخص في الحصول على الخطة الدفاعية البريطانية، وأين سيركزون دفاعاتهم، وعدد القوات البريطانية ونوعها، ومدى تعاون الجيش المصري معهم إذا بدأت المعركة ؟

وتمكن إبلر من دخول القاهرة عبر عملية اختراق للصحراء، في الملابس العسكرية للجنود البريطانيين، وعلى مشارف أسيوط استبدل ملابسه هو وزميله مونكاسترن واستكملوا الرحلة بعد عدة مغامرات، حتى وصلا إلى القاهرة لتنفيذ مهمتهما، بينما كانت قوات روميل تقف على أعتاب العلمين بعد عدة انتصارات حققها على جيش الحلفاء.. وعند وصولهما إلى مشارف أسيوط تتكر إبلر في صورة ضابط بريطاني، ومونكاستر في شخصية سائح أميركي، وتحت هاتين الشخصيتين تمكن إبلر وزميله من دخول أحد المعسكرات البريطانية، بل إن قائد المعسكرات أخذهما بسيارة عسكرية لتوصيلهما إلى أسيوط.

وعندما وصلا إلى القاهرة نزلا في فندق شبرد، ليبدأ أول اتصال بينهما والمخابرات الألمانية، ليعلنا الاستعداد لبدء العملية، وفي ملهي الكيت كات يلتقي

إبلر مع حكمت فهمي مرة ثانية، لتؤكد له حكمت فهمي كراهيتها للإنكليز، ليكشف لها عن شخصيته، وعن مهمة التجسس التي كلفه بها قائده روميل، وأبدت حكمت فهمي استعدادها للتعاون مع الألمان، واستأجرت له عوامة قريبة من عوامتها، وعندما صعد إبلر لتركيب إريال اللاسلكي، هنا لاحظ وجود جندي بريطاني على سطح عوامة الميجور البريطاني المجاور لهما، فباغته بطلب المساعدة قبل أن يفكر في أي شيء.

وخلال أيام قليلة استطاع إبلر أن يوثق علاقته بالميجور البريطاني، دون أن يتسلل إليه الشك بأن هذا الشاب المصري حسين جعفر هو نفسه الجاسوس الألماني إبلر.

وعندما تم القبض على الجاسوسين الألمانيين اللذين يستقبلان الرسائل من القاهرة، قررت المخابرات الألمانية عدم الرد علي إبلر وصديقه مونكاستر، حتى اعتقد إبلر أن جهاز اللاسلكي أصابه عطل مفاجئ، وطلب المساعدة من حكمت فهمي عبر شخص تثق به، لإصلاح الجهاز، حتى يتمكن من إتمام عملية التجسس.

وتمكنت حكمت فهمي من الوصول إلى الضابط المصري أنور السادات، عبر صديقه حسن عزت، فوافق على الفور علي إصلاح الجهاز والتعاون مع الألمان، نظراً لكراهيته للإنكليز، وبلا تردد ذهب معها إلى عوامة إبلر لإصلاح الجهاز المعطل، وتأكد السادات أن الجهاز معطل ولا يمكن إصلاحه، إلا أن إبلر قدم له جهازاً أميركياً آخر، كان قد حصل عليه من سفارة سويسرا التي كانت ترعى شئون الألمان في مصر، إلا أنه لا يعرف كيفية تشغيله، واكتشف السادات أن الجهاز بدون مفاتيح، واقترح السادات أن يشغله بمفاتيح مصرية الصنع يقوم هو بتركيبها.

وداخل ملهى الكيت كات التقت حكمت فهمي بالميجور سميث المتيم بها، وفي تلك الليلة تمكنت حكمت فهمي من الحصول منه علي معلومات ثمينة، عندما صارحها أنه مسافر إلي ميدان الحرب على الخطوط الأمامية، وعلى الفور ألغت حكمت فهمي رقصتها لتقضي السهرة معه في عوامتها، وهناك دست له المخدر

في كأس الويسكي لتحصل منه على أخطر تقرير، يتضمن كافة المعلومات التي يبحث عنها إبلر، فهرولت إليه ومنحته التقرير الذي يحتوي على كافة المعلومات عن القوات النيوزيلندية، ووحدات من جنوب إفريقيا، وأستراليا، بالإضافة إلي وحدة أخرى قوامها ٥ آلاف جندي كانت سترسل إلى الإسكندرية، و٢٥٠٠ لغم لتعزيز الخط الدفاعي، وتركيز الدفاع في العلمين نفسها وليس على بعد عدة أميال كما كان يعتقد روميل.

ولكن عند عودة إبلر إلى زميله مونكاستر فوجئ به في حالة اضطراب شديد، وهو يخبره أن صديقيهما الجاسوسين اللذين يتلقيان إشارتهما تم القبض عليهما في السجون البريطانية، وطلبت منهما المخابرات الألمانية في تلك الليلة عدم إرسال سوى المعلومات الهامة وفي الثانية عشرة مساءً تحديداً.

وفي تلك الليلة خرج إبلر وصديقه إلى ملهى الكيت كات، ليلتقيا هناك بالميجور ألفريد وليامز سانوم، أخطر رجال المخابرات العاملين في قوات الحلفاء في الشرق الأوسط !! والذي قدَّم نفسه لهما على أنه عمر بك الرجل الثري الوجيه، ولم يخطر في بال رجل المخابرات في ذات الوقت أنه يجلس إلى جوار أخطر جاسوس ألماني تبحث عنه المخابرات البريطانية ومخابرات قوات الحلفاء، وفي تلك الليلة علمت الراقصة إيفيت الجاسوسة اليهودية: أن المخابرات الإنكليزية تبحث عن جاسوس ألماني في القاهرة، فأبلغت قادتها ورجحت لهم أن يكون هو ذاته حسين جعفر، وعندما ذهبت إلي عوامته عثرت عليه في حالة غير طبيعية داخل عوامته، وعندما دخل إبلر إلى إحدى الغرف الجانبية من العوامة، تنامي إلى سمع إيفيت حواراً باللغة الألمانية بين إبلر وصديقه مونكاستر، حول استخدام جهاز الإرسال، وكذا المعلومات الخطيرة التي بحوزتهم، وهنا تأكد لها أنه الجاسوس الذي تبحث عنه المخابرات البريطانية.

وحاول إبلر خنقها وهو يحدثها بالألمانية، ليعرف ما إذا كانت تفهم ما يقوله أم لا، وتظاهرت إيفيت بأنها لا تفهم حديثه لها، وعندما تأكد أنها لا تفهم الألمانية، استدار إلى صديقه مونكاستر مؤكداً له أنها لا تفهم ما دار بينهما في الداخل، ثم وضع إبلر يده في جيبه ومنحها رزمة من الجنيهات الإسترلينية وقضي معها ليلته

وعندما عادت إيفيت بتلك المعلومات إلي قادتها، تم إخطار المخابرات البريطانية، ومكاشفتهم بأنهم يبحثون عن جاسوس ألماني، وأن الوكالة لديها كافة المعلومات عنه، وقدم له الدليل من الجنيهات المزيفة التي قدمها إبلر إلي إيفيت، وأرسلت وكالة المخابرات اليهودية بإيفيت إلي قائد المخابرات البريطانية، لتدلي بما لديها من معلومات حول الجاسوس الألماني، ومن تلك اللحظات بدأت المخابرات البريطانية تحركاتها للقبض على إبلر وصديقه، داخل العوامة الخاصة بهما.

وعندما دق جرس الباب أدرك إبلر بحاسة الجاسوس أن ساعة النهاية قد اقتربت، وحاول مونكاستر إغراق العوامة، وتم القبض علي إبلر ومونكاستر، وحكمت فهمي فيما بعد، وحاولت المخابرات البريطانية التوصل إلى شفرة الاتصال بين الجاسوس الألماني وقيادته، وعندما عثروا معه على رواية ريبكا والتي سبق تحريزها مع الجاسوسين الألمانيين اللذين كانا يستقبلان رسالتهما.. تأكد للمخابرات البريطانية أن بين طيات هذه الرواية الشفرة المستخدمة بينهما، إلا أن المخابرات البريطانية فشلت في العثور على الشفرة.

أما حكمت فهمي فلم تكن تعرف بأمر القبض على إبلر وصديقه.. وكانت قد حذرت إبلر من لقاءاته المستمرة بإيفيت، وذات مرة وصلت لعوامته لتجد ايفيت، انزعجت حكمت وظن الجاسوس أنها الغيرة، وحاول أن يمنعها من الانصراف لكنها احتدت عليه وصفعته على وجهه. ومر أسبوع لم يتصل بها إبلر، إلى أن انتبهت على صوت أحد رجال القلم السياسي يطلب منها أن تخرج معه، لتجد نفسها أمام محقق بريطاني، أدركت بعدها أنها وقعت في الفخ وأصبحت في النهاية حبيسة الجدران وبجوارها في السجن كانت أسمهان وعزيز المصري.

وفي التحقيقات أنكرت حكمت معرفتها أو لقاءها بهانز إبلر ومونكاسترو (ساندي)، ثم قالت في ما بعد إنها تعرف حسين جعفر وساندي، ولا علاقة لها بهذين الاسمين، واكتشفت أن المحققين يعرفون الكثير، يعرفون حكاية جهاز اللاسلكي، وسرقة حقيبة الماريشال تايدر من غرفته الرقم ٢٧٣ بفندق الكونتننتال لكنهم لم يحصلوا منها على شيء، فقد كانت مصرة على أن حسين جعفر مصري

وسـاندي أمـريكي. وأضـربت حكمت فـهـمي عن الطعـام لمدة أسـبـوع في سبتمبر/أيلول،١٩٤٢ وعندما ساءت حالتها نقلت إلى مستشفى الدمرداش للعلاج، واتصل بها شخص من طرف مكرم عبيد الذي كان وزيرا للمالية في وزارة مصطفى النحاس. ولما أقصي عن منصبه بدأ يعد لكتابه الأسود عن النحاس، وكان يعتقد أن لدى حكمت معلومات حول علاقة النحاس بالإنجليز، ورفضت رفضا قاطعا أن تمده بأي معلومات.

وصدرت الأوامر بنقل حكمت فهمي إلى معتقل النساء في المنصورة..

وعندما علم السادات بالقبض على الجاسوس الألماني وصديقه، حاول إخفاء جهاز اللاسلكي دليل الاتصال بالجواسيس الألمان، وذهب إلى صديقه حسن عزت بحي شبرا إلا أنه لم يجده، وعاد ليخفيه في حجرته، وفي فجر ذات اليوم داهمت قوة من الضباط الإنكليز والمصريين منزله، وتم تفتيشه، إلا أن السادات تمكن من تهريب جهاز اللاسلكي بواسطة شقيقه الأكبر طلعت، وتم إيداع السادات في سجن الأجانب، كما تم القبض على صديقه حسن عزت، وتمكن السادات من إطلاع زميله حسن عزت على تفاصيل القضية، حتى لا تتناقض أقوالهما في التحقيقات.

وتعرف إبلر ومونكاستر على السادات داخل طابور طويل من الضباط، وأنكر السادات معرفته بإبلر، أو حسين جعفر، وزعم في التحقيقات أنه تعرف عليه باعتباره (ميجور) بريطاني يدعي إبراهام، وهو الأمر الذي أربك مجلس التحقيق، وأكد في التحقيقات أنه قدم نفسه وصديقه على أنهما من ضباط الإشارة الإنكليزي، وباغت السادات إبلر بعدة أسئلة هجومية للدفاع عن نفسه، زاعماً أنه لو كان يعلم بأنه ضابط ألماني لأبلغ عنه، واستمر في مراوغته حتى تمكن من تضليل مجلس التحقيق، وإرباك الجاسوس إبلر أيضاً، ولم يتمكن المحققون من إدانة السادات وصديقه حسن عزت في القضية، مما دفع رجال المخابرات البريطانية ممارسة ضغوطهم على والده حتى يعترف، وفشلت محاولتهم تلك في أثناء السادات عن أقواله أو الاعتراف بالتعاون مع الجاسوس الألماني.

وعندما عادت إدارة الجيش المصري لممارسة ضغوطها على والد السادات قال لهم: إذا كان ابني مخطئا فأطلقوا عليه الرصاص، وتم الاستغناء عن خدمات السادات بقرار ملكي -كضابط في الجيش المصري- وتم خلع الرتب العسكرية من على كتفه، وداخل سجن الأجانب التقى جميع أطراف قضية التجسس، إبلر وصديقه مونكاستر وحكمت فهمي والسادات، ورفيقه حسن عزت.

وصل وينستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا إلى مصر، وطلب رؤية الجواسيس الألمان، ووعدهما بألا يحكم عليهما بالإعدام إذا اعترفا وباحا للمخابرات البريطانية بسر الشفرة، وهو الأمر الذي أدى إلى خداع روميل ثعلب الصحراء.

وفي تلك الأيام أضربت حكمت فهمي عن الطعام، حتى ساءت حالتها النفسية، وتمكنت من الخروج من السجن بعد أن دفعت رشوة مالية قدرها ٢٠٠ جنيه، وقضت في المعتقل -فترة مثيرة للقرف-.. خرجت -محطمة عجوزاً في سن الشباب، منهارة الصحة، ذابلة الملامح، خامدة النظرات على بشرة الوجه اصفرار وشحوب-.

بينما عاد إبلر وصديقه مونكاستر إلى ألمانيا..

كاميليا.. جاسوسة في القصر الملكي



كاميليا.. جاسوسة في القصر الملكي

بدأت علاقة فاروق الأول، ملك مصر السابق، بكاميليا في عام ١٩٤٦، وكان عمرها ١٦ سنة، وقد سارت الأمور على النحو التالي : قابلها وهي بصحبة المنتج السينمائي أحمد سالم (الذي كان معروفا بشبقه الجنسي) في «أوبرج الأهرام»، فأعجبته، فدعاها إلى قصر عابدين. وفي القصر غنت له أغاني يهودية، ورقصت، وبكت، وضحكت، وتظاهرت بأنه يعلمها حيل الحب بينما كانت . في الواقع . تقود خطاه المتلعثمة. ومن الخلوة في قصر عابدين إلى خلوة أخرى . غير شرعية . في قبرص، حيث اصطحبها فاروق، أو اصطحبته هي في الواقع قائلة إنها تريد أن تزور منزلا تمتلكه عائلتها هناك، لكنه لم يكن أكثر من «كوخ»، نسيت «كاميليا» أمره تماما ولم تفكر ولو في المرور به، غارقة لأيام معدودات في «الجناح الملكي»، الذي نزلت فيه مع «فاروق»، قبل أن يتهمها الملك بأنها سربت خبر خلوتهما الذي نشرته صحيفة قاهرية، ويترك لها رسالة تقول : «اضطررت للرحيل» تاركا لها خمسين جنيها لا غير، وعندما هرعت «كاميليا» إلى الميناء الذي سبق أن رست عليه بأحلامها وحقائبها، اكتشفت أن فاروق رحل قبل ساعات على اليخت الملكي نفسه الذي وصلا به إلى قبرص، اليخت «فخر البحار» وياله من فخر!

لم يعد فاروق إلى مصر، بل اتجه بـ-فخره-إلى ميناء -مرسين-التركي، وبقى فيه غير مبال ببرقيات الحكومة والقصر . قصره . التي كانت حروفها شفاها تقبل يديه وتطالبه بالعودة فورا، لأن فضيحة كاميليا تتفاعل، والإنجليز يحسبونه في -مرسين-لعقد حلف مع تركيا، والأحوال تتدهور بسرعة. ومزق فاروق البرقيات كلها، إلا برقية واحدة كانت لها شفتان غليظتان، برقية من كاميليا تقول -سوف أنتحر إذا لم تعد-! وعاد . حبا وخوفا من الفضيحة . ليسترضيها ويشتري لها -فيلا-حقيقية.

حين قرر الملك -فاروق-العودة إلى مصر من ميناء -مرسين-التركي، على

يخته -فخر البحار-، كانت هناك أزمة وزارية تنتظره في القاهرة، وأزمة أكبر معه على اليخت اسمها -كاميليا-، لكنه تجاهل الأزمتين معا، الأزمة الوزارية وكاميليا التي هجرها عاما كاملا !

وعندما شعر بحنين لها طلبها على الهاتف، وحضرت إليه في قصر عابدين، كان يحدثها وهي شاردة، ولم يفهم سر شرودها إلا عندما غادر الحجرة تاركا مائدة الطعام العامرة التي كان قد انتهى منها قبل وصولها مباشرة، وانقضت -كاميليا-على بقايا الطعام، وعاد الملك إلى الحجرة ليراها، ويعرف أنها تعيش على -الفول-، وأنها بلا عمل ولا مال منذ هجرها. وشبعت -كاميليا-لتثرثر مرة أخرى عن علاقتها بالملك، وتنتشر الفضيحة، فيهجرها فاروق، ثم يستدعيها ليسألها عن علاقتها بمصور خطبت له، ويتهمها بالحماقة لأنها تفضل الزواج من رجل تافه على أن تكون خليلة للملك، وعادت -المياه إلى مجاريها-بينما كانت حرب فلسطين بين العرب - وقائدهم الملك فاروق ملك مصر والسودان - واليهود، الذين شاع أن -كاميليا-جاسوسة لهم، وقيل إنها -إستر-الجديدة، تقدم نفسها - كنظيرتها البعيدة - للملك حتى يرضى عن قومها. وحين وصل الأمر إلى اتهام صريح ومساع من السلطات المصرية للقبض على كاميليا، قام فاروق بطرد أحد وزرائه من شاليه مملوك له - للوزير - في الإسكندرية لتختبئ فيه خليلته اليهودية المتهمة بالجاسوسية لصالح الصهاينة، فيما كان الجيش المصري يخوض الحرب ضد الصهاينة ويلقى الهزيمة على أرض فلسطين عام ١٩٤٨!

ولم يجد رئيس الوزراء -النقراشي-بدا من مواجهة الملك بحقيقة ما تهتف به الجماهير ضده في كل مكان، بل بحقيقة ما سمعه الملك بأذنه من شعبه الغاضب وهو يغادر سينما -مترو-. قال -النقراشي-للملك: -لقد نما إلى علمي أن عددا من النساء اللاتي تلتقي بهن جاسوسات، وأن اليهود يحصلون على معلومات منهن، كما علمت أن هناك علاقة حب بينك وبين فتاة يهودية-. وأنكر الملك، ادعى أن علاقته بـ-الفتاة اليهودية-انتهت، وقال إنه يلعب القمار مع اليهود ليأخذ أموالهم، كان كلاما فارغا، لم يؤد إلى نتيجة.

وبعد الانسحاب المهين للقوات المصرية من فلسطين طبقا لهدنة -رودس-٢٤

من فبراير ١٩٤٩، وطلاق فاروق للملكة المحبوبة من الشعب -فريدة-بناء على طلبها، وزواج الأميرة -فاطمة طوسون-. التي كان -فاروق-يضعها على لائحته ويخطط للزواج منها . من الأمير البرازيلي -دوم جوان-وصل فاروق إلى حافة الانهيار. وفي تلك الثناء علم أن الأميرة فاطمة سليلة أسرة -محمد علي-تزوجت رجلا مسيحيا، ورتبت للأمر بالسفر إلى أوروبا، فاتصل بها . وقد جن جنونه . ليغريها بأنها ستكون -ملكة مصر-ويهددها بأنه سيجردها من لقبها وأملاكها، لم تبال بوعده ولا بوعيده، كانت صماء تماما، ومصممة على إتمام زيجتها، وقد كان!

وفي نهاية صيف ١٩٥٠ قرر فاروق أن يسافر إلى ديوفيل بفرنسا ليلتقى . سرا . بجاسوسته الحسناء -كاميليا-، ومن الإسكندرية سافر فاروق إلى -مارسيليا-التي لم تكن قد تعافت بعد من آثار الحرب العالمية الثانية، فكان طبيعيا أن تتصدر أخبار إسرافه المستفزة الصفحات الأولى، وفي ديوفيل خسر . في انتظار كاميليا . ٥٥ ألف جنيه مصري (نحو مليوني جنيه بعملتنا الحالية) على مائدة القمار في ليلة واحدة، وحسب الترتيب المتفق عليه كان على -كاميليا-أن تسافر إلى سويسرا بالطائرة في ٣١ من أغسطس ١٩٥٠، ثم تستقل سيارة فاروق الخاصة التي أرسلها بسائقها من -جنيف-إلى -ديوفيل-. وكان يمكن ألا تسافر كاميليا من الأصل، ففي المطار اكتشفت أنه لا يوجد مكان على الطائرة، لكن الصحافي -أنيس منصور-الذي كان مسافرا على الطائرة شعر بقلق على والدته المريضة، فقرر التخلف عن السفر، وفي المطار وجد -كاميليا-بصحبة الناقد الفني الراحل -حسن إمام عمر-وأعطاها تذكرته.

لا أحد يعرف أي تاريخ كان سيكتب لو وصلت الطائرة التي لم تصل أبدا، ففي الموعد المحدد لوصولها اتصل سكرتير فاروق بمليكه ليخبره أن الطائرة التي أقلعت بكاميليا لم تغادر مصر، فقد سقطت وتحطمت فوق محافظة البحيرة بالقرب من القاهرة، ومعها احترقت -كاميليا-، ومات كل ركابها، وكانوا ٥٥ راكبا.

وهكذا انتهت مغامرة اليهودية الطموح، الجاسوسة الحسناء، نجمة الإغراء -ليليان كوهين-خليلة الملك المعروفة باسم الممثلة -كاميليا-، التي دافع عنها بعض الكتاب قائلين إنها غير يهودية، حيث قال الناقد حسن إمام عمر: إنه قد شهد

قداس جنازتها بإحدى الكنائس يوم سقطت بها الطائرة أول سبتمبر عام ١٩٥٠م.. ولكن دفاعهم هذا.. كان أقبح من ذنب صهيونيتها، حيث المعروف أن أمها المسيحية الإيطالية كانت قد حملت بها سفاحاً... من تاجر أقطان مسيحي إيطالي... حيث كانت أمها تملك "بانسيون" بالإسكندرية، وكانت تخادن الرجال فيه إلى أن حملت من هذا الثري الإيطالي، الذي أفلس في بورصة القطن، فغادر الإسكندرية إلى روما نتيجة هذه الخسارة، وكانت "كاميليا" مازالت في بطن أمها، فلما وضعتها لم تجد إلا ديوثاً يهودياً كان أحد زبائنها بالبانسيون، فنُسبت في شهادة ميلادها إليه باسم "ليليان ليفي كوهين"... وعاشت كاميليا كما يقول زكي طليمات عن حياتها: وهي مثال للعبث والانحراف والاستهتار بكل القيم والتقاليد.

لم تكن كاميليا مجرد عميلة صهيونية، بل إحدى أهم الركائز التي قام عليها الكيان الصهيوني، وكانت صاحبة الفضل الأول في قيام هذا الكيان باعتراف مؤسسي "إسرائيل" وفي مقدمتهم "ديفيد بن جوريون" الذي قال: "ليليان ليفي كوهين أعظم امرأة في تاريخ الشعب الإسرائيلي".. استغلت جمالها في الإيقاع بفاروق، ولتظل المحظية الأولى مدة ثلاث سنوات، حتى اقتربت من لقب ملكة مصر، وعندها هلل رئيس الوكالة اليهودية آنذاك "جيمس زارب" قائلا مثلما ورد في مذكرات بن جوريون: "تحقق الحلم.. ستعود مملكة داوود.. ستعود إسرائيل"..

وكانت ليليان قبل التمثيل تعمل بالدعارة في إحدى ملاهي الإسكندرية، وفي تلك الفترة تحديدا تم تجنيدها لصالح الوكالة اليهودية، واستمرت في نقل الأخبار لقادة الوكالة في فلسطين عبر العملاء اليهود في مصر، خاصة أن زبائنها كانوا من الشخصيات المرموقة سياسيا واقتصاديا في المجتمع المصري، ونظرا لنشاطها المتميز في مجال التجسس وجمع المعلومات، بدأ التخطيط للدفع بها لقصر عابدين، كان أقصى طموح لدى الوكالة الصهيونية أن تكون قريبة من دوائر صنع القرار في مصر، لكن القدر شاء أن تصل لفراش الملك لتكون على دراية بأدق أسرار الدولة. يقول بن جوريون: "تمكنت ليليان من إمداد تل أبيب بمعلومات هامة عن تعداد الجيش المصري وعتاده وميعاد تحركه صوب فلسطين، وكذلك كل كبيرة وصغيرة عن الجيوش العربية التي تأهبت للعدوان على إسرائيل"..

اعتراف خطير كهذا وغيره من الوثائق تكشف بوضوح مدى الاختراق الصهيوني الذي تم في صفوف العرب في تلك الحرب المصيرية. لكن الشبهات أخذت تحوم حول كاميليا أثناء المعركة، مما دفعها للإعلان أنها لم تقم أبدا بزيارة القدس، ومن أجل التمويه قادت حملة كبيرة لجمع التبرعات للجيوش العربية على جبهات القتال، حتى تم الإعلان عن وقف إطلاق النار، فيما عرف بالهدنة الأولى، والتي توقف فيها القتال، الذي كان يسير لصالح العرب الذين كانوا متقدمين في المعارك وأحرزوا انتصارات محسوبة.

يروي "رشاد كامل" (رئيس تحرير بمجلة صباح الخير السابق) قائلا: "مع نهاية عام ١٩٤٧ جاءت كاميليا إلى الملك تشكو له خوفها من أن تعتقلها الشرطة المصرية باعتبارها يهودية، فقام فاروق بإعداد قصر المنتزه لإخفائها فيه، وكان يزورها سرا أثناء حرب فلسطين، وبعد الهزيمة ثارت الدنيا عليه وصارحه رئيس وزرائه محمود فهمي النقراشي بأن الراقصة التي يأويها جاسوسة وتنقل الأسرار للوكالة اليهودية، فثار عليه فاروق ونهره"..

وإذا كان كثير من المؤرخين المصريين يتهمون كاميليا بالجاسوسية دون تقديم الأدلة الكافية، فإن الكاتب الأمريكي "وليم ستادين" قدم كل الأدلة التي تثبت تورط هذه المرأة لصالح الوكالة اليهودية، بل ودورها الخطير في هزيمة العرب عام ٤٨، فيقول: "لم يكن بإمكان إسرائيل الوليدة التي كانت قواتها عبارة عن مجموعة عصابات أن تهزم جيوش ست أو سبع دول عربية مجتمعة ومجهزة في تلك الحرب، فقوام تلك الجيوش آنذاك اقترب من ربع مليون مقاتل، في حين بلغ مجموع الجيوش العربية التي دخلت فلسطين في ١٤، ١٥ مايو ١٩٤٨م، ٢١ ألف مقاتل، أي أقل من عشر تعداد تلك الجيوش، فكانوا موزعين)مصر ١٠ آلاف مقاتل، الأردن ٤ آلاف مقاتل، سوريه والعراق ٣ آلاف مقاتل، لبنان ألف مقاتل)، وعلى الجانب الآخر كانت القوات اليهودية (٦٥ ألف مقاتل و٢٠ ألف مقاتل احتياطي) إضافة إلى قوات الأرجون وقوات البولس اليهودي ومنظمة شتيرن"..

ويضيف ستادين: "التساؤل هو: لماذا لم ترسل الدول العربية سوى هذا العدد

الضئيل قياسا بإمكانات جيوشها؟، الإجابة لها علاقة بالدور الاستخباري الكبير الذي لعبته استخبارات الوكالة اليهودية التي أصبحت النواة الأولى للموساد بعد قيام الدولة، فقد كانت القاهرة المنسق العام والمشرف على تلك الحرب في جميع مراحلها، وكان قرار الحرب في يد الملك فاروق، حتى الخطط القتالية وتحديد القوات ومهامها كانت كلها في يد الملك، الذي كان بدوره في يد كاميليا"، ويضيف: "الغريب أن الملك كان يرتدي بدلته العسكرية ويحضر الصحفيين لتصويره وهو يؤشر على خرائط المعارك، في حين أن تلك القرارات الخطيرة كانت تتم في غرفة نومه بمشاركة عشيقته المقربة كاميليا، التي تمكنت من إقناع الملك بتوجيه قوات تقل في قوامها عن ثلث القوات اليهودية في المرحلة الأولى من الحرب".

ويضيف "ستادين": "كاميليا نجحت في إقناع ملك مصر بقبول وقف إطلاق النار والتوقيع على الهدنة في وقت كانت فيه الجيوش العربية متقدمة بشكل مخيف، فقد أصبحت القوات المصرية من الجنوب على بعد ٢٠ كلم، والقوات العراقية من الشرق على بعد ١٤ كلم من العاصمة تل أبيب، ولولا هذه الهدنة لكانت نهاية إسرائيل، وبذكاء الأنثى كانت كاميليا تنمي في صدر عشيقها مشاعر الزهو كقائد عظيم منتصر، وكان الأخير يحاول التغلب على عجزه أمام فتاته الصغيرة اليافعة ببطولاته، فكان يطلعها كل ليلة على مجريات القتال، وفي الوقت الذي أخبرها الملك بأنه سيضاعف من عدد القوات المحاربة عشر مرات دفعة واحدة، نجحت كاميليا في إقناع الملك مرة أخرى بأن النصر مضمون، فلم يصل حجم القوات العربية إلا لـ ٥٦ ألف مقاتل، في المقابل ضاعف الجيش الإسرائيلي قواته ليصل إلى مائة وعشرين ألف مقاتل، فكانت الغلبة العددية دائما لصالح اليهود".

هبة سليم.. جاسوسة عربية آمنت بإسرائيل

جولدا مائير بكت على هبة سليم



هبة سليم.. جاسوسة عربية آمنت بإسرائيل

في حي المهندسين الراقي عاشت مراهقتها، وفي نادي "الجزيرة" - أشهر نوادي القاهرة - الذي كانت تحمل عضويته اندمجت هبة عامر في وسط شبابي لا تثقل عقله سوى أحاديث الموضة والمغامرات، وبرغم هزيمة ١٩٦٧ الفادحة والمؤلمة للجميع، فإن هبة انخرطت في "جروب" من شلة أولاد الذوات تسعى خلف أخبار الهيبز، وملابس الكاوبوي وأغاني ألفيس بريسلي.

وعندما حصلت على الثانوية العامة ألحت على والدها للسفر إلى باريس لإكمال تعليمها الجامعي، فالغالبية العظمى من شباب النادي أبناء الهاي لايف، لا يدخلون الجامعات المصرية ويفضلون جامعات أوروبا المتحضرة.

وأمام ضغوط الفتاة الجميلة، ودموعها الرقيقة، وافق الأب وهو يلعن هذا الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه ولا بد من مسايرة عاداته وتقاليده.

وفي باريس لم تنبهر الفتاة كثيراً، فالحرية المطلقة التي اعتادتها في مصر كانت مقدمة ممتازة للحياة والتحرر في عاصمة النور.

ولأنها درست الفرنسية منذ طفولتها فقد كان من السهل عليها أيضاً أن تتأقلم بسرعة مع هذا الخليط العجيب من البشر. ففي الجامعة كانت تختلف كل الصور عما ترسب بمخيلتها.. إنها الحرية بمعناها الحقيقي، الحرية في القول والتعبير، وفي اختيار المواد الدراسية، بل وفي مواعيد الامتحان أيضاً، فضلاً عن حرية العلاقة بين الجنسين التي عادة لا تقتصر على الحياة الجامعية فحسب، بل تمتد خارجها في شمولية ممتزجة باندفاع الشباب والاحتفاء بالحياة.

جمعتها مدرجات الجامعة بفتاة يهودية من أصول بولندية دعتها ذات يوم لسهرة بمنزلها، وهناك التقت بلفيف من الشباب اليهود الذي تعجب لكونها مصرية جريئة لا تلتفت إلى الخلف، وتنطلق في شراهة تمتص رحيق الحرية، ولا تهتم بحالة الحرب التي تخيم على بلدها، وتهيمن على الحياة بها.

لقد أعلنت صراحة في شقة البولندية أنها تكره الحرب، وتتمنى لو أن السلام عم المنطقة. وفي زيارة أخرى أطلعتها زميلتها على فيلم يصور الحياة الاجتماعية في إسرائيل، وأسلوب الحياة في "الكيبوتز" وأخذت تصف لها كيف أنهم ليسوا وحوشاً آدمية كما يصورهم الإعلام العربي، بل هم أناس على درجة عالية من التحضر والديموقراطية.

وعلى مدار لقاءات طويلة مع الشباب اليهودي والامتزاج بهم بدعوى الحرية التي تشمل الفكر والسلوك، استطاعت هبة أن تستخلص عدة نتائج تشكلت لديها كحقائق ثابتة لا تقبل السخرية. أهم هذه النتائج أن إسرائيل قوية جداً وأقوى من كل العرب. وأن أمريكا لن تسمح بهزيمة إسرائيل في يوم من الأيام بالسلاح الشرقي.. ففي ذلك هزيمة لها.

آمنت هبة أيضاً بأن العرب يتكلمون أكثر مما يعملون. وقادتها هذه النتائج إلى حقد دفين على العرب الذين لا يريدون استغلال فرصة وجود إسرائيل بينهم ليتعلموا كيفية اختزال الشعارات إلى فعل حقيقي. وأول ما يبدعون به نبذ نظم الحكم التي تقوم على ديموقراطية كاذبة وعبادة للحاكم.

وثقت هبة أيضاً في أحاديث ضابط الموساد الذي التقت به في شقة صديقتها.. وأوهمها باستحالة أن ينتصر العرب على إسرائيل وهم على خلاف دائم وتمزق خطير، في حين تلقى إسرائيل الدعم اللازم في جميع المجالات من أوروبا وأمريكا.

هكذا تجمعت لديها رؤية أيديولوجية باهتة، تشكلت بمقتضاها اعتقاداتها الخاطئة، التي قذفت بها إلى الهاوية !!

كانت هذه الأفكار والمعتقدات التي اقتنعت بها الفتاة سبباً رئيسياً لتجنيدها للعمل لصالح الموساد.. دون إغراءات مادية أو عاطفية أثرت فيها، مع ثقة أكيدة في قدرة إسرائيل على حماية "أصدقائها" وإنقاذهم من أي خطر يتعرضون له في أي مكان في العالم.

هكذا عاشت الفتاة أحلام الوهم والبطولة، وأرادت أن تقدم خدماتها لإسرائيل طواعية ولكن.. كيف ؟

الحياة في أوروبا أنستها هواء الوطن، وأغاني عبد الحليم حافظ الوطنية، وبرج القاهرة الذي بناه عبد الناصر من أموال المخابرات الأمريكية التي سخرتها لاغتياله.

فقط تذكرت فجأة المقدم فاروق الفقي الذي كان يطاردها في نادي الجزيرة، ولا يكف عن تحين الفرصة للانفراد بها، وإظهار إعجابه الشديد ورغبته الملحة في الارتباط بها. لقد ملت كثيراً مطارداته لها من قبل في النادي وخارج النادي، وكادت يوماً ما أن تنفجر فيه غيظاً في التليفون، وذلك عندما تلاحقت أنفاسه اضطراباً وهو يرجوها أن تحس به.. مئات المرات قال لها: "أعبدك.. أحبك.. أهواك يا صغيرتي". ولكنها كانت قاسية عنيفة في صده.

تذكرت هبة هذا الضابط الولهان، وتذكرت وظيفته الهامة في مكان حساس في القوات المسلحة المصرية، وعندما أخبرت ضابط الموساد عنه، كاد يطير بها فرحاً، ورسم لها خطة اصطياده.

وفي أول إجازة لها بمصر.. كانت مهمتها الأساسية تنحصر في تجنيده.. وبأي ثمن، وكان الثمن خطبتها له. وفرح الضابط العاشق بعروسه الرائعة التي فاز بها أخيراً، وبدأت تدريجياً تسأله عن بعض المعلومات والأسرار الحربية.. وبالذات مواقع الصواريخ الجديدة التي وصلت من روسيا.. فكان يتباهى أمامها بأهميته ويتكلم في أدق الأسرار العسكرية، ويجيء بها بالخرائط زيادة في شرح التفاصيل.

أرسلت هبة سليم على الفور بعدة خطابات إلى باريس بما لديها من معلومات ولما تبينت إسرائيل خطورة وصحة ما تبلغه هذه الفتاة لهم.. اهتموا بها اهتماماً فوق الوصف. وبدءوا في توجيهها إلى الأهم في تسليح ومواقع القوات المسلحة.. وبالذات قواعد الصواريخ والخطط المستقبلية لإقامتها، والمواقع التبادلية المقترحة.

وسافرت هبة إلى باريس مرة ثانية تحمل بحقيبتها عدة صفحات.. دونت بها معلومات غاية في السرية والأهمية للدرجة التي حيرت المخابرات الإسرائيلية. فماذا سيقدمون مكافأة للفتاة الصديقة؟

سؤال كانت إجابته عشرة آلاف فرنك فرنسي حملها ضابط الموساد إلى الفتاة.. مع وعد بمبالغ أكبر وهدايا ثمينة وحياة رغدة في باريس. رفضت هبة النقود بشدة وقبلت فقط السفر إلى القاهرة على نفقة الموساد بعد ثلاثة أشهر من إقامتها بباريس. كانت الوعود البراقة تنتظرها في حالة ما إذا جندت خطيبها ليمدهم بالأسرار العسكرية التي تمكنهم من اكتشاف نوايا المصريين تجاههم.

لم يكن المقدم فاروق الفقي بحاجة إلى التفكير في التراجع، إذ أن الحبيبة الرائعة هبة كانت تعشش بقلبه وتستحوذ على عقله.. ولم يعد يملك عقلاً ليفكر، بل يملك طاعة عمياء سخرها لخدمة إرادة حبيبته. وعندما أخذها في سيارته الفيات ١٢٤ إلى صحراء الهرم.. كان خجولاً لفرط جرأتها معه، وادعت بين ذراعيه أنها لم تصادف رجلاً قبله أبداً. وأبدت رغبتها في قضاء يوم كامل معه في شقته. ولم يصدق أذنيه. فهو قد ألح عليها كثيراً من قبل لكنها كانت ترفض بشدة. الآن تعرض عليه ذلك بحجة سفرها، وفي شقته بالدقي تركت لعابه يسيل، وجعلته يلهث ضعفاً وتذللاً..

ولما ضمها إلى صدره في نهم ورغبة واقتربت شفتاه منها.. صدته في تمنع كاذب.. فاندفع اليها بشوق أكثر. فأعطته جزءا من ثمن الخيانة، دون أن تعطيه كل ما يطلبه جسده الظامئ.. هيهات أن تمنحه كل ما يريد. بهذا التمنع أحكمت قيدها حول رقبته فمشى يتبعها أينما سارت.. وسقط الضابط الخائن في بئر الشهوة، ووقّع وثيقة خيانته عارياً على صدرها، ليصير في النهاية عميلاً للموساد تمكن من تسريب وثائق وخرائط عسكرية.. موضحاً عليها منصات الصواريخ "سام ٦" المضادة للطائرات.. التي كانت القوات المسلحة تسعى ليلى نهار لنصبها لحماية مصر من غارات العمق الإسرائيلية.

وضح للقيادة العامة للقوات المسلحة ولجهازي المخابرات العامة والحربية، أن مواقع الصواريخ الجديد تدمر أولاً بأول بواسطة الطيران الإسرائيلي. حتى قبل أن يجف الأسمنت المسلح بها، مع حدوث خسائر جسيمة في الأرواح، وتعطيل في تقدم العمل وإنجاز الخطة التي وضعت لإقامة حائط الصواريخ المضادة للطائرات.

تزامنت الأحداث مع وصول معلومات لرجال المخابرات المصرية.. بوجود عميل "عسكري" قام بتسريب معلومات سرية جداً إلى إسرائيل.. وبدأ شك مجنون في كل شخص ذي أهمية في القوات المسلحة، وفي مثل هذه الحالات لا يستثنى أحد بالمرة، بدءاً من وزير الدفاع..

فرضت رقابة شديدة على المراسلات البريدية، واتسعت دائرة الرقابة التليفزيونية والبريدية لتشمل دولاً كثيرة أخرى، مع رفع نسبة المراجعة والرقابة إلى مائة في المائة من الخطابات وغيرها، كل ذلك لمحاولة كشف الكيفية التي تصل بها هذه المعلومات إلى الخارج. كما بدأت رقابة قوية وصارمة على حياة وتصرفات كل من تتداول أيديهم هذه المعلومات من القادة، وكانت رقابة لصيقة وكاملة. وقد تبينت طهارتهم ونقاؤهم.

ثم أُدخل موظفو مكاتبهم في دائرة الرقابة.. ومساعدوهم ومديرو مكاتبهم.. وكل من يحيط بهم مهما صغرت أو كبرت رتبته".

وفي تلك الأثناء كانت هبة سليم تعيش حياتها بالطول وبالعرض في باريس. وعرفت الخمر والتدخين وعاشت الحياة الاوروبية بكل تفاصيلها. وكانت تشعر في قرارة نفسها بأنها خلقت لتعيش في أوروبا، وتكره مجرد مرور خاطرة سريعة تذكرها بمصريتها.

لقد نزفت عروبتها نزفاً من شرايين حياتها، وتهللت بشراً عندما عرض عليها ضابط الموساد زيارة إسرائيل، فلم تكن لتصدق أبداً أنها مهمة إلى هذه الدرجة، ووصفت هي بنفسها تلك الرحلة قائلة : "طائرتان حربيتان رافقتا طائرتي كحارس شرف وتحية لي. وهذه إجراءات تكريمية لا تقدم أبداً إلا لرؤساء وملوك الدول الزائرين، حيث تقوم الطائرات المقاتلة بمرافقة طائرة الضيف حتى مطار الوصول.

وفي مطار تل أبيب كان ينتظرني عدد من الضباط اصطفوا بجوار سيارة ليموزين سوداء تقف أسفل جناح الطائرة، وعندما أدوا التحية العسكرية لي تملكني شعور قوي بالزهو. واستقبلني بمكتبه مائير عاميت رئيس جهاز الموساد، وأقام لي حفل استقبال ضخماً ضم نخبة من كبار ضباط الموساد على رأسهم

مايك هراري الأسطورة، وعندما عرضوا تلبية كل (أوامري).. طلبت مقابلة جولدا مائير رئيسة الوزراء التي هزمت العرب ومرغت كرامتهم، ووجدت على مدخل مكتبها صفاً من عشرة جنرالات إسرائيليين أدوا لي التحية العسكرية.. وقابلتني مسز مائير ببشاشة ورقة وقدمتني اليهم قائلة: (إن هذه الآنسة قدمت لإسرائيل خدمات أكثر مما قدمتم لها جميعاً مجتمعين).

وبعد عدة أيام عدت إلى باريس.. وكنت لا أصدق أن هذه الجنة (إسرائيل) يتربص بها العرب ليدمروها "!!

وفي القاهرة.. كان البحث لا يزال جارياً على أوسع نطاق، والشكوك تحوم حول الجميع، إلى أن اكتشف أحد مراقبي الخطابات الأذكياء من المخابرات المصرية" خطاباً عادياً مرسلاً إلى فتاة مصرية في باريس، سطوره تفيض بالعواطف من حبيبها. لكن الذي لفت انتباه المراقب الذكي، عبارة كتبها مرسل الخطاب تقول إنه قام بتركيب إيريال الراديو الذي عنده، ذلك أن عصر إيريال الراديو كان قد انتهى. إذن.. فالإيريال يخص جهازاً لاسلكياً للإرسال والاستقبال.

وانقلبت الدنيا في جهازي المخابرات الحربية والمخابرات العامة وعند ضباط البوليس الحربي، وتشكلت عدة لجان من أمهر رجال المخابرات، ومع كل لجنة وكيل نيابة ليصدر الأمر القانوني بفتح أي مسكن وتفتيشه. وكانت الأعصاب مشدودة حتى أعلى المستويات في انتظار نتائج اللجان، حتى عثروا على جهاز الإيريال فوق إحدى العمارات.. واتصل الضباط في الحال باللواء فؤاد نصار مدير المخابرات الحربية وأبلغوه باسم صاحب الشقة.. فقام بإبلاغ الفريق أول أحمد إسماعيل وزير الدفاع "قبل أن يصبح مشيراً" الذي قام بدوره بإبلاغ الرئيس السادات.

حيث تبين أن الشقة تخص المقدم فاروق الفقي، وكان يعمل وقتها مديراً لمكتب أحد القيادات الهامة في الجيش، وكان بحكم موقعه مطلعاً على أدق الأسرار العسكرية، وكان الضابط الجاسوس أثناء ذلك في مهمة عسكرية بعيداً عن القاهرة.

وعندما اجتمع اللواء فؤاد نصار بقائد الضابط الخائن.. (قيل بعد ذلك أنه ضابط كبير له دور معروف في حرب أكتوبر واشتهر بخلافه مع الرئيس السادات حول الثغرة).. رفض القائد أن يتصور حدوث خيانة بين أحد ضباط مكتبه.. خاصة أن المقدم فاروق يعمل معه منذ تسع سنوات، بل قرر أن يستقيل من منصبه إذا ما ظهر أن رئيس مكتبه جاسوس للموساد.

وعندما دخل الخائن إلى مكتبه.. كان اللواء حسن عبد الغني نائب مدير المخابرات الحربية ينتظره جالساً خلف مكتبه بوجه صارم وعينين قاسيتين فارتجف رعباً وقد جحظت عيناه وقال في الحال "هو انتوا عرفتوا؟؟".

وعندما ألقى القبض عليه استقال قائده على الفور، ولزم بيته حزيناً على خيانة فاروق والمعلومات الثمينة التي قدمها للعدو.

وفي التحقيق اعترف الضابط الخائن تفصيلياً بأن خطيبته جندته بعد قضاء ليلة حمراء معها.. وأنه رغم اطلاعه على أسرار عسكرية كثيرة إلا أنه لم يكن يعلم أنها ستفيد العدو.

وعند تفتيش شقته أمكن العثور على جهاز اللاسلكي المتطور الذي يبث من خلاله رسائله، وكذا جهاز الراديو ونوتة الشفرة، والحبر السري الذي كان بزجاجة دواء للسعال. ضبطت أيضاً عدة صفحات تشكل مسودة بمعلومات هامة جداً معدة للبث، ووجدت خرائط عسكرية بالغة السرية لأحشاء الجيش المصري وشرايينه، تضم مواقع القواعد الجوية والممرات والرادارات والصواريخ ومرابض الدفاعات الهامة.

وفي سرية تامة.. قدم سريعاً للمحاكمة العسكرية التي أدانته بالإعدام رمياً بالرصاص.. واستولى عليه ندم شديد عندما أخبروه بأنه تسبب في مقتل العديد من العسكريين من زملائه من جراء الغارات الإسرائيلية.. وأخذوه في جولة ليرى بعينه نتائج تجسسه. فأبدى استعداده مرات عديدة لأن يقوم بأيٍ عمل يأمرونه به.

ووجدوا -بعد دراسة الأمر بعناية- أن يستفيدوا من المركز الكبير والثقة

الكاملة التي يضعها الإسرائيليون في هذا الثنائي. وذلك بأن يستمر في نشاطه كالمعتاد خاصة والفتاة لم تعلم بعد بأمر القبض عليه والحكم بإعدامه.

وفي خطة بارعة من المخابرات الحربية، أخذوه إلى فيلا محاطة بحراسة مشددة، وبداخلها نخبة من أذكى وألمع رجال المخابرات المصرية تتولى "إدارة" الجاسوس وتوجيهه، وإرسال الرسائل بواسطة جهاز اللاسلكي الذي أحضرته له الفتاة ودربته عليه. وكانت المعلومات التي ترسل هي بالطبع من صنع المخابرات الحربية، وتم توظيفها بدقة متناهية في تحقيق المخطط للخداع، حيث كانت حرب أكتوبر قد اقتربت، وهذه هي إحدى العمليات الرئيسية للخداع التي ستترتب عليها أمور استراتيجية مهمة بعد ذلك.

لقد كان من الضروري الإبقاء على هبة في باريس والتعامل معها بواسطة الضابط العاشق، واستمر الاتصال معها بعد القبض عليه لمدة شهرين، ولما استشعرت القيادة العامة أن الأمر أخذ كفايته.. وأن القيادة الإسرائيلية قد وثقت بخطة الخداع المصرية وابتلعت الطعم، تقرر استدراج الفتاة إلى القاهرة بهدوء.. لكي لا تهرب إلى إسرائيل إذا ما اكتشف أمر خطيبها المعتقل.

وفي اجتماع موسع.. وضعت خطة القبض على هبة.. وعهد إلى اللواء حسن عبد الغني ومعه ضابط آخر بالتوجه إلى ليبيا لمقابلة والدها في طرابلس حيث كان يشغل وظيفة كبيرة هناك.. وعرفاه على شخصيتهما وشرحا له أن ابنته هبة التي تدرس في باريس تورطت في عملية اختطاف طائرة مع منظمة فلسطينية، وأن الشرطة الفرنسية على وشك القبض عليها.. وما يهم هو ضرورة هروبها من فرنسا لعدم توريطها، ولمنع الزج باسم مصر في مثل هذه العمليات الإرهابية. وطلبا منه أن يساعدهما بأن يطلبها للحضور لرؤيته حيث إنه مصاب بذبحة صدرية.

أرسل الوالد برقية عاجلة لابنته.. فجاء ردها سريعاً ببرقية تطلب منه أن يغادر طرابلس إلى باريس.. حيث إنها حجزت له في أكبر المستشفيات هناك وأنها ستنتظره بسيارة إسعاف في المطار.. وأن جميع الترتيبات للمحافظة على صحته قد تم اتخاذها.

ولكي لا تترك المخابرات المصرية ثغرة واحدة قد تكشف الخطة بأكملها.. فقد تم إبلاغ السلطات الليبية بالقصة الحقيقية، فتعاونت بإخلاص مع الضابطين من أجل اعتقال الجاسوسة المصرية.. وتم حجز غرفة في مستشفى طرابلس وإفهام الأطباء المسؤولين مهمتهم وما سيقومون به بالضبط.

وبعدما أرسل والدها رداً بعدم استطاعته السفر إلى باريس لصعوبة حالته.. صح ما توقعه الضابطان، إذ حضر شخصان من باريس للتأكد من صحة البرقية وخطورة المرض، وسارت الخطة كما هو مرسوم لها، وذهب الإسرائيليان إلى المستشفى وتأكدا من الخبر، فاتصلا في الحال بالفتاة التي ركبت الطائرة الليبية في اليوم التالي إلى طرابلس. وعلى سلم الطائرة عندما نزلت هبة عدة درجات كان الضابطان المصريان في انتظارها، وصحباها إلى حيث تقف الطائرة المصرية على بعد عدة أمتار من الطائرة الليبية.. فسألتهما:

إحنا رايحين فين؟

فرد أحدهما:

المقدم فاروق عايز يشوفك.

فقالت:

هو فين؟.

فقال لها:

في القاهرة.

صمتت برهة ثم سألت:

أمال إنتم مين؟

فقال اللواء حسن عبد الغني:

إحنا المخابرات المصرية.

وعندما أوشكت أن تسقط على الأرض.. أمسكا بها وحملاها حملاً إلى

الطائرة التي أقلعت في الحال، بعد أن تأخرت ساعة عن موعد إقلاعها في انتظار الطائرة القادمة من باريس بالهدية الغالية.

لقد تعاونت شرطة المطار الليبيي في تأمين انتقال الفتاة لعدة أمتار حيث تقف الطائرة المصرية.وذلك تحسباً من وجود مراقب أو أكثر صاحب الفتاة في رحلتها بالطائرة من باريس.. قد يقدم على قتل الفتاة قبل أن تكشف أسرار علاقتها بالموساد.

وبلا شك.. فاعتقال الفتاة بهذا الأسلوب الماهر جعلها تتساءل عن القيمة الحقيقية للوهم الذي عاشته مع الإسرائيليين. فقد تأكدت أنهم غير قادرين على حمايتها أو إنقاذها من حبل المشنقة. وهذا ما جعلها تعترف بكل شيء بسهولة بالتفصيل.. منذ أن بدأ التحقيق معها في الطائرة بعد إقلاعها مباشرة. وبعد أيام قليلة من اعتقالها تبين لها وللجميع عجز الإسرائيليين عن حماية إسرائيل نفسها وعدم قدرتهم على إنقاذها.

تبخرت أوهام الجاسوسة هبة سليم.. وأيقنت أنها كانت ضحية الوهم الذي سيطر على فكرها وسرى بشرايينها لمدة طويلة للدرجة التي ظنت أنها تعيش الواقع من خلاله.. لكن.. ها هي الحقائق تتضح بلا رتوش أو أكاذيب.

لقد حكم عليها بالإعدام شنقاً بعد محاكمة منصفة اعترفت صراحة أمامها بجريمتها.. وأبدت ندماً كبيراً على خيانتها. وتقدمت بالتماس لرئيس الجمهورية لتخفيف العقوبة ولكن التماسها رفض.

وكانت تعيش أحلك أيامها بالسجن تنتظر تنفيذ الحكم.. عندما وصل هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكي -اليهودي الديانة- لمقابلة الرئيس السادات في أسوان في أول زيارة له إلى مصر بعد حرب أكتوبر.. وحملته جولدا مائير رسالة إلى السادات ترجوه تخفيف الحكم على الفتاة. ومن المؤكد أن كيسنجر كان على استعداد لوضع ثقله كله وثقل دولته خلف هذا الطلب. وتنبه الرئيس السادات الذي يعلم بتفاصيل التحقيقات مع الفتاة وصدور الحكم بإعدامها.. إلى أنها ستصبح مشكلة كبيرة في طريق الصلح مع الإسرائيليين، فنظر إلى كيسنجر قائلاً: "تخفيف حكم؟.. ولكنها أعدمت.. !!".

دهش كيسنجر وسأل الرئيس: "متى.. ؟"

ودون أن ينظر لمدير المخابرات الحربية قال السادات كلمة واحدة: "النهاردة".

وفعلاً.. تم تنفيذ حكم الإعدام شنقاً في هبة سليم في اليوم نفسه في أحد سجون القاهرة.

أما الضابط العاشق -المقدم فاروق عبد الحميد الفقي- فقد استقال قائده من منصبه لأنه اعتبر نفسه مسؤولاً عنه بالكامل.

وعندما طلبت منه القيادة العامة سحب استقالته، رفض بشدة وأمام إصرار القيادة على ضرورة سحب استقالته.. خاصة والحرب وشيكة..اشترط القائد للموافقة على ذلك أن يقوم هو بتنفيذ حكم الإعدام في الضابط الخائن. ولما كان هذا الشرط لا يتفق والتقاليد العسكرية.وما يتبع في مثل هذه الأحوال.. فقد رفع طلبه إلى وزير الدفاع "الحربية" الذي عرض الأمر على الرئيس السادات "القائد الأعلى للقوات المسلحة" فوافق فوراً ودون تردد.

انشراح موسى: زوجة الجاسوس وأم الجواسيس..

في العريش سقطت إنشراح وزوجها في الخيانة

انشراح موسى: زوجة الجاسوس وأم الجواسيس..

في مدينة المنيا ولدت انشراح علي موسى عام ١٩٣٧ لأسرة متوسطة الحال.. وبرغم التقاليد المتزمتة في ذلك الوقت دخلت الفتاة الصعيدية المدرسة وواصلت تعليمها حتى حصلت على الشهادة الاعدادية عام , ١٩٥١

وبعد نجاحها بأيام قليلة أراد والدها مكافأتها فاصطحبها معه إلى القاهرة لحضور حفل عرس أحد أقاربه.

وفي الحفل رآها إبراهيم سعيد شاهين ابن العريش المولود عام , ١٩٢٩.الذي ما غادر الحفل إلا وعرف عنها كل شيء. وبعد أيام قلائل فوجئت به يطرق باب بيتها في المنيا برفقته والده.. وأعلنت الخطبة..

وكالعادة في تلك الأيام لم تطل الخطبة، وسرعان ما اجتمع شمل الخطيبين في عش الزوجية..

كان إبراهيم شاهين يعمل كاتب حسابات بمكتب مديرية العمل بالعريش. وهو أيضاً لم يحصل سوى على الإعدادية مثلها.. لذلك.. اتفق وانشراح على أن يواصل أولادهما تعليمهم حتى أعلى الشهادات العلمية. وأصبح هذا الأمل هو هدفهما الذي يسعيان اليه ويعملان على تحقيقه مهما كانت الظروف.

ومرت بهما الشهور حلوة هنيئة تحفل بالبشاشة والانسجام. كانت إنشراح تعشق العلاقة الجنسية، وكان إبراهيم يحرص على إشباع كل رغباتها، دون أن يدري أن لذلك الشبق عواقبه التي ستتضح في المستقبل، وهكذا اشتهر حبهما بين الأهل والأقارب وبدا قوياً عتياً لا يقطعه الملل أو يضعفه الكلل.

وفي أواخر عام ١٩٥٥ رزقا بمولودهما الأول "نبيل".. ثم جاء المولود الثاني محمد عام ١٩٥٦، ثم عادل في ١٩٥٨. وفي عام ١٩٦٣ - وكما اتفقا من قبل - أرسلا بأولادهما إلى عمهم بالقاهرة ليواصلوا الدراسة هناك. وليعيشوا حياة رغدة بعيداً عن مظاهرة البداوة وظروف الحياة الأقل حظاً من العاصمة..

وفي أكتوبر ١٩٦٦ ضبط إبراهيم يتلقى الرشوة وحبس ثلاثة أشهر.. خرج بعدها ليكتشف مدى قسوة الظروف التي تمر به. والمعاناة الشديدة في السعي نحو تحقيق آماله في الارتقاء والثراء.

واجتاحت إسرائيل سيناء واحتلتها في يونيو ١٩٦٧. وأغلقت فجأة أبواب السبل أمام السفر إلى القاهرة.. فتأزمت انشراح نفسياً قلقاً على أولادها. وظلت تبكي معظم الليل والنهار حتى قارب عودها على الذبول.. وأوشك جمالها أن ينطفئ.. ووجد إبراهيم أن الحياة في العريش كما لو كانت في الأسر.. فالحزن يخيم على البيت الذي ما عرف إلا الضحك والفرح.. والمعيشة أضحت في أسوأ حال.. فمنذ الغزو وهو عاطل عن العمل لا يملك المال الذي يشتري به أبسط الأشياء.. كالشاي.. والشاي عند البدوي يعد من الضروريات الأساسية في حياته. فاستعاض عنه إبراهيم بعشب بري يعرف باسم "المرمرية" له مذاق طيب.. وأصبحت المرمرية مشروباً مستقلاً في بيته، بعدما كانت وريقاتها تضاف إلى الشاي كالنعناع.

وسط هذا المناخ كانت المخابرات الإسرائيلية تعمل بنشاط زائد.. وتسعى لتصيد العملاء بسبب الضغوط المعيشية الصعبة وظروف الاحتلال.. فالاحتلال الفجائي لسيناء وقع على سكانها كالصاعقة، فاختنقت نفوس الأهالي برغم اتساع مساحات الأرض والجبال. ولكونهم ذوي تقاليد بدوية ومحبين للحركة والتجوال والتنقل، أحسوا بثقل الأمر ولم يطيقونه.. لكن الظروف التي وضعوا فيها اضطرتهم إلى محاولة تحملها لثقتهم أنها أزمة لن تطول. لكن ما كان يحز في نفوسهم هو تضييق الخناق عليهم في المعيشة والتنقل.. فكانت التصاريح التي يمنحها الحاكم العسكري الإسرائيلي لا تتم بسهولة. وأصبح السفر إلى القاهرة يحتاج لمعجزة من السماء. فالتعنت في منح التصاريح بلغ منتهاه.. واشتدت عضات الغضب في الصدور.. إلى جانب آلام الجوع التي تنهش الأبدان وتجتث الصبر والقوة.

ضاقت الحياة باتساعها على إبراهيم وانشراح في العريش.. وخلا البيت من الطعام والشراب والسرور. فازدادا يأساً وشوقاً إلى الأبناء في العاصمة.. وأمام البكاء المستمر الذي تورمت له عينا انشراح.. اندفع إبراهيم إلى مكتب الحاكم العسكري يطلب تصريحاً له ولزوجته بالسفر إلى القاهرة.

ولما ماطلوه كثيراً بوعود كاذبة.. صرخ في وجه الضابط الإسرائيلي قائلاً إنه فقد عمله ودخله ولا يملك قوت يومه. فطمأنه الضابط "أبو نعيم" ووعده بالنظر في أمر التصريح في أسرع وقت. وبعد حديث طويل بينهما حاول إبراهيم خلاله التقرب اليه لإنجاز التصريح.. أمر له أبو نعيم بجوال من الدقيق وبعض أكياس الشاي والسكر. فحملها فرحاً إلى زوجته وهو يزف إليها نبأ السفر إلى القاهرة عما قريب.

استبشرت انشراح خيراً وغمرتها السعادة بما جاءها به، وغاصت في أحلامها وتخيلاتها باللقاء الحميم مع فلذات أكبادها. لكن الأيام تمر وأبو نعيم يعد ولا ينفذ.. ويعود إبراهيم في كل مرة محبطاً.. لكنه كان يحمل معه دائماً أكياس المواد التموينية التي أصبحت هي المصدر الوحيد للإعاشة.. ولولاها لمات جوعاً هو وزوجته.

وذات صباح فوجئ بمن يستدعيه لمكتب أبو نعيم.. فذهب اليه في الحال وقدم له الشكر على الإعانة الدورية التي يمنحها له.. فأخبره الضابط بأن الحاكم العسكري وافق على منحه تصريح السفر هو وزوجته..

تهلل وجه إبراهيم بشراً وقبل ظهر يده شكراً لله.. فباغته أبو نعيم وقال له بأن موافقة الحاكم العسكري جاءت بشرط أن يكون متعاوناً ويأتيه بأسعار الفاكهة والخضروات في مصر.. والحالة الاقتصادية للبلد بواسطة أخيه الذي يعمل بالاستيراد والتصدير.

أجاب إبراهيم على الفور أن الشرط بسيط للغاية.فبإمكانه القيام بهذه المسألة خير قيام.وأضاف بأنه سيأتيهم بأسعار السلع الاستهلاكية والبقالة والسمك أيضاً.. ولو أنهم أرادوا أكثر من ذلك لفعل.

عندئذ.. وضحت الرؤية للضابط الإسرائيلي.. فقد نجح إبراهيم شاهين في الاختبار الأول.. وكان عليه أن يتصرف معه حسبما هو متبع.. ويحيله إلى الضابط المختص لإكمال المهمة.. فدوره ينحصر فقط في "الفرز" لا أكثر.

وبينما إبراهيم وانشراح يحتفلان بالأمل الجديد الذي راودهما طويلاً.. توقفت سيارة جيب أمام المنزل، وطلب منه جندي أن يرافقه إلى مكتب الأمن.وهناك كان ينتظره ضابط يدعى "أبو يعقوب" بالغ في الاحتفاء به بدعوى أن أبا نعيم أوصاه به خيراً. فشكره إبراهيم وأثنى على أبو نعيم وامتد بينهما الحوار لوقت طويل..استشف أبو يعقوب بحاسته أن إبراهيم يدرك ما يبتغيه منه.. فطلب منه أن يذهب معه إلى بئر سبع.. حيث المكتب الرئيسي للأمن المختص بالتعامل مع أبناء سيناء.

وفي بئر سبع استضافوه وأكرموه بكل السبل، ولوحوا له بإغراءات ما كان يحلم بمثلها يوماً..نظير إغراقه بالنقود وتأمين حياته وذويه في العريش وافق إبراهيم على التعاون مع الإسرائيليين في جمع المعلومات عن مصر.. وتسلم -كدفعة أولى- ألف دولار في الوقت الذي لم يكن يملك فيه ثمن علبة سجائر.

أخضع الجاسوس الجديد لدورة تدريبية مكثفة تعلم أثناءها الكتابة

بالحبر السري وتظهير الرسائل.. ووسائل جمع المعلومات من الأهل والأصدقاء.درب أيضاً على كيفية التمييز بين الطائرات والأسلحة المختلفة.. واجتاز العميل الدورة بنجاح أذهل مدربيه.فأثنوا عليه ووعدوه بالثراء وبالمستقبل الرائع.وبحمايته في القاهرة حتى وهو بين ذويه.فعيونهم في كل مكان لا تكل.

دربوه أيضاً على كيفية بث الإشاعات وإطلاق النكات السياسية التي تسخر من الجيش والقيادة.. إلى جانب الاحتراز وامتلاك الحس الأمني العالي، ولقنوه شكل الاستجواب الذي سيتعرض له حال وصوله القاهرة من قبل أجهزة الأمن، وكيف ستكون إجاباته التي لا تثير الشكوك من حوله.

وعندما رجع إلى بيته محملاً بالهدايا لزوجته وأولاده.دهشت انشراح وسألته عن مصدر النقود.. فهمس لها بأنه أرشد اليهود عن مخبأ فدائي مصري فكافأوه بألف دولار.ووعدوه بمنحه التصريح خلال أيام.

وبالتدريج، وبعد لقاء حميم بين الزوجين العاشقين استطاع إبراهيم أن يقنع الزوجة بعمله الجديد، وكانت المفاجأة التي شلت تفكيره.وتركيزه أيضاً..

قالت له إنها لكي لا تكون قلقة خائفة.يجب أن يطلعها على رسائله أولاً بأول.وأن تقوم بشطب أية معلومات لا داع لإرسالها لهم.

ولما وافقها إبراهيم على الشرط النهائي لموافقتها.نامت قريرة العين تتوسد ذراعه..

في ١٩ نوفمبر ١٩٦٧ وصل إبراهيم وانشراح إلى القاهرة بواسطة الصليب الأحمر الدولي.. فمنح سكناً مجانياً مؤقتاً في حي المطرية.. ثم أعيد إلى وظيفته من جديد بعدما نقلت محافظة سيناء مكاتبها من العريش إلى القاهرة.

وبعدما استقرت الأمور قليلاً..انتقل إبراهيم إلى حي الأميرية المزدحم.. ومن خلال المحيطين به في العمل والمسكن.بدأ في جمع المعلومات وتصنيفها.. وكانت زوجته تساعده بتهيئة الجو الآمن لكتابة رسائله بالحبر السري.. وكثيراً ما كانت تعيد صياغة بعض الجمل بأسلوب أفضل.. وتكتب أيضاً تحياتها إلى الموساد على أنها شريكة في العمل.واعتاد إبراهيم أن يختتم رسائله بعبارة: "تحيا إسرائيل العظمى.موسى".

ولأجل التغطية اتجه إلى تجارة الملابس والأدوات الكهربائية.. وبواسطة المال والهدايا كان يتغيب كثيراً عن العمل غالبية أيام الأسبوع، ولشهور عديدة تواصلت الرسائل إلى روما مزدحمة بالأخبار.. مما حدا برجال الموساد إلى دعوته إلى روما لاستثمار هذا الثنائي الرائع في مهام أكثر أهمية..

وفي أغسطس ١٩٦٨ وتحت ستار التجارة لا أكثر.أبحر الثنائي إلى لبنان.ومنها طارا إلى روما حيث التقيا بمندوب الموساد الذي سلمهما وثيقتي سفر إسرائيليتين باسم موسى عمر ودينا عمر.. وعلى طائرة شركة العال الإسرائيلية طارا إلى مطار اللد..

كان استقبالهما في إسرائيل بالغ الحفاوة والترحيب..إذ عوملا معاملة كبار الزوار.وأنزلا بفيلا خيالية في تل أبيب مكثا بها ثمانية أيام.. حصلا خلالها على دورة تدريبية مكثفة في تحديد أنواع الطائرات والأسلحة.. والتصوير الفوتوجرافي.. وجمع المعلومات.. ومنح إبراهيم رتبة عقيد في الجيش الإسرائيلي باسم موسى. أما انشراح فقد منحت رتبة ملازم أول باسم دينا.

وفي مقابلة مع أحد القيادات العليا في الموساد.. أكدت إنشراح على ضرورة زيادة المكافآت لاشتراكها في العمل يداً بيد مع إبراهيم.ووصفت له صعوبة جمع المعلومات ما لم يشتركا معاً في جمعها وتصنيفها.. وأفاضت في سرد العديد من الحيل التي تقوم بها لانتزاع المعلومات من العسكريين الذين صادقهم زوجها ويجيئون لمنزلهم..

ونظراً لأهمية المعلومات التي حصلوا عليها من خلال الجاسوس وزوجته..فقد قرروا لهما مكافأة سخية وأغدقوا عليهما بآلاف الدولارات التي عادا بها إلى القاهرة.. حيث استغلا وجودهما وسط حي شعبي فقير في عمل الصداقات مع ذوي المراكز الحساسة من سكان الحي.وإرسال كل ما يصل اليهما من معلومات إلى الموساد فوراً..

لقد برعا خلال حرب الاستنزاف -١٩٦٧ - ١٩٧٠ - في التحليل والتصنيف، وتصوير المنشآت العسكرية أثناء رحلات للأسرة بالسيارة الجديدة فيات ١٢٤.

تعددت زيارات إبراهيم وانشراح إلى روما .بعضها كان باستدعاء من الموساد .. والبعض الآخر كانت لاستثمار عشرات الآلاف من الدولارات التي حصلوا عليها من جراء عملهما في التجسس.

وفي إحدى هذه الزيارات.. قررا إشراك ولديهما لزيادة الدخل بتوسع حجم النشاط.ولم يكن من الصعب عليهما تنفيذ ما اتفقا عليه..

يقول الابن عادل في حديث نشر بجريدة معاريف سنة ١٩٩٧ : "عاد أبي وأمي ذات مساء من روما يحملان لنا الملابس الأنيقة والهدايا .وأحسست من خلال نظراتهما لبعضيهما أن هناك أمراً ما يجري الترتيب له وعرفت الحقيقة المرة عندما أجلسني أبي قبالته أنا وأخويّ وقال في حسم:

مررنا كثيراً بظروف سيئة.. لم نكن نملك أثناءها ثمن رغيف الخبز.. أو حفنة من الملح.. والآن نعيش جميعاً في رغد من العيش.ويسكن حوالينا أولاد في عمركم يحيون جوعى كالعبيد ..أما أنتم فتنعمون بكل شيء كالملوك. ولم تسألوني يوماً من أين جئت بكل هذا .. ؟

إن عملي في الحكومة.. وتجارتي أنا وأمكم وشقائي طوال تلك السنوات لم يكن هو سبب النعيم الذي نحن جميعاً الآن.والحقيقة.. أن هناك أناساً يحبوننا للغاية.. وهم هؤلاء الذين يرسلون لنا الهدايا والمال.وبفضلهم لدينا طعام طيب وملابس جميلة.. إنهم الإسرائيليون.وهم الذين أنقذوا حياتنا من الجوع والضياع.وأمنوا لنا مستقبلاً مضموناً يحسدنا عليه كل من نعرفهم.

حدث ذلك في صيف ١٩٧١، وكنت وقتها في الثالثة عشر من عمري، وكان أخي نبيل يكبرني بعامين تقريباً وأخي محمد بعام واحد.

وكطفل..لم أعر الأمر أهمية خاصة..لحقيقة أن أبي "يعمل" مع الإسرائيليين.. ومثل كل الأولاد..كنت قد كبرت وتربيت على كراهية اليهود..لكن في البيت تلقيت تربية أخرى.فقد عرفت أن الإسرائيليين هم المسؤولون عن الطعام الذي آكله.وعن الملابس الجديدة التي أرتديها.وعن الهدايا التي أتلقاها..لذلك.. سعدت لأنني كنت محظوظاً.

وكلما كبرت.. بدأت أدرك معنى "عمل" أبي.. وبدأ الخوف ينخر أكثر وأكثر في عظامي. فقد كانت كماشة من الموت تطبق علينا. وكفتى بالغ أدركت أنهم لو ضبطونا سيتم شنقنا.. من ناحية أخرى كان الخوف من حياة الفقر يصيبني بالشلل. فقد كنت ملكاً لديه كل شيء".

هكذا انخرطت الأسرة كلها في التجسس. وأصرت انشراح على الانتقال من الحي الشعبي الفقير إلى آخر رقياً وثراء. وعندما عارض زوجها قالت له: دعنا نستمتع بالحياة فريما ضبطونا.

وفي النهاية انتقلوا إلى فيلا فاخرة بمدينة نصر.. ونقل نبيل ومحمد وعادل مدارسهم إلى الحي الراقي الجديد.

احتفظ إبراهيم شاهين بعلاقاته القديمة وأقام أخرى جديدة. وامتلأ البيت مرة أخرى بالأصدقاء من رجال الجيش والطيارين. وتحول أولاده إلى جواسيس صغار يتنافسون على جلب المعلومات من زملائهم أبناء الضباط في المدرسة والشارع. ومناوبة الحراسة ريثما ينتهي أباهم من تحميض الأفلام. فكان نبيل يتولى المراقبة من الخارج. وعادل من داخل البيت. وحصل نبيل على أدوار أكثر جدية.. فكان أبوه يسمح له بكتابة الرسائل بالحبر السري وتظهيرها. وصياغة التقارير وتحميض الصور.

وذات مساء بينما هم جميعاً أمام التليفزيون. عرض فجأة فيلم تسجيلي عن أحد الجواسيس الذي انتهى الأمر بإعدامه شنقاً.. وطوال وقت عرض الفيلم انتابتهم حالة صمت تضج بالرعب والفزع. واستمروا على تلك الحال لأسابيع طويلة.. امتنعوا خلالها عن كتابة التقارير أو الرسائل. حتى تضخم لديهم الخوف وأصيبوا بالصداع المستمر.. ومرض إبراهيم فاضطرت انشراح للسفر وحدها إلى روما تحمل العديد من الأفلام. خبأتها داخل مشغولات خشبية.

كانت الرحلة إلى روما منفذاً ضرورياً للخروج من أزمتها النفسية السيئة.. وفي الوقت نفسه لتطلب من رجال الموساد السماح لهم بالتوقف عن العمل. فلما التقت بأبو يعقوب ضابط الموساد الداهية. قصت عليه معاناتهم جميعاً ومدى

الخوف الذي يسيطر على أعصابهم.. فطمأنها الضابط ووعدها بعرض الأمر على الرئاسة في تل أبيب.. وصحبها إلى ناد ليلي فرقصت وشربت لتنسى همومها.. وعادت معه آخر الليل ثملة لا تعي ما حولها.. وفي الصباح وجدت نفسها عارية بين أحضانه فبكت.ومع أحضانه الدفيئة تكرر المشهد وهي بكامل وعيها.. فذاقت للجنس طعماً جديداً لا تعرفه.. ولم تتذوقه مع زوجها الذي انشغل عنها ولم يعد يهتم بها.بعدها عادت إلى القاهرة تحمل آلاف الدولارات. وكانت قبلما يفترقا في روما قد طلبت منه أن يرسل في طلبها بمفردها في المرات القادمة.

هكذا. لقد نسيت انشراح رغبتها في اعتزال الجاسوسية.واستمرأت مذاقات اللذة الجامحة مع ضابط الموساد الذي لم يبخل عليها بفحولته المغلفة بالحنان.وبالرغم من أن ما حدث يخالف وظيفة ضابط المخابرات ومهامه..إلا أنه ما لجأ إلى ذلك سوى لرغبته في احتوائها.. وضمان ولائها لإسرائيل.

وفي آخر سبتمبر ١٩٧٣ كانت انشراح بمفردها في رحلة أخرى إلى روما.. فاستقبلها أبو يعقوب المسؤول عن توجيهها واستلام التقارير والأفلام منها. لذلك فقد كان عليه أن يسارع بمغادرة بئر السبع إلى اللد ثم روما في كل مرة تطير فيها انشراح خارج القاهرة. وفي ذات الوقت كان الضابط الإسرائيلي مكلفا بألا يتعدى أية حدود مع الجاسوسة المصرية طالما رغبت هي في ذلك..لكن ولأن انشراح كانت من النوع الحار لم تجد غضاضة في أن تنغمس في بحور اللذة لا تريد الطفو على السطح أبداً.حتى فاجأها أبو يعقوب بنبأ هجوم الجيش المصري والسوري على إسرائيل.وأن احتمال القضاء على دولة اليهود أصبح وشيكاً. كان يقول لها ذلك وهو يبكي ويرتعد جسده انفعالاً.. فأخذت تواسيه وتبكي لأجله ولأجل إسرائيل..الدولة الصغيرةُ التي يسعى العرب لتدميرها (!!).

وفي أبريل ١٩٧٤ اقترحت إنشراح على أسرتها السفر إلى تركيا للسياحة.. وبينما هم في أنقرة اتصل بهم أبو يعقوب وطلب من إبراهيم أن يسافر إلى أثينا لمقابلته، وبعد اجتماع مطول قرر قادة الموساد تسليم إبراهيم أحدث جهاز إرسال لاسلكي في العالم يتعدى ثمنه المائة ألف دولار. فلقد كانت لديهم مخاوف تجاه

الفريق سعد الدين الشاذلي الذي يريد تصعيد الحرب.. والوصول إلى أبعد مدى في سيناء مهما كانت النتائج.. عكس السادات الذي كان يريدها حرباً محدودة.

دُرب إبراهيم لمدة ثلاثة أيام على كيفية استخدام الجهاز.وعندما تخوف من حمله معه إلى القاهرة.. عرضوا عليه أن يذهب إلى الكيلو ١٠٨ طريق القاهرة السويس الصحراوي. وهناك سيجد فنطاس مياه كبيرا مثقوبا وغير صالح للاستخدام.وخلفه جدار أسمنتي مهدم عليه أن يحفر في منتصفه لمسافة نصف المتر ليجد الجهاز مدفوناً. وأخبره ضابط الموساد الكبير أن راتبه قد تضاعف، وأن له مكافأة مليون دولار إذا ما أرسل للإسرائيليين عن يقين بميعاد حرب قادمة.

عاد إبراهيم إلى أثينا ثم أنقره حيث تنتظره الأسرة.فقضوا أوقاتاً جميلة يستمتعون بالمال الحرام ويثمن خيانتهم.

عندما رجعوا إلى القاهرة استقلوا السيارة إلى الكيلو ١٠٨ وغادرت انشراح السيارة وبيدها معول صغير.وظلت تحفر إلى أن أخرجت الجهاز.فنادت على ابنها عادل الذي عاونها وحمله إلى السيارة ملفوفاً في عدة أكياس بلاستيكية.وعندما ذهبوا بالجهاز إلى المنزل أراد إبراهيم تجربته بإرسال أولى برقياته فلم يتمكن من إكمال رسالته.. بعدما تبين له أن مفتاح التشغيل أصيب بعطل (ربما نتيجة الحفر بالمعول).

حزن الجميع..لكن انشراح عرضت السفر لإسرائيل لإحضار مفتاح جديد.. وسافرت بالفعل يوم ٢٦ يوليو ١٩٧٤ ففوجئ بها أبو يعقوب ودهش لجرأتها.وأراد الاحتفاء بها فأقام حفلاً صاخباً ماجناً على شرفها انتهى بليلة حمراء.فامتعت جسدها المتعطش لفحولة أبو يعقوب.وأرقها الابتعاد عنه والحرمان من خبراته المذهلة وتفننه في إشباعها، ومنحها مكافأة لها ٢٥٠٠ دولار مع زيادة الراتب للمرة الثالثة إلى ١٥٠٠ دولار شهرياً (كان مرتب الموظف الجامعي حينذاك حوالي ١٧ جنيهاً).

وأثناء وجود انشراح في إسرائيل تائهة بين أحضان ضابط الموساد، كانت

هناك مفاجأة خطيرة تنتظرها في القاهرة فعندما كان إبراهيم يحاول إرسال أولى برقياته إلى إسرائيل بواسطة الجهاز، استطاعت المخابرات المصرية التقاط ذبذبات الجهاز بواسطة اختراع سوفييتي متطور جداً اسمه (صائد الموجات) وقامت القوات بتمشيط المنطقة بالكامل بحثاً عن هذا الجاسوس. ومع محاولة تجربة الجهاز للمرة الثانية أمكن الوصول لإبراهيم بسهولة.

وفي فجر ٥ أغسطس ١٩٧٤ كانت قوة من جهاز المخابرات المصرية تقف على رأس إبراهيم النائم في سريره.. ولما فتشوا البيت عثروا على جهاز اللاسلكي ونوتة الشفرة.والتزم إبراهيم الصمت.وكان بدنه كله يرتجف.سحبوه في هدوء للتحقيق معه في مبنى المخابرات العامة، بينما بقيت قوة من رجال المخابرات في المنزل مع أولاده الثلاثة تنتظر وصول انشراح، تأكل وتشرب وتنام دون أن يحس بهم أحد.

في ٢٤ أغسطس ١٩٧٤، وصلت انشراح إلى مطار القاهرة الدولي قادمة من روما بعد شهر كامل بعيداً عن مصر، تدفع أمامها عربة تزدحم بحقائب الملابس والهدايا، ونظرت حولها تبحث عن زوجها فلم تجده، فاستقلت تاكسياً إلى المنزل وهي في قمة الغيظ.وعندما همت بفتح الباب اقشعر جسدها فجأة، فدفعت بالباب لا تكترث..لكنها وقفت بلا حراك.وبالت على نفسها عندما تقدم أحدهم.وأمسك بحقيبة يدها وأخرج منها مفتاحين للجهاز اللاسلكي بدلاً من مفتاح واحد. وكانت بالحقيبة عدة آلاف من الدولارات دسها الضابط كما كانت.. وتناول القيد الحديدي من زميله وانخرست الكلمات على لسانها فكانت تتمتم وتهذي بكلمات غير مفهومة.وقادوها مع ولديها إلى مبنى المخابرات وهناك جرى التحقيق مع الأسرة كلها.

ولما كانت المخابرات الإسرائيلية لا تعلم بأمر القبض على أسرة الجواسيس.وتنتظر في ذات الوقت الرسالة التي سيبعث بها إبراهيم ليطمئنوا على كفاءة عمل الجهاز.فوجئت الموساد بالرسالة.. لم تكن بالطبع من إبراهيم بل أرسلتها المخابرات المصرية.

"أوقفوا رسائلكم مساء كل أحد.. لقد سقط جاسوسكم وزوجته وأولاده، وقد وصلتنا آخر رسائلكم بالجهاز في الساعة السابعة مساء الأربعاء الماضي".

وفي ٢٥ نوفمبر ١٩٧٤ صدر الحكم بإعدام انشراح وزوجها شنقاً، والسجن ٥ سنوات للابن نبيل وتحويل محمد وعادل لمحكمة الأحداث.

وفي ١٦ يناير ١٩٧٧ سيق إبراهيم إلى سجن الاستئناف بالقاهرة لتنفيذ الحكم، أما انشراح فقد ترددت الأنباء في حينها عن شنقها هي الأخرى.. ولكن في ٢٦ نوفمبر ١٩٨٩ نشرت صحيفة "حداشوت" الإسرائيلية قصة تجسس إبراهيم على صفحاتها الأولى.وذكرت الصحيفة أن ضغوطاً مورست على الرئيس السادات لتأجيل إعدام انشراح بأمر شخصي منه.ثم أصدر بعد ذلك عفواً رئاسياً عنها.. وتمكنت انشراح (في صفقة لم تعلن عن تفاصيلها) من دخول إسرائيل مع أولادها الثلاثة.حيث حصلوا جميعاً على الجنسية الاسرائيلية واعتنقوا الديانة اليهودية.. وبدلوا اسم شاهين إلى (بن ديفيد) واسم انشراح إلى (دينا بن ديفيد) وعادل إلى (رافي) ونبيل إلى (يوسي) ومحمد إلى)حاييم) !!

أمينة المفتى.. أشهر خائنة عربية



الأمير الأحمر.. على حسن سلامة

أمينة المفتي.. أشهر خائنة عربية

في إحدى ضواحي عمان الراقية، ولدت أمينة داود المفتي عام ١٩٣٩ لأسرة شركسية مسلمة، هاجرت إلى الأردن منذ سنوات طويلة، وتبوأت مراكز سياسية واجتماعية عالية. كان والدها تاجر مجوهرات ثريا، وعمها لواء في البلاط الملكي. وأمها، سيدة مثقفة تجيد أربع لغات، وذات علاقات قوية بسيدات المجتمع الراقي.

ولما كانت أمينة أصغر إخوتها -شقيقتان متزوجتان وثلاثة أشقاء آخرين- فقد انعكس ذلك على نشأتها وطريقة تربيتها، فقد حظيت بالتدليل منذ طفولتها، طلباتها لا ترد أو تؤجل، فلم تعرف الحياة الجادة الخشنة، ولم تتعود على كبح جماح رغباتها، وهذا ما سيكون له أسوأ العواقب في حياتها من بعد..

سارت بها الأيام ناعمة محفوفة بالمسرات، حتى بلغت المرحلة الثانوية، فبدت رقيقة الملامح، عذبة، شهية، طموحة، ذكية، وبرغم تقاليد أسرتها المحافظة، فقد كانت تسخر من تقاليد الشرق وقيوده، وتحلم بالحب والانطلاق، والحرية.

وجدت قلبها يدق لشاب فلسطيني الأصل يدعى بسام، فأطلقت تجاهه المشاعر المتدفقة بلا حدود، أو انقطاع. لكنها صدمت بشدة عندما هجرها إلى أخرى أجمل منها، وأكثر اتزاناً، وكتب لها يقول إنها أنانية، مغرورة، سريعة الغضب، شرسة الطباع. هكذا كشف لها الحبيب عن مساوئ تنشئتها، وأسلوبها الخاطئ في فهم الحياة، ولأن حبها كان قوياً، جباراً، عاتياً، فقد عصفت بها الصدمة، وزلزلت قلبها الصغير، وتملكتها رغبة مجنونة في الثأر والانتقام!

ومع هذه الصراعات النفسية كان متوقعا أن تتأثر دراستها سلبا، فحصلت على الثانوية العامة بدرجات متوسطة، دفعتها للتفكير في السفر إلى أوروبا للالتحاق بإحدى جامعاتها، وكان هذا تقليدا متبعا بين أبناء الأثرياء في الأردن، ووقع اختيار الأسرة على النمسا.

في عامها التاسع عشر (١٩٥٧) التحقت أمينة بجامعة فيينا، وقبلت بالقسم

الداخلي المخصص لإقامة الطالبات المغتربات، وفي الغربة، حيث لا تقاليد الشرق، ولا رقابة الأسرة، كانت فرصة أمينة للتحرر من كل القيود ..

جمعتها الحجرة بطالبة مرحة في نهائي الطب، كانت تدعى جولي باتريك، من جوهانسبرج بجنوب إفريقيا، وقد وجدت فيها أمينة فتاة ذات خبرة كبيرة بالحياة الاوروبية.

ومع جولي هذه بدأت أمينة الخطوة الأولى في منحدر سقوطها .. علمتها جولي التدخين، وحذرتها من العلاقات الجنسية مع الشباب حيث خطورة الحمل والإجهاض، وقدمت لها البديل، فعلمتهاالشذوذ النسائي (السحاق)، فأقبلت أمينة على التساحق مع الفتاة الخبيرة بالشذوذ، وشيئاً فشيئاً أدمنت الشذوذ، ورأت فيه انطلاقتها وتحررها من قيود الشرق، والخجل الشرقي المعهود!!

بانتهاء العام الدراسي الأول، وعودة جولي إلى وطنها، بحثت أمينة عن رفيقة، فتقربت من فتاة أخرى تدعى جينفيف ووترود، وسعت لإدارة الدار لكي تشاركها الحجرة الواحدة، والشذوذ الذي تزداد جرعاته العطشى يوماً بعد يوم.

هكذا مرت سنوات الدراسة بجامعة فيينا، مليئة بالشذوذ والتحرر، إلى أن حصلت أمينة على بكالوريوس علم النفس الطبي، لتعود في أغسطس ١٩٦١ إلى عمان مكرهة، فقد أدمنت حياة لن تجدها في عمان حتما ..

في غمرة معاناتها وكآبتها، تذكرت حبيبها الأول -بسام- فجابت عمان طولاً وعرضاً بحثاً عنه، وهزتها الحقيقة المرة عندما علمت بزواجه من فتاته الجميلة الفقيرة، وحاصرها الحزن والملل والحقد، ولم تجد حلاً لأزمتها إلا السفر ثانية إلى النمسا، بدعوى استكمال دراستها العليا لنيل الدكتوراة، عازمة على ألا تعود إلى الشرق أبداً.

كانت في الرابعة والعشرين حين عادت لفيينا من جديد محطمة مكسورة القلب كارهة للشرق وأهله.. لفحتها نسمات الحرية في أوروبا، وسلكت مسلك فتياتها في العمل والاعتماد على النفس، غير عابئة بما كان يرسله لها والدها من مصروف شهري. فعملت بورشة صغيرة للعب الأطفال إلى ان ساقت اليها

الصدفة فتاة يهودية تدعى "سارة بيراد"، شاركتها العمل، والسكن، والشذوذ، فالتصقت بها أمينة، وسرعان ما انخرطت معها في تيار الهيبيز، الذي انتشرت أولى جماعاته في أوروبا في تلك الحقبة، متجاهلة رغبة أسرتها في تزويجها من ابن العم التاجر الثري.

وفي زيارة لأسرة سارة في وستدورف، رأت موشيه، شقيق سارة الأكبر.. كان وسيما، ساحر النظرات والكلام، مليئا بالحيوية، وقد عرفت أنه طيار عسكري برتبة نقيب، يكبرها بنحو سبع سنوات، شاعري، مهووس بالموسيقى الكلاسيكية، والأهم أنه مغرم بالشرق وحسناواته.

سرعان ما وقعت أمينة في هواه، وأسلمت له جسدها معترفة بحبها له، وخلال خمس سنوات من العلاقة المحرمة، ساعدها موشيه في الحصول على شهادة دكتوراه مزورة في علم النفس المرضي، ثم عادت إلى الأردن في سبتمبر ١٩٦٦، ليستقبلها الأهل في حفاوة وفخر، ويطالبوها بإعلان موافقتها على الزواج من ابن عمها، لكنها طلبت إمهالها حتى تفتتح مستشفاها الخاص في عمان.

ولكن الجهات الصحية في عمان تشككت في الشهادة الزائفة التي تحملها أمينة، ورفضت منحها التصريحات اللازمة، إلا بعد أن تقدم تصديقات جديدة من فيينا، وخوفاً من انكشاف التزوير وما يصاحب ذلك من فضيحة لها ولأسرتها، سافرت أمينة إلى النمسا يملؤها الخوف والكراهية لبلدها..

وهناك.. أسرعت إلى موشيه يعاودها الحنين، غير عابئة بانكسار وطنها العربي بهزيمة ١٩٦٧، فكانت تعلن شماتتها بلا حرج أو خجل، إذ طفحت منها الكراهية لكل ما هو عربي، ولكل ما يمت للعرب بصلة.

وفي ديسمبر من العام نفسه عرض عليها موشيه الزواج، فوافقت بحماس، ولكنه اشترط أن يكون زواجا في المعبد اليهودي، ووفق الطقوس اليهودية، فوافقت دون تردد كبير في اعتناق اليهودية من أجل حبيبها، وتم الزواج في معبد شيمودت، بعد أن استبدلت باسمها العربي المسلم اسما يهوديا، وصارت "آني موشيه براد"..

وفي فيينا أقامت (آني) مع زوجها، ولكنها لم تطق الحياة مع خوفها من انكشاف حقيقتها، ووصول قصتها لأهلها أو المخابرات العربية التي كانت تحاول حماية الشباب العربي من الوقوع في البراثن الإسرائيلية، خاصة في المدن التي تشهد كثافة عالية للتجمعات العربية..

وفي صيف عام ١٩٧٢، قرأت أمينة إعلاناً بإحدى الصحف، تطلب فيه إسرائيل متطوعين من يهود أوروبا للالتحاق بـ "جيش الدفاع"، مقابل مرتبات ومزايا عديدة مغرية. فتصورت أنها عثرت على الحل المثالي لمعاناتها، ففي الدولة الصهيونية ستشعر بالأمان ولن يستطيع أهلها أو أحد من العرب الوصول إليها، وكان عليها أن تقنع موشيه بفكرة الهجرة، ورغم أنه رفض في البداية بسبب حالة الحرب التي تهدد سكان الكيان الصهيوني، فمع إلحاحها المتواصل ليل نهار، تقدم موشيه بأوراقه إلى السفارة الصهيونية، وفي نوفمبر ١٩٧٢ كانا يطيران بطائرة العال إلى فلسطين المحتلة، أو مايسمى إسرائيل..

حظيت أمينة -آني موشيه- باستقبال أكثر من رائع في مطار اللد، وبعد أيام قليلة استدعيت إلى إحدى الجهات الأمنية، حيث سئلت مئات الأسئلة عن نشأتها في الأردن، وعائلتها، ووظائف أقاربها ومعارفها، وعن كيفية تعارفها وموشيه، وزواجهما، فأجابت في سرد طويل.

سئلت أيضاً عما تمثله إسرائيل بوجدانها، وسئلت عن مشاعرها تجاه الاردن، والفلسطينيين، فأقرت بأنها تكره منظمة التحرير، وكل المنظمات الإرهابية الفلسطينية، وأن الملك حسين أخطأ كثيراً عندما لم يقتلهم جميعاً في الأردن، فهم يكرهون الأقلية الشركسية في الأردن، وضربوا بيوتهم، وأتلفوا ممتلكاتهم، ظناً منهم أن عمها -اللواء بالبلاط الملكي- كان وراء مذابح أيلول ١٩٧١، وأحد مرتكبيها.

أُثنوا على المواطنة اليهودية الجديدة، وأعيدت إلى منزلها على وعد بتوفير عمل مناسب لها في أقرب فرصة.

أخضع موشيه لتدريبات الاستطلاع الجوي، بعدما تقلد رتبة رائد طيار في

سلاح الجو الصهيوني. وفي يناير ١٩٧٣ طار بطائرته الـ سكاي هوك باتجاه الجبهة السورية، فأسقطته مدفعية السوريين في أول طلعة استطلاع له ، واعتبر مفقوداً منذ تلك اللحظة لأن سوريا لم تعلن عن أسر الطيار الصهيوني كما كان يحدث، لكنها أعلنت أن الطائرة انفجرت في الجو وقائدها بداخلها.

لم تصدق أمينة /آني الخبر، وانهارت، وزادات كراهيتها للعرب الذين أخذوا منها زوجها بل هدموا حياتها كلها، تمنت لو أنها تستطيع الانتقام، فها هي وحيدة يائسة بين أناس لا تعرفهم، بل وتجهل لغتهم العبرية وعاداتهم وطقوسهم. وعمداً تناست أنها هي التي دفعت بحياتها إلى مستنقع الهاوية، والرذيلة عندما تزوجت من يهودي، ثم دفعته للهجرة إلى فلسطين خوفاً على حياتها، فقذفت به إلى مصير مجهول، مماثل لمصيرها المظلم فيما بعد.. وبعد شهر ونصف تكلمت، ونطقت قائلة: بأنها تشكك في البيان السوري، وبأن موشيه ما يزال حياً، متخفياً بين الحشائش والمغارات. فهو طيار ماهر وقدراته عالية جداً.

وقبلما يحطمها الانتظار ويعتريها الجنون، تقدمت بطلب إلى السلطات المختصة للسماح لها بالسفر إلى بيروت ودمشق لتقصي أخبار زوجها.

وما هي إلا أيام قليل حتى طارت بجواز سفرها الإسرائيلي إلى فيينا، فالتقت بأسرة موشيه الحزينة، ومكثت بينهم عدة أيام، ثم بجواز سفرها الأردني طارت على أول رحلة إلى بيروت.

وفي شارع الحمراء -أشهر شوارع بيروت- نزلت بأحد الفنادق. وفي رحلة تجوالها تعرفت على سيدة لبنانية -أردنية الأصل- تدعى خديجة زهران، تمتلك وتدير محلاً للملابس الجاهزة، فاشترت منها ملابس بمبلغ كبير لتتقرب اليها، ودلتها خديجة على شقة صغيرة بحي عين الرمانة، ومنها انطلقت للبحث عن زوجها، وتسقط أخباره من الفلسطينيين ذوي الكثافة بالحي.

وبعد رحلات عديدة بين بيروت ودمشق، فشلت أمينة في الوصول إلى ما يطمئنها، وتأكد لديها أن موشيه قتل لا محالة، فغادرت بيروت إلى فيينا تنخر بعقلها أحزان تقترب بها إلى حافة الجنون، وتخنقها عبرات الأسى والغربة، والفزع.

في شقتها بفيينا، أيقظها اتصال هاتفي من تل أبيب، وفي اليوم التالي استقبلت ثلاثة رجال عرفت منهم أنهم ضباط صهاينة، مهمتهم إنهاء إجراءات الإرث الخاص بها، دون إثارة مشاكل مع أسرة زوجها أو الجهات الرسمية سواء في النمسا، أو في الدولة الصهيونية.

كان ميراثها وحدها مع التعويض يربو على نصف مليون دولار، مع الشقة الرائعة في ريشون لتسيون، وضمانات حماية وأمن فوق العادة.

لقد كان المطلوب منها أن تتعاون معهم لقاء ذلك، وتنفذ ما سيطلب منها بلا تردد. فبقياسات المخابرات، تعد أمينة كنزاً ثميناً لا يقدر بمال. فهي امراة عربية فقدت وطنها وأهلها، وتعيش في وضع نفسي سيء مليء بالخوف، ولا مأوى لها سوى عندهم. لكل تلك العوامل كان لا بد من استغلالها واستقطابها، بقليل من بث الكراهية في نفسها لهؤلاء العرب الذين قتلوا زوجها وقد كان يمثل لها الأمن والحماية، وبالضرورة هي بحاجة ماسة إلى الأمن والحماية من بعده.

لقد كانت رؤيتهم على صواب، فأمينة التي تحمل الجنسية الأردنية، والنمساوية والصهيونية، لم تكن بحاجة إلى كل هذا التخطيط والتمويه لجرها إلى عش الجاسوسية، والعمل لصالح الموساد ضد عروبتها وشعبها.

كانت غارقة في الضعف، واليأس، والضياع، بعدما باعت الدين والوطن، ولم يكن لديها ما هو أثمن لتبيعه !!. لذا لم يكن من الصعب على الضباط الثلاثة إخضاعها، مستغلين ضعفها الإنساني ووحشتها، عازفين على أوتار كراهيتها للعرب، وللفلسطينيين على وجه الخصوص.

هكذا سقطت أمينة في مصيدة الجاسوسية، وأسلمت قيادها للضباط الثلاثة، الذين أقاموا لها دورة تدريبية مكثفة استغرقت شهراً وأربعة أيام في شقتها بفيينا، تعلمت أثناءها أساليب التجسس المختلفة من تصوير، وتشفير، وتلقط الأخبار، وكيفية الالتزام بالحس الأمني،والتمييز بين الأسلحة.

دربوها أيضاً على كيفية تحميض الأفلام، والهرب من المراقبة، واستخدام المسدس. واستقدموا لها خبيراً في تقوية الذاكرة، وتخزين المعلومات والأرقام دون نسيانها..

وهكذا..

أجادت دورتها الأولى في التجسس، وأصبحت أكثر إصراراً على الانتقام والتحدي، وعمل المستحيل للثأر لزوجها الذي فقد بالقرب من الجولان ــ والجنوب اللبناني، إنها تريد تأكيد حبها لموشيه، من خلال حبها للعمل مع الصهاينة ضد العرب..

غادرت فيينا إلى بيروت هذه المرة.. لا للبحث عن زوجها، وإنما للانتقام له، كانت مهمتها المحددة تقصي أخبار رجال المنظمات الفلسطينية، ورجال المقاومة الذين يؤرقون أمن الصهاينة، ويحيلون ليلهم إلى نهار لشدة القصف، والتفجيرات الفدائية.

كانت أيضاً مكلفة بالتحري عن مراكز إقامة قادة المقاومة، والطرق التي يسلكها الفدائيون للتسلل إلى الأرض المحتلة، أيضاً - التغلغل داخلهم لمعرفة أعداد الفدائيين، وتدريبهم، وتسليحهم. ومدى مهارتهم في التخفي والمناورة، ومخازن الأسلحة والإعاشة..

في بيروت، استأجرت شقة بإحدى بنايات الروشة، أجمل مناطق بيروت، وسرعان ما تعرفت على مانويل عساف موظف التليفونات، الذي وجدت فيه صيداً سهلاً تستطيع من خلاله التوصل لتليفونات وعناوين القادة الفلسطينيين، ومنحته جسدها في المقابل، وعن طريقه تعرفت على رئيسه في العمل -مارون الحايك- الذي كان يسعى خلف نزواته ومغامراته، منشغلا بالتجسس على المحادثات التليفونية بين نساء المدينة، تستهويه لعبة المطاردة والبحث عن صيد جديد.

منحت الحايك جسدها، وفي غمرة نشوته أجاب عن أسئلتها، وأطلعها -عد عدة لقاءات- على التليفونات السرية للمنظمات الفلسطينية، ولزعماء الجبهات وعناوين إقامتهم بحي الريحانة الشهير.

أرسلت أمينة المعلومات لرؤسائها عبر عملاء لهم في بيروت، لتجيئها الأوامر بعد ذلك بالتحرك دون انتظار في تلك الفترة من منتصف سنة ١٩٧٣،

فالمطلوب منها هو الحصول على القوائم السرية لرجال المخابرات الفلسطينية "رصد" في أوروبا وصفاتهم، ولن يتاح لها ذلك إلا من خلال مكتب منظمة التحرير -مكتب عرفات شخصياً. أو مكتب رئيس جهاز المخابرات علي حسن سلامة المطارد في كل مكان في العالم، والذي أطلقت عليه الشمطاء جولدا مائير لقب "الأمير الأحمر"، لأنه بطل عملية ميونيخ التي قتل فيها أحد عشر رياضيا صهيونيا.

كان علي حسن سلامة أحد مساعدي عرفات والمختص بحراسته، ثم أوكل اليه عرفات مباشرة مهمة جديدة، وهي رياسة الأمن والمخابرات التابعة لمنظمة فتح وقوات الحرس الداخلي - التي يطلق عليها القوة ١٧ - ولأن المخابرات الصهيونية كانت تجهل صورته أو ملامحه، وفشلت كثيراً في اقتفاء أثره لاغتياله، خاصة بعد عملية ميونيخ ، فقد كان المطلوب من أمينة المفتي الوصول للرجل، والتسلل إلى مخبئه، والحصول على قوائم بأسماء قيادات وعملاء المخابرات الفلسطينية في أوروبا، وكان الحصول على تلك القوائم السرية، أمرا هاما جداً ومطلوبا لتفكيك أوصال القيادة في بيروت، وعزلها عن الآخرين في كل قارات العالم.

هكذا كانت مهمة أمينة المفتي في بيروت.. ولكنها بعد أيام طويلة من اللقاءات الحميمة مع مروان الحايك لم تجد لديه ما يوصلها لهدفها، فتملكها يأس قاتم لفشلها، وفكرت كثيراً في مغادرة بيروت إلى تل أبيب تتوجها الخيبة، لكن طرأت بخيالها فكرة جديدة عملت على تنفيذها بأسرع وقت، إذ انتقلت إلى شقة أخرى بكورنيش المزرعة - وهي منطقة شعبية يرتادها التجار من قاطني المخيمات الفلسطينية في بيروت. وللوهلة الأولى.. أحست بتفاؤل كبير، بعدما تعرفت على ممرضة فلسطينية تدعى شميسة، تعمل بعيادة "صامد" بمخيم صبرا، فقدمتها شميسة، إلى مدير العيادة، الذي أوضح لها أن العديد من الأطباء من كل دول العالم، يشاركون في علاج الفلسطينيين كمتطوعين. فعرضت عليه خدماتها التطوعية، وأطلعته على شهاداتها المزورة فطلب منها الانتظار لعدة أيام ريثما يخبر رؤساءه.

كان ياسر عرفات يقابل المتطوعين في شتى المؤسسات الفلسطينية، ويستعرض معهم المخيمات وملاجئ الأيتام، والمؤسسات الصحية والهلال الأحمر، وأقسام الأجهزة التعويضية والعلاج الطبيعي والمعامل المركزية وبنك الدم، من هنا صادفت أمينة المفتي فرصة ذهبية للامتزاج بالفلسطينيين، وبدأت مرحلة العمل التجسسي الأوسع.

مساء ٢٢ يوليو ١٩٧٣.. دق جرس التليفون بشقة أمينة المفتي. وكان على الطرف الآخر مارون الحايك، الذي أخبرها بوجود على حسن سلامة في فندق الكورال بيتش، وقريبا من حوض السباحة حيث كان يستحم جلست الجاسوسة الحسناء تراقبه بحذر، حتى رسمت صورته في خيالها، وداومت على زيارة الكورال بيتش مرتين اسبوعياً بشكل منتظم، وكانت كثيراً ما تلتقي بسلامة الذي اعتاد رؤيتها، حتى دفعته للتعرف بها في سبتمبر ١٩٧٣.

بواسطة سلامة، انفتحت أمام أمينة المفتي كل الأبواب الموصدة. إذ أصبحت محل ثقة الفلسطينيين، وعلاقاتها بالقادة طالت ياسر عرفات نفسه. لقد استعادت حيويتها وثقتها بنفسها، وانخرطت في صفوف المقاومة تضمد الجروح، وتبث فيهم الحماس والاستماتة في الكفاح. وكانت زياراتها المتعددة لمخيمات اللاجئين في الجنوب، تصحبها فيها مجموعات طبية من المتطوعين، تذكرة أمان لدخول كل المناطق المحظورة. فكانت عيونها كاميرات تلتقط الصور وتختزنها. وآذانها كانت أجهزة تسجيل متطورة، وانقلب عقلها إلى آلة جبارة من القوة بحيث لا يرهقها تزاحم المعلومات، أو رسم الخرائط بدقة متناهية، أو حفظ مئات الأسماء والمواقع، أو تذكر أنواع الأسلحة وأساليب التدريب. لقد أدمنت استجلاء أوضاع الفلسطينيين، مستغلة ثقتهم بها في إرسال المعلومات عنهم يوماً بيوم إلى الموساد. بيتش.

هكذا عملت أمينة بحرّية مطلقة في التجسس على القادة الفلسطينيين.. ورجال المقاومة، ولم تدخر وسعاً في البحث عن كل ما يهم الصهاينة في لبنان. لقد زارت ياسر عرفات بمكتبه ثلاث مرات، لتطلعه بنفسها على العديد من السلبيات التي واجهتها في الجنوب اللبناني، واهتم الزعيم بمقترحاتها وقد أفرد

لها مساحة طويلة من الوقت للاستماع اليها. وأوصى في الحال بالتحقق مما قالته، وتلافي الأخطاء التي تعوق حركة المقاومة في الجنوب. فتقربت أمينة بذلك من الزعيم الفلسطيني، وأصبح مكتبه مفتوحاً دائماً أمامها.

وفي تلك الفترة، ومع معايشتها الخطر الدائم في لبنان، بين فكي المقاومة الفلسطينية أدركت أمينة أنها تحتاج لمزيد من التدريب والتعلم، فعادت لفيينا ومنها للدولة الصهيونية طالبة من المزيد من الخبرات والدورات التدريبية، ولكنها فوجئت بقرار بإنهاء عملها في الموساد !!

كان تقديرهم في الموساد أن عميلتهم، نفسيا، استنفدت غرضها، وأن استمرارها في العمل التجسسي يهددها بالانكشاف، فعرضوا عليها عملا جديدا في إسرائيل، وحماية أمنية كبيرة، لكنها رفضت القرار بشدة، وقالت للضابط الذي جاء ليبلغها القرار إنها لن تتوقف عن انتقامها من العرب والفلسطينيين، ولو تخلى عنها الموساد، فلن تتردد في القيام بعملية انتحارية داحل مكتب ياسر عرفات شخصيا !! انزعج الرجل.. وأسرع إلى رؤسائه ينبئهم بالأمر.. وبلهجة الصدق والإصرار والغضب في صوتها. وكان لا بد من إيجاد حل وإلا فهناك كارثة مؤكدة قد تقع بين لحظة وأخرى.

رأى فريق من خبراء الموساد أن أمينة، ربما تشعر بالزهو في عملها، فتتخلى عن حذرها وتنكشف، لكن الأغلبية رأت أنها جديرة بالعمل في بيروت، ومع حصولها على دورات تدريبية مكثفة، ستكون أكثر حذراً، وإقبالاً، وشغفاً.

وانتهى الاجتماع بالموافقة على عودتها للبنان، وذلك بعد موافقة ريفي رامير رئيس الموساد. هكذا تحدد لها أن تستمر وتواصل توغلها بين القيادات الفلسطينية، وجاءوا بها إلى المبنى المركزي حيث جلس اليها أحد كبار الرسامين، ومن خلال وصفها لعلي حسن سلامة، استطاع أن يرسم صوراً تقريبية له. وتعهد بها اثنان من الضباط الخبراء، أحدهما تولى تدريبها على استعمال أحدث ما ابتكره العلم في مجال أجهزة اللاسلكي. وتقرر لها بث رسائلها مرتين أسبوعياً يومي الخميس والاثنين، وتلقي الرسائل من تل أبيب كل ثلاثاء في الحادية عشرة ودقيقتين مساء.

وفي الثالث من أكتوبر ١٩٧٣ غادرت تل أبيب إلى فيينا، حيث تسلم منها عميل الموساد جواز سفرها الصهيوني، وسلمها الجواز الأردني مع تذكرة سفر إلى بيروت فجر اليوم التالي، وانطلقت في شوق للعمل.. للثأر.

في الساعات الأولى من صباح ٦ أكتوبر ١٩٧٣، أطلقت أمينة أولى إشارات البث اللاسلكي إلى تل أبيب، التي استقبلها الموساد بشيء من الاطمئنان والفرح، فالرسالة كانت واضحة، والشفرة بلا أخطاء، والأخبار التي حوتها هامة جداً استدعت دخولها إلى غرفة التحليل والمتابعة على الفور.

وبينما تهيأت العميلة الخائنة للتحرك، مدفوعة بشوق جارف إلى العمل، انطلقت شرارة الحرب وعبر المصريون خط بارليف المنيع، وعمت مظاهرات الفرح بيروت. وكما بكى رأفت الهجان (رفعت الجمال) بكاءً مراً في فلسطين إثر هزيمة ١٩٦٧، انهارت أمينة المفتي في ١٩٧٣، لتثبت أنها أصبحت إسرائيلية مخلصة، عدوة مخلصة للعرب جميعا !!

في تلك الفترة، نشطت أمينة في عملها التطوعي كطبيبة عربية تجوب أنحاء لبنان، وجاسوسة تمد الموساد بالمعلومات الحيوية عن تحركات الفدائيين في الجنوب، الذين شحنتهم انتصارات الجيوش العربية فازدادوا استبسالاً وضراوة، وعاد علي حسن سلامة من أوروبا لترتيب خطط العمليات الجديدة، فالعدو فقد السيطرة على نفسه، وعلى اتزانه، والضربات القوية تترك آثارها بوضوح على وجهه المشوه.

هكذا انطلق رجال المقاومة في الجنوب اللبناني يضربون في عمق فلسطين بلا كلل.. واستدعى ذلك من أمينة أن تترك بيروت إلى صور، ومعها جهاز اللاسلكي الخطير، حيث عكفت على بث رسائلها يومياً، والتي وصلت في أحيان كثيرة إلى خمس رسائل مهددة حياتها للخطر، واضطر الموساد أمام سيل رسائلها إلى فتح جهاز الاستقبال على التردد المتفق عليه، لساعات طويلة على مدار اليوم.

هكذا كانت أمينة تنتقم. وتفرغ شحنات غضبها في رسائل يومية مبثوثة قد تعرضها للانكشاف والسقوط. لكنها لم تكن تستمع لنداءات الخوف أبدا، إذ

اندفعت بجرأة أكثر، حاملة جهاز اللاسلكي بحقيبتها في تجوالها بالجنوب اللبناني، طوال معركة أكتوبر ١٩٧٣، متنقلة بين المستشفيات الميدانية والمواقع العسكرية، تسعف الجرحى من المصابين، وتستمد من الحقد جرأتها وقوتها.

تقول أمينة في مذكراتها التي بلغت صفحاتها ستمائة صفحة:

منذ حملت معي جهاز اللاسلكي لأول مرة إلى الجنوب، وشاهدت بنفسي هجوم الميراج على الموقع الفلسطيني، بغرض تدميره وتصفية أبو إياد وأعوانه، وقد تملكني إحساس رائع بعملي.. إحساس بالزهو وجدت فيه لذة كبرى تفوق كل لذة. ومنذ تلك الحادثة في ١١ أكتوبر ١٩٧٣، وأنا أحمل الجهاز الصغير بحقيبتي، بجواره المصحف ذو الجراب والشفرة. كنت أكتب رسالتي أولاً على ورقة منزوعة من بلوك نوت، ثم أقف بسيارتي في مكان أطمئن فيه من العابرين، وأسحب هوائي الجهاز وأقوم بالبث لدقائق. أحياناً كثيرة كنت أبث الرسالة الواحدة مرتين للتأكيد، وأحرق الورقة وأعاود القيادة إلى مكان آخر. وبفضل تصريح المرور الموثق، الذي وقعه عرفات شخصياً، كنت أجوب بأمان شتى المواقع العسكرية الفلسطينية في الجنوب. وأطلع بنفسي على أنواع الأسلحة وكميات الذخائر بالمخازن، ومعسكرات التدريب السرية. لقد حالفني الحظ كثيراً عندما وثق بي القادة الفلسطينيون، لأنني كنت أبدو متحمسة جداً لقضيتهم، وحقهم في الكفاح لاسترداد الأرض المغتصبة. للدرجة التي دعت أبو إياد لأن يطلب مني إلقاء خطبة حماسية في الجنود المعسكرين بالقرب من مخيم البرج الشمالي في الجنوب من صور. يومئذ.. ألقيت خطبة رائعة.. تتدفق منها الوطنية ومعاني العروبة. لقد أجدت تماماً عندما صعّدت من انفعالي فبكيت.. بكيت وأنا أصف مشاهد القتل والقصف والانكسار على وجوه الأطفال اليتامى، بكيت حقيقة وأنا أحثهم على الانتقام والثأر والكفاح.. وما كنت أبكي إلا لفقد موشيه الحبيب.. وبرودة الحياة من حولي بدونه. والثورة المصطحبة بالغضب في أوردتي وشراييني.. ونبضي.. ضد هؤلاء الأوغاد الذين أذلوني.. وأترعوني كئوس الوحدة.. والصمت.. والعدم. كان انفعالي مثالياً، ظن الجنود والقادة أنه إيمان مني بقضيتهم.. فبكوا.. وعندما بحثت عن منديل بحقيبتي اصطدمت يدي بجهاز اللاسلكي المغلق.. !!).

انتهت حرب أكتوبر ١٩٧٣ بوقف إطلاق النار، ولم يرتح الجناح العسكري لمنظمة التحرير الفلسطينية لذلك على الإطلاق. وأقرت المنظمة مواصلة الكفاح المسلح بناء على رغبة "الثورة الفلسطينية".

وتوالت العمليات الفدائية التي آلمت الصهاينة وحلفاءهم الغربيين ، وباتت الضغوط شديدة جداً على أمينة المفتي خلال تلك الفترة. فالعمليات الفدائية الفلسطينية أربكت اليهود وزعزعت أمنهم تماماً، بل وأصيبت بالعدوان غالبية دول أوروبا المساندة للصهاينة ، فالفلسطينيون أرادوا الإعلان عن وجودهم بشتى الطرق، بما فيها العنف من خطف وتفجير. فالعدو لم يكن يملك سلاحاً أبداً سوى العنف ، وإذا كان الصهاينة اعتمدوا العنف قانوناً لهم. فالفلسطينيون أيضاً رأوا الحل في ذات السلاح ، دون غيره .

انتقل الضغط العصبي إلى أمينة المفتي في بيروت ، فالأوامر كثيرة والمطلوب منها كثير ويفوق الوصف . لذلك اضطرت للانتقال تماماً إلى الجنوب اللبناني، واستأجرت شقة بمنطقة الشجرة في صور - على مسافة عشرين كيلو متراً من الحدود مع فلسطين - اتخذت منها مركز انطلاق لاستكشاف تحركات الفلسطينيين. واتصلت بضابط فلسطيني اسمه أبو ناصر ، وحاولت الحصول منه على المعلومات ، ولكن الضابط المحنك استطاع أن يضللها ، وساد التوتر في الموساد ، فمنذ صدرت الأوامر لأمينة باستدراج أبو ناصر بحرص، كانت رسائلها تجيء مشوهة .. بخيلة . كأنما يتعمد الضابط الفلسطيني ذلك، وهو ما يعني أن العميلة وقعت تحت بؤرة الشك.. أو أنها انكشفت فعلاً .

وإمعاناً في مزيد من الحرص.. صدرت الأوامر لأمينة بمغادرة صور إلى بيروت فوراً. والتوقف نهائياً عن جلب المعلومات أو بث الرسائل. لكن العميلة الغاضبة العنيدة ..

لم تنصت أمينة لأوامر رؤسائها في الموساد بالتوقف -مؤقتاً- عن العمل.. كانت ككتلة الثلج التي ذاب ما حولها، فهوت مندفعة لا يجرؤ إنسان على إيقافها.. أو التصدي لها. كانت تحمل روحها على كفها. ولا تهتم بالخطر أو تحسب له حساباً ، وفي تلك اللحظة قررت أن تجند مارون الحايك وأن تجبره على تسجيل

المكالمات السرية بين القادة الفلسطينيين عن طريق الغرفة السرية في السنترال المركزي التي أقامتها الميليشيا المسيحية في لبنان للتجسس على المسلمين . وبأسلوب التهديد نجحت في تجنيد مارون ، ودفعه لما تريد .

أسفرت عملية تجنيد مارون الحايك عن فائدة عظيمة للصهاينه .. إذ أن التجسس المستمر على مكالمات القادة وزعماء الجبهات الفلسطينية ، كشف نواياهم تجاه الدولة الصهيونية ، وخططهم الفدائية للضرب داخل الأراضي المحتلة.

وكانت المعلومات التي أمدت بها أمينة الموساد، تلك التي تكشفتها من خلال غرفة السنترال السرية، هي بلا شك معلومات حيوية للغاية، لا تحتمل التأويل أو الشك.. تجيء عبر أحاديث صانعي القرار أنفسهم .. من أعلى مستويات القيادة الفلسطينية ..

وكانت اخطر المعلومات التي نقلتها أمينة للموساد ، تخطيط على حسن سلامة مع أبو نضال لاغتيال الملك الأردني في مؤتمر القمة العربية بالرباط !

وبالمعلومة التي أرسلتها أمينة للموساد ،تمكنت السلطات المغربية من إلقاء القبض على وحدتي كوماندوز فلسطينيتين، وصلتا من إسبانيا لاغتيال الملك الأردني ، وتم التعتيم على الأمر خاصة وقد حضر عرفات المؤتمر، وحقق نجاحاً كبيراً في الحصول على أكبر دعم عربي لشرعية منظمة التحرير. .

انشغلت أمينة بشكل لم يسبق له مثيل.. وساعدها مارون ومانويل في نوبات التنصت على تليفونات القيادات الفلسطينية، بل إنها استطاعت تجنيد صديقتها خديجة زهران التي طُلقت من زوجها اللبناني، فتزوجت بغيره وطلقت منه أيضاً، وسقطت في شبكة أمينة المفتي في أحلك لحظات ضعفها وحاجتها إلى النسيان.. والمغامرة.. والثراء.

وعندما طلبت أمينة الإذن بمغادرة بيروت إلى تل أبيب، أعيد تذكيرها بإيجاد فرصة مناسبة لدخول شقة علي حسن سلامة ومحاولة الحصول على القوائم السرية لرجال مخابراته في أوروبا، وخطط العمليات المستقبلية المطروحة. وعلى

ذلك انتهزت أمينة فرصة لقائها بسلامة في الكورال بيتش كالمعتاد، وسألته في خطأ فادح عن أولاده . فدهش الرجل الذي لم يحدثها عنهم من قبل مطلقاً. وبحاسته الأمنية العالية ملأه الشك تجاهها، وقرر البحث عن ماضيها وطلب من رجاله في عمان إعادة موافاته ببيانات عن الطبيبة الأردنية أمينة داود المفتي، التي يعيش أهلها بحي صويلح أرقى وأروع أحياء عمان.

فجاءه الرد بأنها بالفعل طبيبة أردنية، غادرت وطنها إلى النمسا للدراسة، ولمشاحنات مع أهلها قررت ألا تعيش بعمان. اطمأن سلامة لتحريات رجاله.. وتجددت ثقته بأمينة، لكن بلاغاً سرياً من أوروبا وصل إلى مكتب المخابرات، قلب الأمور كلها رأساً على عقب.

أفاد البلاغ أن شاباً فلسطينياً في فرانكفورت بألمانيا، صرح لأحد المصادر السرية بأنه تقابل مع أحد الفلسطينيين في فيينا، وبعد عدة لقاءات بينهما في حانات المدينة ومقاهيها، أخبره بأن له صديقة نمساوية يهودية، ماتت إثر تعاطيها جرعة زائدة من عقار مخدر، تزوج شقيقها الطيار من فتاة عربية مسلمة، وهربت معه إلى فلسطين خوفاً من اكتشاف أمرها وملاحقة أجهزة المخابرات العربية لها. وأن الفتاة كانت تدرس الطب في النمسا، وانتقلت إلى لبنان بعدما أسقط السوريون طائرة زوجها، الذي اعتبر مفقوداً.

كان البلاغ يحمل نبرة عالية من الشك، فلو أن الأمر صحيح إذن فهناك جاسوسة عربية بين الفلسطينيين. وطلب سلامة إعادة استجواب الشاب في فرانكفورت، ولو اضطروا لأخذه إلى النمسا ليدلهم على الفلسطيني الآخر. وذيل سلامة أوامره بضرورة السرعة، وإلى حين تصله معلومات آخرى، طلب حصر كل الطبيبات العربيات المتطوعات في المستشفيات الفلسطينية.. واللبنانية أيضاً.

كانت أمامه بعد ثلاثة أيام قائمة طويلة تضم أسماء ٣٧ طبيبة ،أربع منهن فقط حصلن على شهاداتهن العلمية من جامعات النمسا ، وكن جميعاً آنسات ، إحداهن بالطبع كانت أمينة داود المفتي.

وفي انتظار التقرير الحاسم الذي سيجيء من أوروبا .. أمر سلامة بوضع الأربع تحت المراقبة الصارمة طوال الأربع والعشرين ساعة.

أحست أمينة بعيني الجاسوسة المدربة، بالمراقبة ، وأرسلت لرؤسائها في تل أبيب تخبرهم بالأمر ، فأمروها بالفرار بعد التخلص من جهاز اللاسلكي وما يمكن أن يدينها ، ولكن المخابرات الفلسطينية كانت أسرع ، وألقت القبض عليها..

.. قام فريق متخصص بتفتيش شقتها تفتيشاً غاية في الدقة.. ولعدة مرات فشل في العثور على دليل واحد يدينها، فالعميلة المدربة .. وبرغم خوفها الشديد، وجدت أمامها الفرصة الطويلة لإزالة أي آثار أو أدلة قد تقودها إلى الموت .

هكذا قبعت أمينة في زنزانتها المظلمة بباطن الأرض تترقب الموت ببطء ، بينما كان رجال المخابرات الفلسطينية في أوروبا يلهثون للوصول لحقيقة الفتاة العربية التي أبلغ عنها.. وبواسطة خطاب مزور صادر عن السفارة الأردنية في فيينا، يخاطب إدارة مكتب الزواج من أجانب، أمكن الوصول إلى عنوان شقة أمينة - أو آني - في فيينا ، وإلى حقيقة الزواج المحرم. وفي الشقة حيث عثروا على أجندة متوسطة الحجم، سجلت بها أمينة مذكراتها وتفاصيل عملها في بيروت قبل رحلتها التدريبية الأولى في الكيان الصهيوني .

هكذا انكشف الأمر ، وجاء دور التحقيق والاستجواب ..

اقترح علي حسن سلامة الاعتماد على خطة جديدة تناسب الحالة ، تقوم على إيهامها بأن زوجها موشيه كان أسيراً لدى السوريين، وقد أُطلق سراحه منذ أيام ضمن فريق من الأسرى في عملية مبادلة نشرت عنها الصحف. وكان الغرض من كل ذلك إشعار الجاسوسة بعقدة الذنب، لتحس بالندم الشديد على ما ارتكبته فتعترف بلا إكراه أو تعذيب. وعلى ذلك سربوا اليها إحدى الصحف اليومية وقد تصدرت صفحتها الأولى صورة زوجها الأسير وسط العديد من زملائه، قبلما يغادرون سوريا إلى فلسطين برفقة رجال الصليب الأحمر. كانت هناك بالطبع نسخة وحيدة لتلك الصحيفة طبعت خصيصاً لأجل المهمة المحددة. وما إن قرأت أمينة الخبر، حتى لفها صمت وذهول، وقد جحظت عيناها لهول الصدمة والمفاجأة، وانطلق من جوفها صوت نحيب رتيب كأنه العواء.

في الثامن من ستبمبر ١٩٧٥، بعد تسعة أيام من اعتقالها، اقتيدت أمينة داود المفتي إلى مكتب أبو داود حيث جرى استجوابها ..

كان أبو داود ضابطاً من ضباط المخابرات الفلسطينية القلائل الذين تميزوا بأسلوب المهادنة في استجواب الجواسيس، وكان يرى أن تلك الطريقة هي الأنسب لمعاملة هؤلاء الخونة لإشعارهم بمدى فداحة الجرم الذي ارتكبوه. ومن خلال المعاملة الحسنة، بدلاً من التعذيب الذي يتوقعونه، يمتلكهم الإحساس بالذنب فيعترفوا. لكن يبدو أن فلسفة كتلك لم تكن ذات نفع مع جاسوسة محترفة مثل أمينة المفتي، التي دربت على كيفية مواجهة المواقف الصعبة، وترتيب الأفكار بحيث لا تخطئ إذا ما اضطرت إلى سرد رواية ما مرتين.

وكانت تمارين الذاكرة التي أجادتها تماماً خير وسيلة لها للتمسك بأقوالها دون تغيير، وبرغم نفاد صبر أبو داود الذي واجهها بمذكراتها التي كتبتها بخطها وخبأتها في شقتها في فيينا، إلا أن الجاسوسة أنكرت كل شيء. وعللت كتابة مذكراتها بما تحويه من تفاصيل غاية في الدقة، بأنها مريضة بالتوهم وبأحلام اليقظة، وقد تخيلت نفسها بالفعل عميلة إسرائيلية في بيروت نظراً لخيالها الخصب الجامح، ولتأثرها الشديد بقصة حياة الجاسوسة الهولندية الشهيرة مارجريت جيرترود "(ماتا هاري)"، وابنتها الجاسوسة باندا ماكلويد. هذا فضلاً عن رغبتها في الانتقام من العرب لفقد زوجها موشيه، وعجزها عن تحقيق ذلك، مع شعورها المتزايد بالغربة والكآبة، وإحساسها بالاضطهاد..

وكأنما أيام الاعتقال الانفرادي التسعة، كانت بالنسبة لها الفرصة الذهبية لترتيب الأفكار استعداداً للمواجهة المصيرية

ومن هنا .. لم تكن أمام أبو داود سوى أساليب الاستجواب المعتادة، وهي اللجوء إلى العنف والتعذيب، وقد كان كارهاً لذلك جداً إلا أنه اضطر إلى ذلك .. فهو كما قال يتعامل مع حية ناعمة الملمس.. كلما حاول الإمساك بها انزلقت من بين أصابعه هاربة. وأناب عنه زميله "أبو الهول" للتحقيق معها.

وفي حبسها الانفرادي كانت أمينة تستعد للمعركة القادمة .. وتشحن ذاتها بكل ما تبقى لديها من قوة ومناورة، وتعيد تنظيم خطوط دفاعها أملاً في

الإفلات. فقد كانت تعلم بأن أدلة إثبات خيانتها هشة ومن السهل تفنيدها. كذلك لم يضبط بعد أحد أعضاء شبكتها فيعترف عليها . لذلك وطنت نفسها على المقاومة والاستبسال في الإنكار والدفاع. فحتماً سيضيقون بها ولن يكون أمامهم سوى طردها خارج بيروت. لكن المفاجأة التي لم يتوقعها أحد مطلقاً، أن سلطات الأمن اللبنانية تدخلت، وأجبرت الفلسطينيين على الإفراج عن المعتقلة لتقوم هي بالتحقيق معها.

هكذا خرجت أمينة المفتي -وكما توقعت- منتصرة من حبسها، وتسلمتها السلطات اللبنانية التي رأت أنها بريئة، وأن الشكوك التي طالتها باطلة مجحفة. وأنها طبيبة عربية مخلصة لوطنها العربي أيما إخلاص. وكان أن خيرتها ما بين البقاء في بيروت أو مغادرة لبنان مع وافر الشكر ، فاختارت أمينة أن تغادر إلى فيينا، وطالبت بوثيقة سفرها التي احتجزها الفلسطينيون...

ولكن قبل سفرها نجح أبو إياد في التدخل لدى وزير الداخلية اللبناني وإعادة أمينة للجانب الفلسطيني للتحقيق معها خلال ثلاثة أيام فقط ، فإن اعترفت ، وإلا أُطلق سراحها لتذهب حيث تشاء !!

وقبل انقضاء المهلة ، نجح رجال فتح بخطة معقدة (تعتمد على اقناعها بأن زوجها الراحل موشيه كان عميلا للموساد مكلفا باستدراجها لليهودية وتجنيدها) في السيطرة على أمينة المفتى ، التي خارت عزيمتها واعترفت بكل شيء ..

وتم القبض على مارون الحايك وخديجة زهران اللذين سلما إلى السلطات اللبنانية لمحاكمتهما، طبقاً لقانون العقوبات الذي عُدل في ٢٨ يناير ١٩٧٥، وجاءت مواده الجنائية مائعة وغير رادعة.

أما أمينة المفتي .. فقد امتنع الفلسطينيون عن تسليمها للبنانيين، حيث قرروا لها مصيراً آخر، ولم يستجيبوا لضغوط وزير الداخلية اللبناني لمحاكمتها. وأمام الرفض التام لذلك .. اضطر الوزير لنسيان الأمر برمته. فقد كان يدرك بأن هناك نهاية مأساوية تنتظر عميلة الموساد على أيدي الفلسطينيين. وعلى ذلك .. ظلت الجاسوسة العربية مقيدة بكهف السعرانة)الكهف الذي تم التحقيق معها فيه) ، يفتك بها الرعب ويغلفها الهلع .. !!

وما أن نشرت الصحف اللبنانية نبأ القبض على أمينة المفتي وأفراد شبكتها، حتى ارتجت جنبات الموساد بشارع كيريا بتل أبيب. وبدأت في الحال تخطيطاً لاستعادة العميلة الأسطورية. فتاريخ الموساد الطويل يسرد لنا عشرات القصص التي انتهت باسترداد جواسيسها، الذين اكتشف أمرهم وكانوا على قيد الحياة. ولهذه القاعدة تبرير منطقي وهو أن إنقاذ أي عميل يرفع الروح المعنوية للعملاء الآخرين، ويشجع الرجال والنساء على القيام بعمليات ومهام خطيرة أخرى. ولأن الفلسطينيين يدركون ذلك جيداً، رأى عرفات أن الإبقاء على أمينة بكهف السعرانة أمر ضروري حتى يحين الوقت المناسب لتقرير مصيرها النهائي، نابذاً بذلك رغبة علي حسن سلامة في إعدامها.

فقد كانت لعرفات رؤية مستقبلية بعيدة المدى، تنحصر في التريث لبعض الوقت، ومبادلتها بشخصيات فلسطينية بسجون العدو. لكن سلامة الذي بدا غير قانع كان يرى في قتلها فوزاً أكيداً، إذ سيصاب عملاء العدو في لبنان بالذعر، وبالتالي يسهل كشف العديد منهم إن لم يسارعوا بمغادرة بيروت. ولما فشل في إقناع عرفات بوجهة نظره، اضطر إلى السكوت وكبح اندفاعة الشباب عنده. وبذلك ظلت أمينة حبيسة الكهف الجبلي، ترزح في قيود الذل دون محاكمة، أو بصيص من أمل في النجاة. وفي ذات الوقت الذي أدين فيه مارون الحايك بالحبس ثلاثة أعوام، وبعام واحد لرفيقته خديجة زهران .

نسجت أمينة المفتي خيوط شبكتها حول أحد حراسها، وأوهمته بأنها بريئة مما نسب اليها، وأن الفلسطينيين فعلوا بها ذلك نكاية في عمها الذي يشغل منصباً حساساً في البلاط الملكي الأردني، حيث تصور لهم أنه كان أحد المحرضين لمذابح أيلول الأسود. وبعد عدة أشهر لا في مايو ١٩٧٦ لا كان غسان الغزاوي قد اقترب كثيراً من أمينة، وتعاطف مع محنتها إلى الحد الذي دعاه للتفكير في تخليصها من السجن، وإن استدعى منه ذلك الهرب بها إلى الدولة الصهيونية .

فكانت هي بذلك أول عميلة للموساد على الإطلاق، تجند حارسها في السجن للفرار بها إلى خارج حدود الدولة. وجاء بمذكراتها فيما بعد أنها كانت تنوي

النجاة بنفسها فقط، وتركه على الحدود يواجه مصيره وحده مع الفلسطينيين، حيث ستحاك الأساطير الصهيونية عن قصة هروبها العبقرية. لكن خابت أحلامها في المجد والتكريم.

وخابت أحلامه أيضاً في الثراء والنعيم، عندما أفضى بسره إلى أحد رفقاء فقره في المخيم ، الذي أبلغ السلطات الفلسطينية عنه وتمت مراقبته، وضبط وهو يحاول إدخال بزة عسكرية إلى الكهف لترتديها أمينة أثناء الهرب. وانتهت أحلام الخائن برصاصات اخترقت صدره في أكتوبر ١٩٧٦، وبتثقيل القيود الحديدية بأيدي الخائنة ورجليها، وشدها إلى الحائط مصلوبة وبأقل قدر من الطعام والشراب، إلى أن تقيحت أطرافها المختنقة بالقيود، وعمل معول الهزال بجسدها كما يعمل معول النحات الماهر بمادته الصخرية، فعاشت ذابلة كالموتى لا يميزها عنهم سوى ارتعاشة الأطراف، وزوغان حدقتين لا تبصران إلا الخوف والظلام .

حتى جاء فبراير ١٩٨٠ ، حين تم نقل أمينة إلى قبرص ، حيث تمت مبادلتها باثنين من أسرى المقاومة ..

بعد وصولها لتل أبيب واكتشافها خدعة إقناعها بأن زوجها موشيه ما زال حيا ، أخضعت أمينة للعلاج النفسي.. إلى أن أفاقت تماماً إلى واقعها المرير .. وإلى حقيقة كون زوجها موشيه ما يزال مفقوداً ولم يعثر له على أثر .. وأن الفلسطينيين استطاعوا بذكاء شديد خداعها في لعبة مخابراتية بارعة ..

انتهت مسؤولية الموساد تجاه أمينة بوصولها إلى تل أبيب واستجوابها.. ومنحها ستين ألف شيكل مكافأة!! تولت من بعدها سلطات الأمن الداخلي "الشين بيت" حمايتها وتوفير سبل العيش لها. وكانت الخطوة الأولى هي تغيير محل إقامتها في ريشون لتسيون إلى مستوطنة كريات يام شمالي حيفا.. حيث منحت مسكناً مستقلاً بشارع هابحيفيم هرتسليا .. تستطيع من شرفته مشاهدة البحر .. وتمييز جنسيات السفن في حركة دخولها إلى ميناء حيفا أو مغادرته .. هكذا قبعت أمينة المفتي لا ٤١ عاماً وقتها لا تجتر الذكريات وتكتب قصة حياتها وخيانتها بتفصيل دقيق .. متجاهلة رونا إيزاك ضابطة الأمن المرافقة لها. وما أن

مرت أشهر قليلة .. حتى تجرأت واتصلت تليفونياً بشقيقتها الوحيدة المقيمة بروما مع زوجها .. وجاء الرد : " أنا لا أعرف أن لي أختاً .. كانت لي يوماً ما أختاً ماتت ـ وعالياً .. عالياً جداً صرخت: ماتت واختفت من ذاكرتي

عاشت أمينة بعد تلك الحادثة حياة مضطربة .. حاولت قدر استطاعتها أن تستكين وتهدأ لكنها كانت أضعف من أن تقاوم أو تصمد .. أو مجرد أن تشعر بطمأنينة من يمتلك مليون دولار مثلها .. ومع بداية غزو لبنان في يونيو ١٩٨٢ لأ في محاولة شبه جادة لدحر الوحدة والملل، افتتحت أمينة عيادة خاصة بها في المستوطنة التي يقطنها ٢٢ ألف يهودي ..

وفي مطلع عام ١٩٨٤ نشرت مجلة "بمحانية" العسكرية الصهيونية خبراً صغيراً يقول إن وزير الدفاع أصدر قراراً بصرف معاش دائم للمقدم آني موشيه بيراد التي تصدرت لوحة الشرف بمدخل مبنى الموساد، وهي لوحة تضم أسماء أمهر العملاء "ويطلق عليهم الأصدقاء" الذين أخلصوا للكيان الصهيوني ، وقدموا إليه معلومات عن أعدائه ساعدت على إحراز انتصارات عظيمة .. أما عن نهاية أمينة المفتي – فقد قيلت روايات عديدة في ذلك:

إحدى الروايات تؤكد بأنها حصلت على وثيقة سفر أميركية باسم جديد .. وتعيش الآن بولاية تكساس حيث تمتلك مزرعة واسعة. وتزوجت من بحار إسباني ولم تنجب.

رواية ثانية تزعم بأنها أجرت تعديلات بوجهها بمعرفة الموساد .. وتعيش بجنوب إفريقيا منذ عام ١٩٨٥ تحت اسم مزيف .. وتعمل في الاستيراد والتصدير، وأنجبت ولداً من ضابط روماني أسمته موشيه.

ورواية ثالثة تقول إنها انتحرت بحقنة هواء داخل حجرتها بقسم الأمراض العصبية بمستشفى تل هاشومير، وهو مستشفى يعد من أكبر مستشفيات الصهاينة، ويقع بحي راق في منطقة يطلق عليها : تل لتفنسكي، ثم عدل ليصبح تل هاشومير ، وأيا ما يكون فقد دخلت أمينة المفتى التاريخ .. تاريخ الخيانة والجاسوسية .. وبقيت قصة تروى للعبرة والعظة ..

روان العراقية .. استطاعت بأنوثتها أن تجند جيشا من الخونة



صورة نادرة لإعدام ناجي زلخا ورفاقه من الجواسيس

روان العراقية .. استطاعت بأنوثتها أن تجند جيشا من الخونة

لنفهم قصة هذه الجاسوسة الخطرة ، لابد أن نبدأ من حكاية يهودي عراقي اسمه عيزرا ناجي زلخا ..

ولد عيزرا بالموصل شمالي العراق أول يناير ١٩٢٧، وسارت حياته في بدايتها عادية كسائر الشباب العراقي آنذاك .. حصل على شهادة متوسطة أهلته للعمل موظفاً في أرشيف وزارة التجارة ببغداد .. وتعرف بمعلمة يهودية اسمها "ملاذ" في المعبد اليهودي، أحبها وتزوجا عام ١٩٥٢ ، إلى أن أصيبت فجأة بالحمى التيفودية التي سرعان ما فتكت بها ، ورحلت بعد عام واحد من الزواج ، فعاش حياته من بعدها وحيداً، مهموماً، منشغلاً عن متع الحياة بالسباحة في بحر الذكريات.

صار عيزرا وفيا لزوجته الراحلة حتى تعرف على كهل يهودي قارب الستين ، يعمل تاجراً متجولاً بين أحياء بغداد الشعبية، يبيع بضائعه المختلفة بالأجل ، فاقبل عيزرا على صداقة ذلك الكهول الودود ، ولم يكن يتوقع ما ينتظره من هذه الصداقة ..

فالتاجر المتوسط الحال - واسمه بوشاط - كان وقع منذ زمن في شرك الجاسوسية، وانضم لإحدى الخلايا السرية التي تعمل لصالح إسرائيل. وكانت مهمته جمع المعلومات عن فقراء اليهود في الأحياء الشعبية : ظروفهم المعيشية ، وأعدادهم، وتعليمهم ، وحرفهم ، واتجاهات الرأي عندهم في مسألة الهجرة. فكان لذلك يكثف من زياراته للأحياء اليهودية ليكتب تقاريره عنهم. ويتردد على القبور لتصيد الأخبار من أفواه المكلومين، دون أن تعلم ابنته الوحيدة بنشاطه التجسسي، أو يحاول هو جرها إلى العمل معه.

وحين دعا بوشا صديقه الجديد عيزرا لزيارته في منزله وقعت عيناه عليها .. وبدأت قصتهما ..

انبهر عيزرا بجمال الابنة "روان" ، واستولت على قلبه حتى نسي زوجته الراحلة ، ولم يعد له هم سوى أن يمتلك الفتاة التي رآها واحدة من الحور العين .. وحينما نفدت قدرته على الكتمان صارح الفتاة بحبه ورغبته في الزواج منها .فأخبرته أن القرار ليس بيدها وإنما بيد أبيها وحده ..

وهنا جاءت الفرصة للكهل اليهودي كي يستفيد من عيزرا ويوجهه كيف يشاء ..

وليوقعه في الفخ طلب بوشا من عيزرا مهرا ضخما لابنته .. كان يعلم مدى تعلق عيزرا بالابنة وشغفه بها .. وبعد مساومات قبل بوشا زواج عيزرا بابنته بشرط أن يساعده في إقناع من يعرفهم عيزرا من اليهود بالهجرة لإسرائيل .وجعل العجوز الماكر تحديد موعد الزواج مرهونا بمدى ما يبذله عيزرا في هذا المجال ..

لم يكن من الصعب على عيزرا أن يقبل ، فقد تمكن حب الفتاة منه ، وبالنسبة له كيهودي فليس إثما أن يعمل على إقناع غيره من اليهود بالهجرة ، فالفقراء الذين سيتكلم معهم، يحسون بالضيق لسوء أحوالهم المعيشية، وقد يرون في الهجرة مخرجاً لهم من أزمتهم . إذن. . ماذا سيخسر؟

هكذا استطاع بوشا اصطياد عميل جديد للموساد، يعمل "مجاناً" عن قناعة . . واثقاً من إخلاصه للعمل، لكي يفوز بابنته بعد ذلك. . !!

في تلك الفترة التي تأهب فيها عيزرا للعمل. . حدث انقلاب كبير على الساحة العربية. إذ وقع العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦، واحتلت إسرائيل شبه جزيرة سيناء، وبتدخل الولايات المتحدة انسحبت الجيوش المعتدية.

كان احتلال سيناء أمراً مدهشاً لليهود العرب، فقد ارتابوا كثيراً من قبل في قدرة الجيش الإسرائيلي على مواجهة الجيوش العربية، وتراجعوا عن فكرة الهجرة، ثقة في القوة الرادعة العربية.

أما وقد حدث العدوان واحتلال سيناء ثم الانسحاب فقد اهتزت الصور . . واعتقد أكثر اليهود فهماً لأمور السياسة، أن العرب فوجئوا بالقوة العسكرية

الإسرائيلية.. وهم بلا شك يستعدون، ويتحينون الفرصة المناسبة لضرب إسرائيل والقضاء عليها بعدما أضحت خطراً على المنطقة كلها.

هذا الرأي انتشر كانتشار النار في الهشيم بين اليهود العرب في سائر الأقطار. وبدلاً من الثقة في القدرة اليهودية، انعكس الأمر، وتحول احتلال سيناء إلى نكسة مدمرة لاستراتيجية إسرائيل السياسية والعسكرية. . فتراجع أكثر اليهود عن رأيهم، وبالتالي. . أخفقت محاولات كثيرة للتأثير على اليهود وحثهم على الهجرة.

لهذا تعمدت المخابرات الإسرائيلية إذاعة حديث إبراهام دار بطل عملية "توشيا" وهي أجرأ عملية قام بها بتهريب ٦٥ يهودياً من بورسعيد إبان العدوان الثلاثي وكان المقصود بإذاعة حديثه عبر الراديو لعدة أيام مغزى مخابراتي.

واكب ذلك مقتل تاجر يهودي عراقي بيد لصين اقتحما داره. وأشاع عملاء الموساد أن العملية مدبرة لبث الرعب في قلوب اليهود.

انتهز بوشا حادث مقتل اليهودي لإثارة حمية عيزرا .. وتهيئة المناخ النفسي لإيقاظ حماسته. فانفعل عيزرا بحكم يهوديته ، وأخلص كثيراً في عمله.

وإن هي إلا شهور قليلة حتى كان رصيده اثنتي عشرة أسرة يهودية، تمكن من إقناعها بالهرب إلى إيران.. ومنها إلى إسرائيل، ورحلة الهرب كثيراً ما كانت تبدأ من الشمال الشرقي، حيث يقوم فيها بعض العملاء من الأكراد بدور رئيسي وفعال. إذ يقودون الهاربين عبر الجبال والسهول والممرات الوعرة إلى الحدود الإيرانية. . حيث يتعهدهم حرس الحدود وضباط الموساد.

هكذا ابتدأ عيزرا العمل، بداخله إحساس بالبطولة، والفخر بقدراته الخداعية التي مكنته من مؤازرة إسرائيل. فاستهوته اللعبة الخطرة المصيرية.. وقطع فيها شوطاً منحه الثقة في ألا يتراجع، لذلك كافأه بوشا بحق عندما زوجه روان.

ولم تكد تمر فترة وجيزة حتى مات بوشا .. فقام الموساد بالاتصال بعيزرا ليكمل المهمة التي بدأها مع بوشا .. واكتشف عيزرا أن روان كانت تعرف كل شيء .وتولى أحد عملاء الموساد في العراق تدريب عيزرا وإخضاعه لدورات في فنون

التجسس. وفي غضون مرحلة قصيرة تعلم عيزرا الكثير . . حتى صار جاسوساً مدرباً مُلماً بقواعد عالم الجاسوسية ..

انصب عمل عيزرا على تكثيف جهوده لتهريب يهود العراق. . وفي خلال عامين تمكن من تهريب أكثر من أربعمائة منهم إلى عبادان عبر شط العرب. وسلك في ذلك أساليب شيطانية أنجحت مهمته، برغم التواجد الأمني المشدد، فأصبح بذلك أمهر جواسيس الموساد في بغداد.

وبينما عيزرا يتقدم في عمله بنجاح، كانت روان مشغولة بأمر فشلها في الإنجاب ، يملؤها الحنين إلى طفل يضيء حياتها.

وبرغم صمت زوجها وعدم اهتمامه بالأمر، فإنها سعت للأطباء واهتمت بالوصفات الشعبية دون فائدة فزاد همها ، وحدثتها نفسها أن تفاتح زوجها برغبتها في الهرب معاً لإسرائيل، حيث تداولت الأقاويل إمكان علاجها هناك.

تشجعت وعرضت الفكرة عليه، فثار رافضاً في البداية ثم عاد وطلب منها الانتظار حتى "يأذنوا" له بالهرب.. وانتهز الفرصة وتكلم مع مندوب الاتصال الذي يلتقي به في مواعيد محددة. فطلب منه مهلة ليعرض الأمر على رؤسائه في الموساد.

بالطبع لم يكن من السهل على الموساد أن تسحب عيزرا بعدما اتقن عمله وأجاده بحرفية عظيمة .. فعملية سحب العملاء تخضع لحسابات معقدة أهمها أن تصل درجة ثقة العميل في نفسه إلى حد الغرور. . مما قد يوقعه في خطأ فادح يكشفه ، نتيجة الثقة الزائدة في قدراته، والاستخفاف بقدرات رجال الأمن في القطر الذي زرع فيه.. لم يكن عيزرا قد وصل إلى حد الخوف عليه بعد. وكان لا بد من استغلاله و "استهلاكه" قبل الإذن له بالتوقف، أو السماح له بالمغادرة.

جاءه الرد كما كان متوقعاً. . فحزن كثيراً لأجل روان، وتملكه الزهو عندما أعلم بأنه منح رتبة عسكرية في الجيش الإسرائيلي، تضمن له ولأسرته معاشاً محترماً عندما ينتهي من مهمته ويفر إلى إسرائيل. وأخضع لدورة تدريبية جديدة

لتعلم كيفية استعمال اللاسلكي في الإرسال بعدما سلموه جهازاً لاسلكياً متطوراً. لا يمكن رصده بأجهزة تتبع الذبذبات التي لم تكن موجودة أصلاً بالعراق.

بذلك .. وثق عيزرا في أهمية دوره لخدمة مصالح إسرائيل في العراق، فطور كثيراً من مهامه التجسسية لتشمل جمع التقارير المهمة التي يحصل عليها من عمله في وزارة التجارة.

أيضاً نجح في تنمية علاقاته ببعض المسؤولين، وطلب الإذن بتجنيد من يراه منهم فلم يأذنوا له. وبقدر ذهول مرؤوسيه في الموساد لمهارته في البث اللاسلكي.. أذهلهم أكثر تغلغله داخل فئات المجتمع وإرسال تقارير غاية في الأهمية عن الاقتصاد والزراعة. . وأصبحت المعلومات التي يبثها إلى تل أبيب تقيم في الفئة (أ) التي تستحق عن جدارة مكافآت مالية ضخمة اتخمت بها جيوبه وبدلت نظام حياته وإنفاقه.

وهنا جاء دور روان ، وبدأت قصتها مع الجاسوسية ..

أشفق عيزرا على حال روان التي انزوت بين همومها بسبب حنينها إلى طفل ، فعرض عليها من باب "التسلية" مشاركته ،وبالطبع من باب الطمع في المزيد من أموال الموساد ، وكان المطلوب منها أن تستدرج موظفا بوزارة الخارجية ، مهما فعلت في سبيل ذلك .. وبالفعل ألقت روان بنفسها في أحضان الموظف ومنحته جسدها حتى أمكن لها السيطرة عليه ، ولما تأكدت من إتمام سيطرتها عليه. . طلبت منه الثمن.. فتدفقت الوثائق والتقارير من أرشيف الوزارة السري.. وبها النجاح الساحق لروان في مهمتها الأولى استهوتها اللعبة الخطرة ، فاندفعت فيها بكل كيانها .. نسيت حاجتها للأمومة ، نسيت كل شيء واستغرقت في العمل ..

أما عيزرا الذي ماتت فيه نوازع الغيرة والرجولة ، فقد كلفها باصطياد ملازم أول يعمل في مطار بغداد يسكن بالمنزل المواجه. . وكان الأمر هيناً جداً. . ما كادت روان تشهر أسلحتها الأنوثية في وجه الملازم الشاب ، حتى استسلم. . وتقرب إلى عيزرا الذي هيأ له المناخ الصحي للسقوط .. فسقط الشاب الصغير بلا تفكير .. وتدفقت من خلاله المعلومات الأكثر سرية عن المطار، وعن طائرات

الشحن المحملة بالمعدات العسكرية، التي تفرغها بداخل حظائر خاصة تخضع لإجراءات أمنية صعبة، وهكذا، وعن أعداد الخبراء السوفييت والتشيك الذين يتوافدون ويغادرون، والرحلات السرية لطائرة الرئاسة.

وهكذا انتقل عيزرا وروان من نجاح إلى نجاح في عالم الخيانة والدياثة ، ومع الوقت تضاعفت خبراته. . وثروته.. بفضل حسه الأمني. . وبالمعلومات الثمينة التي يحصل عليها بفضل جسد زوجته. خاصة وقد أخبرهم بأمر انضمامها إلى العمل.. وقدراتها الفائقة على السيطرة وتجنيد عملاء جدد. فكان ردهم بأنهم يقدرون ذلك. . وأن روان قد تم منحها هي الأخرى رتبة ملازم أول في جيش الدفاع الإسرائيلي . . تقديراً لتعاونها المشرف .. !!

ولأسباب أمنية بحتة .. اشترى عيزرا منزلاً جديداً من طابق واحد في حي الكاظمية . . كان بالمنزل حديقة خلفية ذات أشجار كثيفة. . وباب يؤدي إلى منطقة مهجورة مليئة بالأحراش. . وبواسطة تلسكوب مكبر كان "يمسح" المنطقة المحيطة المؤدية إلى منزله قبل خروجه. . أو قبل زيارة عميل مهم.

هذا المنزل تحول إلى غرفة عمليات خطيرة.. وتتم فيه عملية السيطرة على من يراد تجنيدهم.

وخلال ثلاث سنوات من انخراط روان في الجاسوسية. . استطاعت وحدها تجنيد ثلاثة عشر موظفاً عاماً في مواقع مهمة. أربعة منهم ضباط برتب مختلفة في الجيش العراقي.. وضابط بأمن المطار. . وستة آخرين يشغلون مناصب إدارية بالوزارات المختلفة. جميعهم سقطوا في قبضة روان بفضل لغة الجسد والإثارة. وتدفقت بواسطتهم أسرار العراق أولاً بأول إلى إسرائيل.

بانكشاف أمر الدكتور عيزرا خزام وأعوانه، توالى سقوط شبكات الموساد في العراق، نتيجة الخطأ الجسيم في نظام الاتصال بين الشبكات.

ذلك الخطأ الذي أفاد العراقيين، ومكنهم بسهولة من كشف تسع شبكات دفعة واحدة، مما أحدث فراغاً مخابراتياً كبيراً في إسرائيل، بسبب توقف سيل المعلومات عن الحياة المختلفة في العراق.

كان "عيزرا ناجي زلخا" أحد هؤلاء الرؤوس.. واحداً من أشرس الجواسيس وأمهرهم، الذين قادوا الصراع بالأدمغة بين المخابرات الإسرائيلية والمخابرات العراقية. .

فهو يهودي عراقي، ماكر كالثعلب، وديع كالأرنب، شرس كالنمر ذو ألف مخلب، سهل جداً أن يتلون كالحرباء وفقاً للظروف والمواقف، لكنه على كل حال ثعباني الخطر، قلما يفلت مخلوق من لدغته.

وحدث أن نصبت روان شباكها حول طبيب بالجيش يحمل رتبة نقيب.. وكانت خطة استدراجه بواسطة أحد العملاء لتوقيع الكشف على زوجها..

وكمثل سابقيه. . فقد الطبيب مقاومته وغرق فيها عشقاً وذوباناً . وشوقاً إلى الذروة . . فلم تكن تمنحه إلا بمقدار . . حتى تجيء اللحظة التي يفقد فيها العقل تماماً، فتبدأ معه المبادلة. . فكل شيء له مقابل.. وثمن.

ولما جاءت لحظة المكاشفة. . والسقوط. . لم يصدق النقيب الطبيب حسين علي عبد الله أنه بين أحضان جاسوسة محترفة، في وكر للجواسيس، فانتفض بين أحضانها وقد غاصت نشوته وقام فزعاً يرتدي ملابسه ويتوعدها بمصير مظلم.

هددته بتسجيلاته الجنسية معها فرد عليها بأنه رجل ولا عار عليه فهي تؤكد رجولته. هددته ثانية بما تفوه به في السياسة والعسكرية وأن مستقبله بيدها. فبصق عليها قائلاً إنهم سيكافئوه بالترقية لأنه سلمهم جاسوسة إسرائيلية. وهجم عليها محاولاً تكبيلها واقتيادها للسلطات، لكنه فوجئ بعيزرا أمامه يشهر مسدسه.

أحس بخطئه الكبير كرجل عسكري، فقد كان يجب عليه مسايرتها حتى يخرج من البيت لكنه "كان يعتقد" أنهما بمفردهما.

لم يترك له عيزرا فرصة للتعامل معه. بل انطلقت الرصاصات إلى رأسه، وتناثرت شظايا عظام جمجمته على جدران الغرفة.

صرخت روان في هلع.. وكتمت صراخها عندما حدق فيها غاضباً. . بعينين ترسلان نظرات كاللهيب، وتكورت ترتجف في أنين خافت. .

أخذ عيزرا يسبها لأنها عجزت عن السيطرة عليه كسابقيه.. وتسرعت كثيراً في مكاشفته ثقة في جمالها.

وبخوف يشع رعباً دافعت عن نفسها، مؤكدة له بأنها طوعته جدياً لكنه "وطني مخلص أكثر من اللازم" وظلا طوال الليل يحفران قبره في الحديقة الخلفية. . ثم أهالا التراب فوق الجثة. . وانكمشت روان يفتك بها الهلع. . فهي تنام بين أحضان قاتل. . وعلى بعد خطوة من فراشها. . يرقد قتيل.

حلت الكآبة بروان تفتت عقلها. . لكن الثعبان السام لم يكن ليستسلم. . فالمجد ينتظره في إسرائيل . . وهو الآن يصنع تاريخه..

ومضى الجاسوس الداهية في طريقه قدماً تحفه الثقة ويملؤه الغرور. تسع سنوات كان لا يكل ولا يخاف. . وأعوانه منتشرون في كل مؤسسات العراق الحيوية . . يمدونه بما يذهل الإسرائيليين من معلومات عن أحشاء العراق، وشرايين الحياة المختلفة به.

وفي رسالة التكليف التي تلقاها بواسطة الراديو. . كان الأمر مختلفاً عليه. فقد كان المطلوب تجنيد طيار عسكري عراقي -وبأي ثمن- يقبل الفرار بطائرته الحربية ميج ٢١ إلى إسرائيل.

بدأ عيزرا رحلة البحث عن طيار خائن. . ومن خلال الخونة العسكريين أعضاء شبكته، تعرف عيزرا -بشكل يبدو عفوياً- بالنقيب طيار شاكر محمود يوسف ، المولود في "محلة حسن جديد باشا" عام ١٩٣٦، وسبق له أن التحق بدورات تدريبية في موسكو ولندن لزيادة كفاءته كطيار للميج ٢١ القتالية الاعتراضية التي ترعب إسرائيل.

التقى به عيزرا وزوجته في إحدى الحفلات. . وحاولت روان بأسلحتها الأنثوية الطاغية أن تلفت انتباهه لكنه تجاهلها. . فاغتاظت وتملكها الضيق وشكت في كونها أنثى لا ترد. حتى إذا ما استجمعت نفسها بعدها بأيام، أعلنت عيزرا بقرار اعتزالها مهمة اصطياد عراقيين جدد.

لكنه فاجأها ذت مساء حينما جاء وبرفقته شاكر، وأسر لها بأن الطيار الشاب

تجاهلها في الحفل لوجود زوجته معه، وأن "الوسيط" استدرج شاكر ورأى منه الرغبة في التعرف اليها.. فتظاهر بمصاحبته وبدأت الاتصالات بينهما.

وما كادت روان تسترجع من جديد ثقتها في جاذبيتها وسحرها. . وتوشك أن تسيطر على أعصاب الطيار الولهان، حتى سافر فجأة إلى أمريكا للحصول على دورة في "قيادة التشكيل" في تكساس.

هناك تولت المخابرات المركزية أمره. . فدفعت بحية أخرى في طريقه. . جيء بها خصيصاً على وجه السرعة من النمسا حيث تعمل كممرضة بالمستشفى الأمريكي بفيينا.

إنها "كروثر هلكر". . فاتنة الحسن طاغية الجمال .. التي عملت كمشرفة في نادي الطيارين الشرقيين في قاعدة التدريب الجوية بتكساس. . ونصبت شباكها حول شاكر يوسف فوقع في حبائلها لا حول له ولا قوة. فقد كان يريدها عشيقة مؤقتة بأمريكا، بينما كانت تريده زوجاً لتكتمل الخطة. . رفض رغبتها بالطبع لأنه متزوج ويحب زوجته. لكنها لم تيأس . . وظلت تحاول . . مرات ومرات إلى أن فشلت. . ووضح جيداً جهل الموساد و السي آي إيه ، فالعسكريون العرب محظور عليهم الزواج بأجنبيات.

لكن تملكت الإسرائيليين والأمريكان رغبة عارمة في السيطرة عليه وتجنيده. . ليهديهم سر أسرار الطائرة السوفييتية اللغز .. ولما عاد إلى بغداد دون أن يحقق حلمهم. . طارت كروثر خلفه ونزلت بفندق بغداد الدولي واتصلت به.

ولأنها حضرت لأجله -تحرج كشرقي- واستأجر لها شقة مفروشة بمنطقة الكرادة الشرقية تطل على نهر دجلة. وأخذ يتردد عليها خفية، محاولاً إقناعها بالعودة لأنه متزوج ويعول طفلاً فلم تنصت اليه.

وعندما حدثته عن "منظمة السلام العالمي" المهتمة بنشر السلام حول العالم، صرخ فيها وهددها بأن تسافر فوراً خارج العراق، وإلا فهو مضطر لإبلاغ السلطات بسعيها لتجنيده لصالح جهات أجنبية.

عند ذلك . . ولأنها تحمل تصريحاً بالقتل، رأت أنه لا بد من تصفيته في

أسرع وقت خشية افتضاح الأمر. وتتكشف بذلك نوايا الأمريكيين والإسرائيليين، فيمنع الطيارون الذين أوفدوا في بعثات للخارج من قيادة الميج ٢١، وصدرت الأوامر لعيزرا بالتخلص من النقيب الطيار شاكر يوسف.

كان ذلك في إطار من التعاون بين السي آي إيه والموساد

وبث الموساد امراً عاجلاً لعيزرا بالاتصال بكروثر التي تجيد العربية، وتم الاتفاق بينهما على الخطة..

وأثناء زيارة النقيب شاكر الأخيرة لهلكر بالشقة المفروشة، عمد كما في المرات السابقة إلى ترك سيارته على بعد شارعين تحسباً لأي طارئ، واحتدم النقاش بينهما فهددته بأفلام وصور جنسية أخذت لهما في أمريكا فلم يهتم.

وفي آخر محاولة لإبقائه حياً، عرضت عليه مليون دولار ثمناً لطائرة الميج ٢١ يفر بها لإسرائيل، فلطمها على وجهها لطمة قوية انبثق لها الدم من فمها. وقبل أن يخرج من الحجرة ثائراً لإبلاغ السلطات، فاجأه عيزرا بطلقات مسدسه الكاتم للصوت، وسقط شاكر في الحال قبلما يتمكن من استعمال مسدسه.

وبينما هلكر تعد حقيبتها للحاق بالطائرة المتجهة إلى لندن، انشغل عيزرا بإزالة الآثار والبصمات، وجر جثة الطيار لأسفل السرير ملفوفة ببطانية، ثم فتح أجهزة التكييف .. وغادر الشقة.

اكتشفت الجثة في ٦ يوليو ١٩٦٥ بعد وقوع الجريمة باسبوع. كان عيزرا في ذلك الوقت يمضى أسوأ أيام حياته على الإطلاق. إذ نشرت الصحف العراقية نبأ مقتل كروثر هلكر بأحد فنادق لندن في ظروف غامضة، بعد يومين من مغادرتها لبغداد، وصرح مسؤول أمني أن الجثة وجدت ممزقة، وبها ثلاثون طعنة بعدد سنين عمرها، هكذا تخلصت الـ ضـ قـ شـ. من كروثر لإخفاء معالم الجريمة إلى الأبد. فماذا عنه هو؟

دارت الدنيا بعيزرا وضاقت به على وسعها. وصور له خياله أن الموساد سوف تقتله أيضاً ستراً للجريمة. . وما كان يعلم أن أسلوب قتل العملاء بعد انتهاء مهامهم تستخدمه الـ ضـ قـ شـ. فقط. أما الموساد فالجواسيس لديها بمثابة أبطال

عظماء تفخر بهم وتخلدهم. لم يكن يعلم ذلك عندما عطّل جهاز اللاسلكي. واختبأ بإحدى الشقق لا يخرج هو أو روان إلا للضرورة.

وبعد احتفالات رأس السنة . . وما إن هلت أيام يناير ١٩٦٦ الأولى، حتى انكشف أمر شبكته ضمن شبكات تسع .. وجرى البحث عنه وتعقب آثاره في كل العراق.

كان يجهل أمر البحث عنه من قبل جهاز المخابرات -المكتب الثاني- فعلاقته بأعوانه كانت منقطعة طوال تلك الشهور الخمسة.

ولأن المجرم دائماً يحوم حول مسرح جريمته، فقد تصادف أن توجه وروان لمنزل الكاظمية حيث يخبئ أجهزة التجسس. فاطمأن على وجودها، وفي المساء قاد سيارته وحده إلى منزل بوشا القديم، فنام مرهقاً حتى الفجر. وأسرع بالعودة إلى روان مرة أخرى وما كان يدري بما ينتظره.

ففي غبش الفجر اقتحمت المنزل قوات الأمن، وكانت روان بمفردها كالشبح.. متكورة كجنين ببطن أمه. . فلم تبد أية دهشة أوتصعق للمفاجأة.

سألوها عن عيزرا قالت بهدوء: "لن يتأخر"..

واعترفت من تلقاء نفسها بأنها جاسوسة إسرائيلية، استطاعت أن تجند جيشا من اليهود العراقيين وسائر الملل بالغواية والجنس. وأرشدت عن مقبرة الضابط الطبيب بالحديقة الخلفية، وقادتهم إلى مخبأ سري بداخله جهاز اللاسلكي المعطل وكتاب الشفرة وعدة كاميرات سرية، وأفلام ووثائق لم تبعث بعد للموساد.

كانت سيارات الأمن قد اختفت من المكان الذي بدا طبيعياً. واختبأ عدة ضباط بداخل المنزل ينتظرون الثعبان الكبير. وما أن جاء وخطا خطوات قليلة إلى الداخل حتى هوجم وكبل في الحال.. واقتيد إلى مكان سري للاستجواب، فاعترف اعترافات تفصيلية بنشاطه لمدة عشر سنوات لصالح الموساد، وسدت اعترافاته ثغرات عديدة كانت تحول دون الوصول لبقية الشبكات.

وبينما هو بالقفص، بانتظار سماع الحكم بإعدامه وروان شنقاً مع تسعة

آخرين، وبالرصاص خمسة عسكريين، نظرت اليه روان وقد أكلها الهزال وبرزت عظام وجهها، وقالت له إنها تشعر بالأسف على كل شيء.. لكنها سعيدة جداً لعدم إنجابهما أطفالاً يتعذبون من بعدهما طوال حياتهم.. حيث سيصيح الناس في كل شوارع بغداد: هؤلاء أبناء الثعبان والحية.. !!

4

الفصل الرابع

جاسوسات الموساد

شولا كوهين..الزعيمة



شولا كوهين وهي في بيروت



شولا كوهين في مارس ٢٠٠٨

شولا كوهين..الزعيمة..

تحت وطأة التفجيرات والضغوط التي مورست على يهود العراق للهجرة إلى الكيان الصهيوني، في تلك الفترة من نهاية الأربعينيات، اضطرت تلك الأسرة اليهودية أن تبدأ رحلة الهجرة من "اليعقوبة" شمال العراق إلى ميناء البصرة، فميناء عبادان الإيراني، لتكون نهاية المطاف في ميناء حيفا، ومنها إلى تل أبيب..

لم تكن تلك الرحلة باليسيرة أو السهلة، خاصة على الابنة الشابة (شولا) ذات السبعة عشر عاما.. إنما كانت رحلة مأساوية عجيبة شاقة، يخيم عليها القلق والخوف والحذر، وتحمل مع كل خطوة رائحة العذاب والموت، سعياً وراء حلم الوطن الجديد في إسرائيل. وما إن استقرت الأسرة في تل أبيب حتى صفعتها الكوارث واحدة تلو الأخرى.. قتل والدها في انفجار عبوة ناسفة بسوق تل أبيب، وكانت الصدمة أكبر من احتمال الأم فخرت صريعة المعاناة والمرض، أصابها الشلل الذي أقعدها تاركة حمل الأبناء الستة على عاتق الابن الأكبر، وما كادت شولا تلتقط أنفاسها وتلتقي بالشاب "عازار"، وتقع في هواه، معتقدة أن بابا جديدا للأمل ينفتح في حياتها، حتى كانت الصدمة الأكبر في حياتها، فقد لقي الحبيب مصرعه في اشتباك مسلح مع المقاومة الفلسطينية !!

ازداد صراخها المكتوم وهي ترى أحلامها تتحطم فوق صخرة الوهم شيئاً فشيئاً.. فإسرائيل ليست هي الجنة الموعودة، بل الخدعة الكبرى التي روجوا لها، ومن أجلها ضحوا بالكثير في سبيل الهرب من العراق.

هكذا اسودت الحياة في وجهها وركنت إلى الصمت والانزواء تفكر فيما أصابها، وماذا عساها أن تفعل ؟ فتملكتها رغبة الانتقام من العرب، لكن شغلتها معاناة الحياة اليومية، والجوع الذي لا يكف صراخه ينهش العقل والبدن..

فبعد عام قضته مقعدة توفيت الأم، وطالبها الشقيق الأكبر بالبحث عن عمل لتساهم في نفقات الأسرة، فخرجت تسعى للعمل بإحدى العيادات بشارع "تساهالون هاروفيم"، ووفقت في الحصول على وظيفة مؤقتة، لمؤهلاتها الأنثوية

المثيرة الصارخة، فأسبغ عليها الراتب الضئيل مسحة من الطمأنينة والثقة بنفسها، وأحست بالعيون الجائعة تعريها كل لحظة وترغبها.

طاردتها العيون والشهقات والهمسات والأيدي الجائعة. فاستسلمت لجنرال في الجيش الإسرائيلي من أصل بولندي يجيد العربية. كان دائم التردد على العيادة، وبين يديه اكتشفت أنها تملك سلاحاً فتاكاً تستطيع به أن تقهر أية قوة.. أنوثتها الطاغية.. التي تذيب بلهيبها الأجساد، وتسيطر بها في يسر على الأعصاب والعقول.

أغدق عليها الجنرال الإسرائيلي بالمال والهدايا، فظنت أنها امتلكته، حتى استوعبت الأمر في النهاية. فالجنرال ما هو الا ضابط كبير في جهاز المخابرات. تقرب اليها مستغلاً ظروفها، وعلى وعد بتأمين حياتها أغرقها في محيط الجنس والمال، ثم كاشفها برغبته في أن تعمل لصالح الجهاز لتحافظ على أمن إسرائيل من جهة، ومن جهة أخرى كي تعيش عيشة رغدة لا تحلم بها فتاة في مثل سنها في إسرائيل.

لم تكن شولا أمام واقعها المؤلم تستطيع رفض هذا العرض. فهي تحلم بالمجد المفقود الذي كم رنت اليه، إضافة إلى استيقاظ رغبة الانتقام لديها من العرب الذين قتلوا والدها وحبيبها، وتسببوا في موت أمها كمداً.

لكل ذلك أعلنت موافقتها راضية مقتنعة، لتبدأ بعدها أغرب مغامراتها في عالم المخابرات والجاسوسية، فتستحق عن جدارة لقب "الزعيمة" الذي أطلق عليها في الموساد، ذلك لأن ما قامت به لصالح إسرائيل على مدى تسع سنوات متصلة، مثير جداً.. وجريء.. وعجيب كل العجب.. !!

التحقت شولا أرازي كوهين بالموساد قانعة، وخضعت لتدريب مبدئي في مبنى خاص يقع في "كيريا" بتل ابيب، وأوكلت لأمهر خبراء الموساد مهمة ترويض تلك المخلوقة العجيبة الجمال ليصنعوا منها جاسوسة ذكية، مثقفة، لبقة، تجيد إدارة الحوار واجتذاب الرجال والسيطرة على أعصابهم.

ونظراً لكونها شرقية من العراق ولم تحظ بقدر كاف من التعليم.. فقد بعثوا بها إلى لندن لتمتزج بالمجتمع والدنيا هناك وتتعلم التحدث بالإنجليزية.

وعلى مدار عام ونصف العام استطاعوا أن يستخرجوا منها خلاصة مخلوقة ثانية، مدربة على فنون التجسس والإغواء والسيطرة. وبأوراق مزورة، سافرت إلى بيروت في سبتمبر ١٩٥٢، لتبدأ من هناك أولى مهامها التجسسية واثقة من قدراتها الفائقة، لا تحمل أسلحة فتاكة سوى جسدها المثير.

وفي ساحة المطار الخارجية، تهافت عليها سائقو الأجرة، وأوصلها أحدهم إلى وسط بيروت حيث نزلت بفندق "الجراند أوتيل". وفي المساء غادرت الفندق تملأ مسامعها شهقات الإعجاب طوال تجوالها في شوارع المدينة المكتظة بالجمال.

كان عليها أن تستتر وراء وظيفة ما، أو مهمة جاءت بها إلى بيروت، ولم يكن الأمر صعبا، فقد ادعت بأنها مندوبة لإحدى الشركات السياحية الأوروبية، جاءت للبحث عن وكلاء في لبنان، فانفتحت لها بذلك الأبواب المغلقة. واقتربت كثيراً من ترسيخ أقدامها تمهيداً للعمل.. خاصة بعدما تركت الفندق. وانتقلت إلى إحدى الشقق الفاخرة ببناية "الأمباسادور" الشهيرة.

كانت مهمتها الأولى البحث عن مسؤول لبناني له نفوذ قوي في الدوائر الرسمية، تستطيع من خلاله أن تنفذ إلى ما تصبو اليه.. وأخيراً عثرت على ضالتها في شخص موظف كبير اسمه "محمود عوض".. كان يشغل آنذاك أكثر من ست وظائف حكومية.. فذهبت لمقابلته للاستفسار عن إجراءات تمديد إقامتها، فسقط في شباكها وخر صريع سحرها، وتعمد تطويل الإجراءات ليراها كثيراً، فتركت له جواز سفرها وأخلفت ميعادها معه.. ثم اتصلت هاتفياً به لتخبره بمرضها وأعطته عنوان شقتها ليرسل به اليها.

وكما توقعت الجاسوسة المدربة، فقد ذهب اليها اللبناني الذائب بنفسه يحمل جواز سفرها وباقة من الورود، فاستقبلته بملابس شفافة تفضح معالم جسدها، وكان عطرها الفواح الذكي ينشر جواً من الأحلام والرغبة والاشتهاء.. ومنحته في النهاية جسدها مقابل خدمته.. فبات منذ تلك اللحظة عبداً لجمالها تحركه كفيما تشاء، ولا يرفض لها أمراً.

انشغل محمود عوض بمعشوقته وهو المسؤول المهم بإحدى الدوائر، وشهدت شقة الأمبا سادور اللقاءات المحرمة التي تستغرق معظم وقته. فكان ينزف مع رجولته أسراراً حيوية للغاية تمس لبنان وأمنه. إذ كان يعوض ضعفه الشديد أمام أنوثتها الفتاكة بسرد تفاصيل عمله، وتتملكه نشوة الانتشاء عندما يجيب باستفاضة عن استفساراتها ويراها منبهرة مشدوهة "متغابية"، وبعد انصرافه تنكب على أوراقها تكتب كل ما تفوه به، وتخطط لما سيكون عليه الحال في اللقاء التالي.

كانت مهمتها الرئيسية في بيروت: السيطرة على أكبر عدد من المسؤولين الحكوميين بواسطة الجنس، حتى إذا ما ترقوا في وظائفهم وأصبحوا ذوي شأن في صناعة القرار، أعيد من جديد إيقاظهم للعمل لصالح إسرائيل، وهؤلاء يطلق عليهم "العملاء النائمون". فحينما يتبوءون المناصب العليا، يسهل إخضاعهم لتمييع المواقف السياسية المستقبلية ضد إسرائيل، ويشكلون بذلك طابوراً طويلاً من المسؤولين يدور في فلك إسرائيل.. وينفذ سياساتها دونما انحراف عن الخط المرسوم.

لذلك، وسعت شولا من علاقاتها بالمسؤولين اللبنانيين، وكانت الدائرة، شيئاً فشيئاً، تتسع لتشمل موظفين رسميين بشتى الجهات الحكومية. كلهم سقطوا صرعى الجسد الناعم الملتهب وفورانات الإثارة.

وبالطبع، لم تكن شولا بقادرة وحدها على إشباع رغبات كل هؤلاء، إنما عمدت بحاستها المهارية إلى التعرف على فتيات حسناوات، باحثات عن المال، جمعتهن حولها وسخرتهن لتوثيق دائرة معارفها. واستلزم منها ذلك تأجير شقة أخرى، لتخفيف حدة زحام جوعى اللذات بشقتها.

وفي عام ١٩٥٦ كانت تستأجر خمسة منازل في مختلف أنحاء بيروت، مجهزة بأفخر أنواع الأثاث، ومزودة بكاميرات دقيقة وأجهزة تسجل كل ما يجري بغرف النوم، وكانت أشهر فتاة لديها، طفلة أرمينية تدعى "لوسي كوبيليان" عمرها أربعة عشر عاماً تخلب بجمالها الألباب وتذيب العقول.

هذه الطفلة المرأة كانت إحدى نقاط القوة في شبكة شولا.. فقد تهافت عليها

الرجال كالذباب، وسجدوا لجمالها وفتنتها، أما شولا ــــ الزعيمة ــــ فآثرت ألا تمنح جسدها إلا لكبار المسؤولين ذوي المراكز الحساسة كي تستخلص بنفسها ما تريده منهم.

ولما كثر عليها العمل، رأت الموساد أن تعضد شولا في مهمتها، فضمت اليها اليهودية "راشيل رافول" في طرابلس، وبانضمام راشيل، اتخذت شبكة شولا مساراً جديداً لم يكن في الحسبان..فالعضوة الجديدة مدربة وماهرة جداً.. ولها خبرة طويلة بأعمال الدعارة في لبنان.

وبالتعاون مع "إدوارد هيس" ضابط الارتباط الإسرائيلي في بيروت، أمكن القيام بعدة عمليات جريئة لتهريب أموال اليهود اللبنانيين المهاجرين لإسرائيل، بوسيلة "إشهار الإفلاس"، التي سهلت عملية "إميل نتشوتو" التاجر اللبناني اليهودي، الذي هرب لإسرائيل بعدما سرق ملايين الليرات من البنوك والتجار. وكذا عملية "إبراهيم مزراحي" التاجر الطرابلسي الشهير الذي هرب أيضاً بالملايين إلى اليونان، ثم لإسرائيل، بينما انخرطت زوجته "ليلى مزراحي" في خدمة الشبكة.. لتسهيل عمليات تهريب أخرى بما لها من علاقات بزوجات أثرياء اليهود.

وبتهريب يهود لبنان بأموالهم المسروقة إلى إسرائيل..أضير الاقتصاد اللبناني ضرراً بالغاً، واضطرت بعض المصارف إلى الاستغناء عن خدمات بعض موظفيها المتورطين، وكادت العملية كلها أن تنكشف لو لم يكن هناك مسؤولون كبار أمكن السيطرة عليهم من قبل.. استطاعوا في الوقت المناسب عمل تغطية للفضيحة وإخمادها إلى حين.

جنت شولا كوهين ثمار عملها، واستشعرت قيمة مهمتها في بيروت للسيطرة على الكبار بالجنس، ذلك لأن محمود عوض أول الخاضعين لها لم يتوان عن التستر على نشاطها، ومساعدتها بما يملك من سلطات في نهب اقتصاد بلده.

هكذا دفع النجاح شولا كوهين لتطور من أسلوب عملها، وتنتهج مسلكاً أكثر فعالية في العمل.

بعدما اتسع نطاق شبكة الجاسوسية، وبالتالي تعددت مصادر التقارير والأسرار، كانت شولا تعاني من صعوبة نقل المعلومات المتدفقة عليها إلى إسرائيل، ورأت أن الحل يكمن في تجنيد أحد اللبنانيين قاطني الجنوب، نظراً لسهولة تسلله إلى إسرائيل بالمعلومات والتقارير، دون أن تثير تحركاته أحداً.

فكرت جدياً بهذه الحيلة، في ذات الوقت الذي سعت فيه لإيجاد مركز يجمعها بجواسيسها، وبواسطة كبار المسؤولين اللبنانيين، استأجرت عميلة الموساد إحدى الكافيتريات بشارع "الحمراء"، وحولتها إلى "بار" يزدان بالديكورات والحسناوات أطلقت عليه اسم بار "الرامبو".

ومع الخمر والليل وجدت ضالتها المنشودة في شخص ابن الجنوب الساذج -محمد سعيد العبد الله- الذي حملته ساقاه ذات مساء إلى البار.. فتسمر منبهراً باللحم الأبيض يتراقص ويتمايع، معلناً ويعلن عن مواطن الإثارة في صراحة.. وثقلت عليه رغباته المكبوتة فتاه عقله، وأحكمت شولا سيطرتها عليه بعدما تأكد لديها أنه سقط لآخره في براثنها.

وفي ليلة حمراء أريقت فيها الخمور المعتقة، وذبلت العيون وتراخت الأعصاب في وهن، فاتحته في الأمر. وكم كانت واثقة من إجابته، فإنه على استعداد لأن يفعل كل شيء في سبيل ألا يخسرها، أو يضيع لحظة واحدة من أوقات المتعة التي أدمنها. فحملته بالتقارير والمعلومات، وتسلل بها إلى الجانب الإسرائيلي.ولم يرجع اليها بأوامر الموساد الجديدة فقط، بل اصطحب معه ابن عمه "فايز العبد الله" الشاب المغامر..الذي يعرف الدروب الجبلية ومواطن الضعف الأمني بمناطق الحدود الجنوبية.

وعلى انفراد، أخبر شولا بأن ابن عمه مستعد هو الآخر للانضمام إلى شبكة الجاسوسية مقابل المال. فلم تمنحه شولا المال وحده، بل وهبته أجمل فتياتها اللاتي ضيعن لبه، وسحرنه بما لم يألفه من متع النشوة، ليدور في النهاية كسابقيه في فلك الخيانة والتردي.

وأخيراً جاء لها سعيد بابن العم الثالث "نصرت العبد الله" طائعاً مختاراً هو الآخر، وكأنما عائلة العبد الله قد جبلت كلها على الخيانة واعتادتها..

وبذلك أمكن لشولا أن تنقل ملفات تقاريرها أولاً بأول عبر هؤلاء الثلاثة إلى قادتها في إسرائيل دونما صعوبة.. أو تشكك من الجهات الأمنية اللبنانية..

بذلك.. تحول ملهى الرامبو إلى مركز لاصطياد الجواسيس وملتقى لهم في ذات الوقت، وأيضاً، ليعاين كبار الموظفين اللبنانيين الفتيات المثيرات المختارات فتتضاعف خدماتهم لشبكة شولا .في وقت لم تكن ظروف الأمن في لبنان مهيأة لتتبع النشاط التجسسي الإسرائيلي في بيروت، بسبب انشغال الميليشيات الطائفية بتسليح نفسها، على حساب قوة الجيش والأمن الداخلي.

لقد انقلبت المفاهيم العسكرية في لبنان حتى أن قوى الأمن الداخلي كانت في حالة صراع لا يتوقف مع الجيش. ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تبودلت الأدوار أيضاً وتسلمت قوى الجيش حراسة بعض المرافق العامة بدلاً من قوى الأمن الداخلي، واستعمل الجيش كنقاط أمنية منفردة بعيداً عن ملاحقة الميليشيات العسكرية، التي كانت تستولي على آليات الجيش ومدرعاته وأسلحته !! وبسيطرة العقلية العائلية على نظام إدارة الحكم والدولة، كان هناك استرخاء أمني أدى إلى تغلغل الجواسيس وانتشارهم في ربوع لبنان، حيث لا يوجد جهاز مخابراتي نشط يتعقب الجاسوسية المضادة.. أو يعمل على وقف سيلان المعلومات الحيوية عن الدولة إلى العدو المتربص في أقصى الجنوب.

تغافل محمود عوض، المسؤول اللبناني الكبير عما تقوم به شولا في لبنان.مكتفياً بالليالي الملتهبة بين أحضان الحسان، ولما أدرك قيمة الخدمات التي يؤديها مقابل الجنس، صارح شولا بأنه الخاسر بلا شك.وطالبها بمقابل مادي حيث أن هدفه الأسمى في الحياة هو المال والثراء.

انزعجت شولا لطلبه الجديد فهو ثري في الأصل، وما كان يطلب منها سوى فتيات صغيرات جميلات يعدن إليه شبابه.

وبرغم سيطرتها عليه بوسائل عدة، منها تصويره في أوضاع شائنة مع أكثر من تسع فتيات، إلا أنها نفت فكرة تهديده، ذلك لأنه يعرف جيداً كل المتعاملين معها من ذوي المراكز، وكتبت بذلك إلى رؤسائها فوافقوا على رأيها. فأغدقت

عليه الأموال مقابل تقاريره عن موظفي الدولة والدوائر الرسمية، التي كان يحملها العبد الله إلى الإسرائيليين عبر الحدود في أوقات معينة متفق عليها.

وفي مايو ١٩٥٨، وصل إلى بيروت ضابط سوري مسؤول، اجتمع من فوره بأحد ضباط الأمن اللبنانيين، وأبلغه بنشاطات شولا كوهين المشبوهة.. وإحاطتها بأسرار غاية في السرية عن الجيش اللبناني والسوري معاً.. تجلبها من خلال شخصيات على مستوى المسؤولية في البلدين على علاقة بها.

كانت خيبة أمل الضابط السوري كبيرة، عندما أخبره زميله اللبناني بأن شولا بعيدة عن الشبهات. وتم حفظ محضر الاجتماع في الأدراج برغم تأكيدات السوريين.

وفي بداية عام ١٩٦١ وقع محضر الاجتماع تحت يد ضابط لبناني شهم اسمه "عزيز الأحدب" فقرأ ما تحويه السطور.. وبدأ في جمع المعلومات في سرية تامة عن شولا.. وفوجئ بعد عدة أشهر من المراقبات والتحريات بأن الفتاة تدير أكبر شبكة جاسوسية إسرائيلية في لبنان.. امتدت نشاطاتها لتشمل كل مناحي الحياة المدنية والعسكرية، ليس ذلك فحسب، بل تجمعت لديه أدلة كافية، بأنها وراء عمليات تهريب اليهود اللبنانيين إلى إسرائيل، بواسطة "آل العبد الله" الذين يجيدون استخدام الدروب الوعرة في الجنوب.

هكذا، وبعد تسع سنوات من التجسس، ألقى عزيز الأحدب القبض على شولا كوهين في أغسطس ١٩٦١، واعترفت في الحال على شركائها، واثقة من أن نجدة ستجيئها حالاً من إسرائيل.

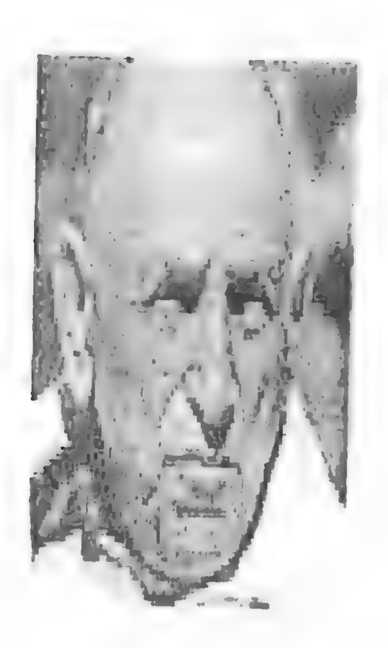
وأمام القضاء العسكري اللبناني تكشفت حقائق مذهلة، عن تورط شخصيات عديدة مسؤولة، في إمدادها بأدق الأسرار والتقارير التي تمس لبنان وكيانه.

أصدرت المحكمة في ٢٥ يوليو ١٩٦٢ حكماً بالسجن مدة عشرين عاماً على شولا كوهين، التي أطلق عليها اليهود لقب "الزعيمة" و ١٥ عاماً على زميلتها راشيل رافول.

أما محمود عوض فقد قضى نحبه في سجن الرملة في يونيو ١٩٦٢ إثر نوبة قلبية فاجأته قبل الحكم عليه، فلقي جزاء ربه وحكمه العادل.

لكن المثير للدهشة حقاً، أن يصدر حكماً بسجن آل العبدالله الثلاثة عشرين شهراً فقط لكل منهم.. إلى جانب أحكام أخرى بالسجن تقل عن عام على مسؤولين لبنانيين ضالعين في الجاسوسية، فقد كانت القوانين الجنائية المتساهلة التي يعمل بها في لبنان تلك الفترة سبباً رئيسياً من أسباب تحول بيروت إلى أشهر عاصمة عربية يأمن فيها الجواسيس على رقابهم، وساحة تباع فيها الأسرار القومية بأجساد النساء وتشترى..!!

نورما عساف..صائدة الجواسيس



إيسار هاريل مدير الموساد ١٩٣٥.١٩٦٣

نورما عساف..صائدة الجواسيس

كانت تتمتع بجمال أخاذ، وأنوثة لاتقاوم، وجاذبية لا تقل مهما تقدمت في العمر.. إنها صائدة الجواسيس.. نورما عساف..

هي يهودية لبنانية الأصل، ولدت في العام ١٩٢٨، وفي عامها التاسع عشر تزوجت بعد قصة حب ساخنة اشتهرت في محيطها، وبعد فترة قصيرة جاءها النبأ المفجع، فقد قتل الفلسطينيون زوجها عندما ضبطوه يتجسس على مواقعهم بالقرب من قلعة شقيف، كانت حاملا في شهرها الثاني فسقطت مغشياً عليها، وسقط الجنين، وضاعت فرحتها منذ تلك اللحظة.

ولمدة طويلة انغلقت على نفسها وتعثرت دراسياً بالجامعة الأمريكية ببيروت، إلى أن تماسكت شيئاً فشيئاً، فامتثلت للحقيقة وأكملت دراستها في الفلسفة وعلم الاجتماع، لكنها كانت في كل لحظة تضعف فيها عند هجوم الذكريات، تزداد يقيناً بأنها لم تنس الحبيب والزوج القتيل.

وفي عام ١٩٥٧، قرر أبوها الهجرة إلى الولايات المتحدة، فرافقته هي وأختها ليز، وفي المهجر عاشت نورما بمدينة "شارلستون"، وافتتح أبوها مطعماً بالقرب من الميناء يقدم الأطعمة الشرقية للبحارة العابرين. وفي منتصف ١٩٥٨ وفد إلى المدينة زائر تبدلت مع مقدمه حياة نورما تماماً، إنه "روبي" ابن عم زوجها، الذي أنبأها بأنه هاجر إلى إسرائيل، وقد جاء إلى أمريكا ليتدرب في أحد المصانع، واندهش الشاب أمام تعلق نورما بحياتها في الماضي وعدم رغبتها في الخروج منها، وحاول معها كثيراً لكنه فشل..

وفي زيارته التالية لم يجئ وحده، بل كان بصحبته مراسل صحفي إسرائيلي، عرض عليها للخروج من أزمتها أن تسعى للانتقام من قتلة زوجها، وأن تطاردهم أينما كانوا.

جذبها حديثه وحرك فيها كوامن الثأر التي كم راودتها لكنها عجزت عن إيجاد الوسيلة لذلك. ولما سألته كيف تنتقم وتثأر ؟ أجابها بأن هناك وسائل شتى للانتقام وإراحة أعصابها، ووعدها بأن يجيئها بالشخص الذي يعاونها.

وبعد أيام قلائل، كانت تنصت باهتمام شديد لرجل لبق أنيق، استغل معاناتها جيداً وضغط بقوة على براكين آلامها ففجرها، إنه "أبراهام مردوخ" ضابط المخابرات الإسرائيلي..

لقاء واحد بينهما أشعل ابراهام بداخلها ثورة من جنون الغضب، والحقد الأسود والكراهية للفلسطينيين، ولم تنتظره ليعرض عليها العمل مع الموساد.. بل هي التي عرضت نفسها، وطلبت ذلك بإصرار..

انتهى اللقاء بينهما.. وكان عليها أن تنتظر بضعة ايام ليجيئها الأمر بالسفر إلى تل أبيب. وقد حدث، وطارت تسعمائة كيلو متراً إلى نيويورك حيث التقت بمردوخ، الذي شرح لها خطواتها القادمة، وأطلعها على ما يجب أن تفعله في روما.

في روما كان ينتظرها شخص ما تسلم منها وثيقتها اللبنانية وسلمها وثيقة أخرى باسم "كارلا ستيفانو"، وظل يتابعها من بعيد حتى وهي تصعد سلم الطائرة الإسرائيلية المتجهة إلى مطار اللد.

كانت تشعر بسعادة غامرة وقد أدركت أن هناك تغيرات جديدة اقتحمت حياتها. يحفها إحساس بالنشوة وهي مقبلة على الانتقام لزوجها..

كان الاستقبال حافلاً وحاراً كطقس سبتمبر ١٩٥٨، وأخبرها مرافقها أنها ستقيم بفيلا رائعة على شاطئ البحر في "نتانيا"، وأنها بعد الغد ستكون ضيفة شرف على مائدة أيسير هاريل الرئيس الأعلى للمخابرات الإسرائيلية، في احتفال يقام بمناسبة مرور ستة أعوام على رئاسته للمخابرات.

انبهرت نورما بهاريل عندما قام لاستقبالها، منحنياً أمامها في احترام وهو يقبل يدها ويدعوها إلى مائدته.. وسرت ببدنها رجفة زهو سيطرت عليها بصعوبة.

التفت ناحيتها وقال لها بود:

لتغفري لي سيدتي أنني لم أكن في شرف استقبالك بالمطار. إنني لفخور جداً أن تنضم سيدة رائعة مثلك إلى أسرتنا في الموساد.

ازدادت ارتباكاً لرقة حديثه وذوقه في انتقاء كلمات الإطراء، وتمتمت ببضع كلمات خجلى بدت غير واضحة، فأخرجها من خلجها عندما وقف قائلاً:

اسمحي لي مسز نورما أن أقدمك إلى كبار رجال الدولة في إسرائيل. مشت إلى جواره ثم تأخر عنها خطوة وهو يقدمها لأكبر ضيوفه: بن جوريون رئيس الوزراء الذي قبل يدها وهنأها على سلامة الوصول. ثم قدمها لجولدا مائير وزيرة الخارجية، ولشمعون بيريز وموشي ديان، ولشخصيات هامة أخرى منهم إسحاق يزير نيتسكي، ويهو شافاط هاركابي، ومائير ياري زعيم المابام. والجنرال آموز مانور، والجنرال مائير ياميت، وليلى كاستيل، والياهو ساسون، وبنيامين بلومبيرج، وغيرهم من مؤسسي إسرائيل وكبار رجالاتها.

أحست نورما عساف بأهميتها رغم ضآلتها، وأسلمت قيادها لفريق من أكفأ رجال الموساد قاموا على تدريبها وتلقينها فنون التجسس، وطرق اصطياد الخونة وأساليب السيطرة عليهم.

أربعة أشهر كاملة في نتانيا أُخضعت أثناءها لدورات مكثفة في التمويه والتخفي، واستعمال المسدس، واستخدام جهاز اللاسلكي في البث بشفرة معقدة، تستند إلى حروف من كلمات رواية "الأرض" للأديبة العالمية "بيرل بك"، وأطلعوها أيضاً على ملف كبير يحوي أعمال زوجها القتيل في خدمة إسرائيل.

هكذا شحذوا همتها وأشعروها بأهمية دورها في لبنان، وذلك للحد من العمليات الفدائية المتكررة التي تجيء عبر الحدود مع إسرائيل.

وفي ٢٣ يناير ١٩٥٩ غادرت نورما تل أبيب إلى روما، وكان في استقبالها الشخص نفسه الذي قابلها عند مجيئها من نيويورك، فتسلمت منه وثيقة سفرها اللبنانية وطارت إلى بيروت. عشر سنوات في لبنان تطارد الفلسطينيين وتنقب عن ضعاف النفوس بين سكان الجنوب، تساعدها في مهامها فتيات ذوات حسن وجمال أخاذ، ينتشرن في كل أرجاء لبنان، منتدياتها، وكباريهاتها، وشواطئها، وفنادقها. البعض منهن يهوديات يعرفن حقيقة نورما عساف، والأخريات إما مارونيات أو أرمينيات يجهلن شخصيتها، ينقدن لرغباتها أمام سطوة المال

وسحره، ويجتهدن في اصطياد الجنوبيين في بيروت، والفلسطينيين البائسين أيضاً..

عشر سنوات وشبكة نورما تبحث عن الخونة الذين يسهل إخضاعهم بالجنس والمال، حتى جاء عام ١٩٦٩ وفي النصف الثاني منه بالأخص، حين اشتدت ضربات المقاومة الفلسطينية ضد إسرائيل.. ووجد المستوطنون اليهود في المستعمرات الشمالية.. أنهم صاروا هدفاً لضربات ناجحة بدلت أمنهم إلى رعب دائم.. وحدث أن تسلل أربعة شباب من الفدائيين بأسلحتهم وذخيرتهم.. وتمكنوا من الوصول لمستعمرة "زرعيت" في الجليل الفلسطيني المحتل.. على بعد عشرين كيلو متراً من الشاطئ.. وقاموا بعملية فدائية خارقة للغاية قتل فيها أحد عشر صهيونياً، وأصيب العشرات منهم، واختفى الأبطال بعيداً عن المنطقة التي حوصرت.. مجتازين جميع نقاط التفتيش الصارمة في كل مكان.

هذا الحادث هلل له الفلسطينيون واحتفلوا بأبطاله.. بينما كان العكس في إسرائيل، إذ أقيل عدد من الضباط وأخضع آخرون للتحقيق والمجازاة.. واستدعى الأمر حدوث تغييرات فورية في الخطط الأمنية حول المستعمرات.. والنظر في تنشيط وفاعلية شبكات الموساد في لبنان.

من أجل ذلك أوصى تقرير خطير لخبرات الموساد.. بضرورة العمل على تجنيد أكبر عدد ممكن من سكان الجنوب اللبناني.. ليكونوا عيوناً لإسرائيل ترصد تحركات المقاومة في مهدها أولاً بأول.. وتخصيص ميزانية خاصة للنشاط الاستخباري في لبنان ودعمه بأكفأ الرجال والتقنيات الحديثة.

أحد الذين طالتهم يد التغيير نورما عساف، حيث جرى سحبها إلى إسرائيل واستبدلت بضابط ماكر خبير بشؤون لبنان وبشبكاتهم بها..

ألكسندرا ميلين.. السويسرية الحسناء



طائرة الميراج الفرنسية

ألكسندرا ميلين.. السويسرية الحسناء

في الفترة التالية للعدوان الإسرائيلي على مصر وسوريا والأردن سنة ١٩٦٧ . كانت العلاقات الفرنسية - الإسرائيلية في أدنى مستوياتها على الإطلاق. تمثل ذلك في الحظر الذي فرضه الرئيس الفرنسي، شارل ديجول، على إمداد إسرائيل بالأسلحة والمعدات العسكرية الفرنسية، ثم امتد الحظر في عهد خلفه الرئيس بومبيدو ليشمل أيضا الطائرات الحربية الميراج ٣، وهو الأمر الذى دفع بإسرائيل إلى اتخاذ قرار بضرورة الحصول على الصور الفنية لتصميمات المحركات النفاثة للميراج ٣، والأجزاء المكونة له، ولما كانت سويسرا من الدول المرخص لها بتصنيع هذا الطراز من الطائرات عن طريق شركة سولزر السويسرية، وكانت المخازن السويسرية تحوي مكونات حوالي خمسين طائرة من الطائرات الميراج ٣ لم يتم تجميعها، فقد حاولت إسرائيل مع الحكومة السويسرية الحصول على هذا العدد من الطائرات، ولكن الحكومة السويسرية رفضت الطلب الإسرائيلي، ومن هنا كان القرار الإسرائيلي بضرورة اللجوء إلى الطرق الاحتيالية للحصول على تصميمات المحركات من مخازن سويسرا..

وكان لابد لجهاز الاستخبارات الإسرائيلى أن يقوم بعملية غربلة للوقوف على شخصية واحد من الذين يعملون بالمصانع السويسرية، يمكنهم من خلاله الاستيلاء على تصميمات الطائرة الميراج٣ مقابل المال أو الجنس أو الاثنين معا..

وكانت البداية فى ديسمبر من العام ١٩٦٧، اذ دعت وزارة الدفاع الفرنسية لمؤتمر يعقد بباريس، يحضره ممثلون عن الدول الحاصلة على ترخيص أو تصريح بتصنيع الطائرة الميراج ٣الفرنسية..

كان ممثل الشركة الفرنسية فى سويسرا هو المهندس الفريد فرانكشيت، وكان ممثل الملحق العسكرى الإسرائيلى فى باريس هو دون سيون، باعتبار أن إسرائيل كان يسند اليها تصنيع أجزاء قليلة جدا من مكونات الطائرة الميراج ٣ الفرنسية، كقطع غيار، ومن خلال الاجتماع تمكن دون سيون من بدء علاقة مع

المهندس فرانكشيت، والتى استطاع سيون استغلالها الاستغلال الأمثل فى عملية استقطاب ثم استغراق لمكونات شخصية المهندس فرانكشيت، ودراسة نفسيته دراسة متأنية متعمقة للوصول إلى نقاط الضعف والقوة فيها..

فعبر اللقاءات المتعددة بين سيون وفرانكشيت كانت العلاقة تنمو وتنمو دون الدخول بالمرة إلى الأحاديث فى الشئون السياسية، بل دون التطرق البتة إلى شئون التسليح العسكرى وما شابه، بل كان كل الكلام يجرى على ضفاف الحياة الانسانية بصورة عامة، وبصورة ودية حميمة تتناول الحديث عن الذكريات من هنا وهناك، وعن الهوايات التى ربما تكون مشتركة لدى المتحادثين، وعن التربية والأولاد، ومشاكل الحياة والعمل..الخ

وفي واحد من لقاءاتهما، عرف سيون قصة فرانكشيت مع ألكسندرا ميلين عشيقته الشابة السويسرية التى تصغره بربع قرن من الزمان..!!

وبذكر المهندس فرانكشيت اسم عشيقته ألكسندرا ميلين فقد أهدى سيون ممثل الملحق العسكرى الإسرائيلى بباريس ما كان يبحث عنه جهاز الموساد. كفريسة وعلى طبق من فضة كما يقولون، ففرانكشيت الذي كان فى بدايات العقد الخامس من عمره، وله زوجة وثلاثة من الأبناء، كانت له علاقة مع فتاة فى عمر أولاده تقريبا..

تلك هى ألكسندرا ميلين الفتاة الحسناء بشدة ، والفقيرة المعدمة بصورة أشد، اشتراها فرانكشيت جسدا لاشباع نزواته مقابل الهدايا الثمينة والملابس الباريسية الباهظة الثمن..!!

كل ذلك لاحتواء مشاعرها ومن قبل ذلك عقلها، أما هى فتحت وطأة الحرمان فقد منحته ما كان يصبو اليه فيها، وتحت زعم أنها تبادله الحب..!!

وبعقلية رجل المخابرات المحترف، رأى سيون أن مشكلة إسرائيل فى صدد سرقة تصميمات الميراج، قد بدأت تحل أو فى سبيلها إلى الحل، ولكن كيف للمخابرات الإسرائيلية الوصول إلى ألكسندرا ميلين حتى يمكن من خلالها امتلاك التأثير المطلق على المهندس فرانكشيت لخوض المهمة معهم دون تبرم ودون تخوف، ودون أن يصدر منه رفض لذلك.

وبعد جهد تحسد عليه الموساد، ومشقة وتقطع أنفاس، أمكن الوصول إلى ألكسندرا ميلين، تلك المخلوقة التى لا يبخل عليها فرانكشيت بماله بل وروحه، ومستقبله الوظيفى، واستقراره الأسرى..

تم الالتقاء بألكسندرا، وتم الوقوف على تعاطفها مع اليهود، بل وتأييدها لهم فى بناء دولة لهم بفلسطين، إلى جانب الاحساس بعدم شعورها بانتماء حقيقى لسويسرا، تحت زعم عدم تمكنها من الحصول على وظيفة بها بدرجة سكرتيرة رغم حسنها الفتان..

وكان سهلا مع جهاز كالموساد الإسرائيلى له باع طويل بالثقافة الجنسية مع عملائه، أن يتعامل مع شخصية كشخصية ألكسندرا، شخصية الفتاة اللعوب الشرهة لمتع الحياة، والتي باعت جسدها لفرانكشيت من أجل تلك المتع، وقد سهلت ألكسندرا المهمة على الموساد وهو يستدرج فرانكشيت إلى براثنه، واختصرت أميالا له كانت ستحتاج إلى أيام وربما شهور للاعداد لاستقطابه..

لا أحد يعلم تماما: كيف، ومتى، وصلت الاستخبارات الإسرائيلية إلى مكان ألكسندرا ميلين هذه ؟ ولكن المؤكد هو ميلها الشديد لليهود، للدرجة التى قيل إنها ذهبت فى إحدى المرات وحدها تستجدى وتعرض خدماتها على الموساد، ليسرعوا من اعداد خطتهم لاصطياد فرانكشيت، وماعليها الا أن تصل إلى الحد الأقصى باقناعه للعمل معهم!!

وكانت الخطوة الثانية نزهة للعاشقين وصديقهما سيون على نفقة الموساد، وفى سان موريتز نزل الثلاثة: ألكسندرا ميلين، وسيون، وفرانكشيت..

نزل سيون في إحدى الغرف المطلة على الطبيعة الخلابة، ونزل فرانكشيت وألكسندرا بغرفة مع بعضهما تحت اسمين مستعارين، يتقلبان على أسرة العشق الملتهبة، وفى لحظاتها تبخر عقل العاشق العجوز الولهان وطار صوابه، ونسي وطنه وواجبه وكل شيء في العالم.. فلم يفاجأ سيون بفرانكشيت، يتقول بما تتقول به معشوقته ألكسندرا ميلين، ويعلن ودون سابق ترتيب أنه مع اليهود قلبا وقالبا، رغم مسيحيته..!!

وبالتدريج، وعندما قال فرانكشيت لسيون إنه على أتم الاستعداد أن يأتى بما من شأنه ما يؤيد تعاطفه مع اليهود، كان سيون بالمرصاد، وبطريقة موسادية صرفة ومكررة، أكد أن إسرائيل بين فكي الكماشة العربية التى لا ترحم، فهى بالفعل دائما فى حاجة إلى أن تكون يقظة بين جيرانها الأعداء هؤلاء، وأن إسرائيل بحاجة بالفعل إلى الحصول على تصميمات الطائرة الفرنسية الميراج ٣، لمواجهة الطائرة السوفيتية الجبارة الميج ٢٢ التى يمتلكها العرب..

وقد عرض سيون على فرانكشيت مبلغ مائتى ألف دولار مقابلا للمجموعة الكاملة من التصميمات .. كان المبلغ المرصود لفرانكشيت هو مليون دولار لاتمام العملية، ولكن فوجئ سيون بموافقة فرانكشيت السريعة على خمس المبلغ مائتى ألف دولار...!!وكأنه كان ينتظر العرض فى هذه الحدود..

وهكذا لعبت ألكسندرا ميلين الجميلة دورا محوريا فى انجاز المهمة الموكولة اليها، فقد هيأت فرانكشيت نفسيا وعقليا للموافقة على العرض دون تردد منه، فوافق على الفور، وحصل الموساد على تصميمات الطائرة..

سيلفيا رافائيل.. أفعى الموساد الناعمة

ميناء لارنكا

سيلفيا رافائيل.. أفعى الموساد الناعمة

في قبرص كانت نهايتها، ونهاية تاريخها الحافل مع المخابرات الإسرائيلية.. وكانت النهاية على النحو التالي:

فجر يوم ٢٥ سبتمبر ١٩٨٥ اقتحم ثلاث مسلحين اليخت (فيرست) في ميناء لارنكا القبرصي، حيث قتلوا امرأة واحتجزوا رجلين رهينتين، مطالبين بالإفراج عن ٢٠ معتقلاً فلسطينياً في السجون الإسرائيلية. وقد انتهت هذه العملية باستسلام الفدائيين الثلاثة، ومن بينهم أيان ديفيسون البريطاني ، بعد مقتل الإسرائيليين الثلاثة، الذين كانوا أعضاء في جهاز المخابرات الإسرائيلية ، وكانت بينهم امرأة نادونها على اليخت باسم "إستر بولزار "، وسرعان ما تكشف أن هؤلاء الإسرائيليين الثلاثة يشكلون وحدة تجسسية تقودها المرأة، التي مثل مصرعها خسارة كبرى للمخابرات الإسرائيلية، فقد كانت من ألمع النساء اللاتي عملن في الموساد.. كانت القتيلة هي سيلفيا روفائيل..

أحدث مقتل سيلفيا رافائيل صدمة عنيفة لدى " الموساد " وأوساط المخابرات الإسرائيلية التي كانت تعتبرها نادرة في حقلها..تلك الجاسوسة التي ولدت عام ١٩٣٨، في جنوب إفريقيا من أب يهودي وأم غير يهودية ، وهاجرت إلى فلسطين المحتلة في شبابها، حيث التحقت بالمخابرات الإسرائيلية، وفى السبعينيات انتحلت شخصية مصورة صحفية تحت اسم " باتريشيا روكسبرج "، وكانت مهمتها رصد الأحداث في الشرق الأوسط.

ومن خلال شخصيتها الجذابة وعملها المثابر استطاعت أن تنشئ اتصالات مع شخصيات سياسية مسؤولة . وكانت مهمتها إعطاء إسرائيل معلومات تساعد في تصعيد المشاعر ضد الفلسطينيين . وفى يوليو ١٩٧٣، ظهرت سيلفيا في النرويج حيث التقت بمجموعة من عملاء الموساد وكانت مهمتها ملاحقة أبو حسن سلامة. ولكن التباساً حصل بين شخصين أدى إلى أن يقتل الموساد نادلاً مغربياً يدعى محمد بوشيكي، ظاناً أنه أبو حسن سلامة، الذي كان يلقب في الموساد بـ" الأمير الأحمر ".

وعلى أثر هذا الحادث قبضت السلطات النرويجية على رافائيل وخمسة آخرين بتهمة القتل. وقال القاضي حينئذ إن الجريمة كانت جزءاً من عملية للمخابرات الإسرائيلية، وحكم عليها بالسجن خمس سنوات، لم تمض سوى ١٩ شهراً حتى أخلى سبيلها بدعوى ظروفها الصحية، لتتزوج المحامي النرويجي الذي تولى الدفاع عنها في تلك القضية، ولتظهر بعد ذلك في باريس حيث جهزت شقة بمثابة مخبأ أمين لعملاء " الموساد " ثم اختفت بعدها عن الأنظار..

وفى عام ١٩٧٩ تم اغتيال أبو حسن سلامة بتفجير سيارته لاسلكياً في بيروت، وتحدثت التحقيقات حينئذ عن اختفاء سيدة إنجليزية هادئة، كانت في الشقة المجاورة لمكان التفجير.

وفي قبرص حين تم اصطيادها، كانت مهمة سيلفيا رصد تحركات الفلسطينيين، عبر عميل للشبكة يدعى مصطفى صبرا، لقي حتفه عندما قررت " القوات ١٧ " تصفية هذه الشبكة. وقبل هذه العملية بشهور، قامت الزوارق الحربية الإسرائيلية باعتراض العديد من السفن التجارية التي كانت تقل مجموعات فلسطينية متوجهة من قبرص إلى لبنان،وكانت مهمة صبرا استدراج الفلسطينيين إلى سفن معينة ومعروفة، تلك التي يستخدمونها للعودة إلى لبنان، واعلام إسرائيل عنها، مما أدى إلى اعتقال العديد من المقاتلين والكوادر الفلسطينية من خلال اعتراض السفن اللبنانية والقبرصية.

أما سلفيا، فكانت مطلوبة لدى المخابرات الفلسطينية نظراً للجرائم العديدة التى ارتكبتها ، ولعل أهمها جمع المعلومات، وتسهيل دخول فريق اغتيال من الموساد إلى بيروت، لتفخيخ السيارة التي تم بواسطتها اغتيال أبو حسن سلامة، قائد (القوات ١٧) في ٢٢ يناير ١٩٧٩..

هناك رواية أخرى منشورة في مواقع إلكترونية إسرائيلية، مثل موقع المكتبة اليهودية المرئية (ييي طزيضرنصرىضرمهوخععضدمخمّ قمش)، تقول إن سيليفا بعد خروجها من سجنها في النرويج، وزواجها، عادت مع زوجها لجنوب إفريقيا، وبقيت هناك حتى توفيت في العام ٢٠٠٥، بعد إصابتها باللوكيميا (سرطان الدم)، ودفنت في إسرائيل..

كارين لينستاد.. صديقة الفلسطينيين التي كانت وراء اغتيال (أبو جهاد)



كارين وغلاف الكتاب الذي فضح عمالتها..

كارين لينستاد..صديقة الفلسطينيين التي كانت وراء اغتيال (أبو جهاد)

في كتابه الصادر العام الماضي (٢٠٠٨)، والذي حمل عنوان " في الحرب والدبلوماسية" كشف الصحفي النرويجي أود كارستن تافيت، حقيقة واحدة من النرويجيات اللاتي أظهرن تعاطفهن مع الفلسطينيين، وتظاهرن بدعم القضية الفلسطينية، وهي في الحقيقة عميلة للموساد، قامت بدور خطير في اغتيال القائد الفلسطيني خليل الوزير، المعروف بـ "(أبو جهاد) "..

كانت كارين موجودة في لبنان تختلط بالفلسطينيين، باعتبارها ناشطة نرويجية متعاطفة مع القضية الفلسطينية، ويبدو أن ذلك كان بتوجيه من المخابرات النرويجية، فحين توجهت كارين للسفارة الإسرائيلية في أوسلو عام ١٩٨١ ، وطلبت العمل لحسابهم في لبنان، ووسط رجال المقاومة الفلسطينية، تشككت السفارة الإسرائيلية في البداية ، خشية أن تكون مدفوعة من الفلسطينيين للعب هذا الدور، ثم قبلوها في النهاية بعد استشارة المخابرات النرويجية التي قامت بتزكية كارين، وأشادت بعلاقاتها بالقيادات الفلسطينية والنشطاء النرويجيين المدافعين عن حقوق الفلسطينيين..

وقد أكد تافيت في تصريحات لاحقة على صدور كتابه، أن كارين كانت عميلة مزدوجة، وأن الجهة الأخرى التي كانت تعمل لصالحها هي الاستخبارات النرويجية، وأشار إلى أن الضابط المتقاعد في الاستخبارات النرويجية إيفير سوجين أكد له في مقابلة نشرها بالكتاب، أن الهدف من تعاون كارين وزوجها معهم، كان مراقبة تحركات الفلسطينيين والنشطاء النرويجيين لإحباط وتجنب وقوع عمليات اغتيال في النرويج.

وأكد تافيت أن كارين سافرت إلى إسرائيل بجواز إسرائيلي، وتدربت هناك منذ عام ١٩٨١م، ثم عادت إلى أوسلو، وسافرت من هناك إلى مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في لبنان مع فريق نرويجي متطوع لمساعدة الفلسطينيين، وهناك زودت الموساد بمواقع القيادات الفلسطينية وتحركاتها، وكانت مكلفة بمراقبة تحركات (أبو جهاد) بصورة خاصة.

في الوقت الذي صدر فيه كتاب تافيت . وهو صحفي نرويجي يعمل حاليا مراسلا للتلفزيون الرسمي النرويجي فمظ في الشرق الأوسط، وسبق له تغطية العدوان الإسرائيلي على لبنان ١٩٨٢ كمراسل للتلفزيون والإذاعة النرويجية . كانت الشكوك قد دفعت عددا من الصحفيين لمتابعة القضية، وكشف حقيقة كارين، وتمكنت وكالة الأنباء النرويجية من الحصول على بعض المعلومات من أحد الدبلوماسيين النرويجيين الذين عملوا في بيروت إبان فترة اغتيال (أبو جهاد). فقد صرح الدبلوماسي النرويجي السامي (هانز ويلهالم لونجفا) للوكالة أنه كان على علم بأن كارين لينستاد كانت عميلة للموساد الإسرائيلي، وهذا الأمر لم يكن خافيا على مخابرات بلاده التي كانت تعرف هويتها وحدود أنشطتها على حد تعبيره.وذكر لونجفا أن علاقة جيدة جمعته بـ (أبو جهاد)، مضيفا أنه لم يسبق له أن رأى لينستاد في بيت (أبو جهاد)، لكنه أكد أنه كان من السهولة على كل النرويجيين الذين كانوا في بيروت، ويظهرون دعمهم للفلسطينيين، الوصول للقيادة الفلسطينية.

وقال لونجفا . الذي يعمل حاليا سفيرا لملكة النرويج في أنقرة . إنه تعرف على لينستاد عندما كان يزاول نشاطه الدبلوماسي في بيروت بين عامي ١٩٧٨ و١٩٧٩، وهو لا يعلم على وجه الدقة إن كانت هناك علاقة بينها و(أبو جهاد) قائد القوات العامة في فتح آنذاك.وأضاف أنه عندما قامت انتصار الوزير زوجة (أبو جهاد) بزيارة إلى النرويج عام ١٩٨٠ بدعوة من لجنة فلسطين، حلت ضيفة على لينستاد، وهو ما يعني توثق العلاقة بين الأسرتين..

وعن حدود العلاقة التي تجمعه مع لينستاد، قال لونجفا إنه لم تجمعه علاقة وطيدة معها، وإنه لم يلتق بها إلا في مناسبات تزامنت بعضها مع الفترة التي استطاعت فيها النرويج أن تُفشل التخطيط لعملية اغتيال مضادة استهدفت العميلة السابقة للموساد سيلفيا رافائيل وزوجها النرويجي أنوس شودت، انتقاما لمساهمتها في اغتيال عدد من القيادات الفلسطينية.وقد رفض السفير لونجفا التعليق على من ساعد الموساد في كشف هذه الخطة التي حاول القيام بها الجانب الفلسطيني..

ويؤكد تافيت في كتابه أن كارين قدمت للموساد معلومات مهمة عن تحركات)أبو جهاد) قد تكون ساعدت في عملية اغتياله. وبعد بضع سنوات تمكنت مجموعة من الموساد الإسرائيلي يطلق عليها 'كتيبة الموت' من اغتيال (أبو جهاد) في بيته بتونس العاصمة أمام أنظار زوجته، وعلى أثر ذلك اختفت لينستاد من الوسط الفلسطيني وتوقف نشاطها الداعم للقضية الفلسطينية، وقطعت علاقتها حتى مع أصدقائها القدامى !!

كان من الطبيعي أن تثير هذه المعلومات ضجة كبيرة، خاصة من قبل النرويجيين المتعاطفين مع القضية الفلسطينية، وجاءت الردود قوية ومستهجنة لهذا 'العمل القذر' كما وصفته الناشطة إلدبيورغ هولت لوسائل إعلام محلية وأكدت هولت أنها لا تتعاطف مع أي شخص يدلي بمعلومات للموساد عن الفلسطينيين أو عنها أو عن أي من أصدقائها الذين يعملون معها في نفس القضية. وأضافت أن كارين لينستاد لم تكن تضطلع بمهام إدارية في لجنة فلسطين، على عكس زوجها الطبيب (علي لينستاد) الذي اعتنق الإسلام أواسط الثمانينيات، وكان مسؤولا عن اللجنة لعدة سنوات. وأوضحت هولت أنه في عام ١٩٨٩ اختفت لينستاد تماما عن أي مشاركة، وقالت: 'لعلها ندمت على ما فعلت'.

كما أثارت المعلومات التي تضمنها الكتاب حالة من القلق والغضب لدى الجالية العربية والفلسطينية في النرويج، خاصة أن زوج العميلة الإسرائيلية اعترف بأنه كان يعلم بعمالتها لصالح إسرائيل، وقال إنها سألته قبل ٣٠ عاما عن رأيه في العمل مع الموساد لتتمكن من الحصول على معلومات تفيد الفلسطينيين فأيد ذلك، وأكد أن اعتراف زوجته بأنها كانت عميلة للموساد يجب ألا يساء فهمه من العرب والمسلمين، فقد خدعت الموساد وعملت لحساب الفلسطينيين، والدليل على ذلك أن الموساد هو الذي يحاول فضحها اليوم انتقاما منها لأنه كان وراء المعلومات التي تضمنها الكتاب.

وكانت وكالة الأنباء النرويجية التقت بالعميلة كارين لينستاد عند باب منزلها بعد نشر الكتاب، وسألتها عن توقعاتها بشأن ردود فعل الفلسطينيين فامتنعت عن التعليق، كما رفضت الإجابة عن عدد من الأسئلة تتعلق بنوعية علاقتها

بإسرائيل أو الجهة الأخرى التي كانت تعمل لحسابها -لم يفصح عنها الكتاب- أو الأسباب التي دفعتها للقيام بهذا الدور، ولكنها اتهمت الموساد بتسريب المعلومات، وقالت إنه يريد إيذاءها، وشككت في المعلومات التي يتضمنها الكتاب واعتبرتها افتعالا ومبالغات.

ويبقى ملف كارين مفتوحا، وتبقى أسئلة بلا إجابة: فلماذا اختفت كارين من الساحة الفلسطينية نهائيا في نهاية الثمانينيات ؟ ولماذا ينتظر الموساد عشرين عاما ليفضحها كما تقول ؟ وما هي المساعدات التي قدمتها كارين للفلسطينيين بعملها مع الموساد، كما قال زوجها..؟

أسئلة قد تحسم إجاباتها الجدل الدائر بشأن كارين وزوجها..

في أوسلو يعيش الزوجان حاليا، ورغم إسلام زوجها فلم تدخل كارين لينستاد في الإسلام وبقيت على ديانتها المسيحية، وهي تعمل حاليا على نيل درجة الماجستير في أصول التدريس وكانت قبل ذلك تعمل في روضة للأطفال، أما زوجها الدكتور علي لينستاد فكان عضوا ناشطا في لجنة فلسطين بالنرويج، ومعروف عنها أنه أحد أصدقاء الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات، وكان قد أعلن إسلامه في جنوب لبنان على يد حزب الله ، وهو يملك حاليا مدارس إسلامية ورياض أطفال للمسلمين، ويتولى مسئولية بث قناة تلفزيونية اسمها 'صوت الإسلام' في أوسلو بمدة نصف ساعة يوميا.. ومما يثير الجالية الإسلامية والعربية في النرويج أن الرجل له علاقات واسعة في أنحاء العالم الإسلامي ، ويتلقى مساعدات من دول الخليج العربي بين حين وآخر.

5

الفصل الخامس

فنانات عـربيـات اتهـمن بالتـجـسس

الفصل الخامس

فنانات عربيات اتهمن بالتجسس

□□

بجانب القصص التي ذكرناها عن الفتيات والسيدات العربيات ، اللاتي وقعن في حبال أجهزة المخابرات ، ودخلن عالمها السري الغامض ، هناك أسماء لفنانات عربيات ارتبطن بأجهزة المخابرات ، أو اتهمن بالتجسس لصالح تلك الأجهزة ، صدق الاتهام في بعض الحالات ، ولم يوجد دليل في حالات أخرى ، ومن أشهر الأسماء التي اقترنت بعالم الجاسوسية والمخابرات :

أسمهـــان

أسمهان..أميرة الجبل



هل عملت المطربة أسمهان لصالح الاستخبارات البريطانية؟

أثير الكثير من القصص والأقاويل حول تعاون المطربة أسمهان (أو آمال الطرش) ، مع الاستخبارات البريطانية ، وتقول إحداها إنه في مايو ١٩٤١ تم أول لقاء لها مع أحد السياسيين البريطانيين العاملين في منطقة الشرق الأوسط ، جرى خلاله الاتفاق على أن تساعد أسمهان بريطانيا والحلفاء في تحرير سوريا وفلسطين ولبنان من قوات فيشي الفرنسية وقوات ألمانيا النازية ، وذلك عن طريق إقناع زعماء جبل الدروز بعدم التعرض لزحف الجيوش البريطانية والفرنسية (الديجولية). وقد قامت بمهمتها خير قيام بعد أن أعادها البريطانيون إلى زوجها الأسبق الأمير حسن، فرجعت أميرة الجبل من جديد، وهي تتمتع بمال وفير أغدقه عليها الإنجليز، وبهذا المال استطاعت أن تحيا مرة أخرى حياة الترف والبذخ ، وتثبت مكانتها كسيدة لها شأنها في المجتمع ، ولم تقصر في الوقت نفسه في مد يد المساعدة لطالبيها ، وحيث تدعو الحاجة.

وفي عددها الصادر صباح الاثنين ٢٩ سبتمبر ١٩٤١، كتبت جريدة الحديث البيروتية:

(الأميرة آمال الأطرش استعانت بالله وقررت تخصيص يوم الإثنين من كل أسبوع لتوزيع الطحين على الفقراء مجانا وفي منزلها الكائن في عمارة مجدلاني في حارة سرسق). إلا أن وضعها لم يستقر، فساءت الحال مع زوجها الأمير حسن في الجبل في سوريا من جديد ، كما أن الإنجليز تخلوا عنها وقطعوا عنها المال لتأكدهم من إنها بدأت تعمل لمصلحة فرنسا الديغولية ، ويقال إنها بدات ترفض طلباتهم حيث وجدت نفسها ستدخل سلسلة لا تنتهي من المهام، وارتأت هي أنها فنانة لا تريد أن توقع نفسها في هذا الشرك.

وقد اعترف الجنرال إدوارد سبيرز ممثل بريطانيا في لبنان يومذاك بأنه يتعامل معها لقاء أموال وفيرة دفعت نظراً لخدماتها ، وقال عنها إنها كانت كثيرة الكلام ومدمنة على الشراب وأنه قطع كل علاقة معها. كما قال عنها صديقها

الصحفي محمد التابعي أنها كانت لا تترك الكأس من يدها ، وكانت تقول له إنها لا تحب أن ترى الكاس مليئا أو فارغا، كما كانت تدخن بشراهة.

اتضحت علاقة المطربة آمال الأطرش (أسمهان) بأجهزة المخابرات الأوروبية في شهر مايو من عام ١٩٤١ حينما أطلقت المخابرات الإنكليزية عليها لقب الجاسوسة (ماتا هاري) ، وقد ضايق هذا التشبيه أسمهان وقتها بشدة ، للسمعة السيئة التي التصقت باسم (ماتا هاري) ، وبدلا من أن تلتزم أسمهان الصمت قامت بالتعليق على هذه التسمية في حديث مطول للصحفي الكبير محمد التابعي ، قائلة: مؤكد أنني أختلف كثيرا عن الجاسوسة (ماتا هاري) لأنني أسعى إلى عمل شيء من أجل بلدي!

وهكذا ودون أن تشعر كشفت أسمهان نفسها بنفسها فاتضح أنها لم تتجسس لمصلحة الألمان بينما تجسست لخصومهم من الحلفاء.

والغريب حقا أن أسمهان لم تكتف بكشف علاقتها بأجهزة المخابرات ، بل كشفت أيضا في واقعة أخرى عن علاقتها بكبار رجال السلطة في مصر في هذا الوقت ، وذلك حينما وقعت خلافات حادة بينها وبين زوجها الأخير الممثل والمخرج أحمد سالم ، قبل انتهائها من تمثيل فيلمها الثاني والأخير (غرام وانتقام) مع يوسف وهبي ، ففوجئ بها الجميع تستنجد برئيس الديوان الملكي أحمد حسنين باشا ، الذي كان مرتبطا سريا في هذا الوقت بالملكة نازلي والدة الملك فاروق ، وقام أحمد حسنين باشا يومها بإرسال الأميرالاي إمام إبراهيم لها فتبادل إطلاق الرصاص مع أحمد سالم وجرح الاثنان وتم نقلهما للمستشفى ، وتأكد الجميع وقتها أن أسمهان تجاوزت جميع الخطوط الحمراء فكان لابد من وضع حد لطموحاتها ، فعقب حادث إطلاق النار هذا استجابت لنصائح المقربين منها بضرورة ترك القاهرة والسفر لرأس البر لتهدئة أعصابها ، وبالفعل اصطحبت صديقتها ماري قلادة في يوم الجمعة ١٤ يوليو من عام ١٩٤٤ ، وفي الطريق بين طلخا ودمياط فقد السائق السيطرة على السيارة فانحرفت وسقطت في الترعة (ترعه الساحل الموجودة حاليا في مدينه طلخا)، حيث لقت مع صديقتها حتفهما ، أما السائق فلم يصب بأذى وبعد الحادثة اختفى، وبعد اختفائه ظل السؤال عمن يقف وراء موتها دون جواب.

وكان مصرعها بهذه الصورة مثيرا للحيرة ، فترددت شائعات قوية بأن المدبر للحادث الملكة نازلي ، غيرة من علاقة أسمهان بحسنين باشا ، كما توجهت أصابع الاتهام إلى زوجها الثالث أحمد سالم ، وإلى أم كلثوم ، باعتبارها منافستها الرئيسية في عالم الغناء !!

إلا أن أكثر الأدلة والاحتمالات أيدت دور المخابرات الإنجليزية ، لأن أسمهان أصبحت بالنسبة لهم عميلة غير مأمونة ، فكان لابد من تصفيتها !!.

ليلـــى مـــراد



في ١٧ فبراير من العام ١٩١٨ ، ولدت كريسان زكي مراد في الإسكندرية ، وفي سن مبكرة بدأت مشوارها الغنائي ، حيث تعلمت الغناء على يد والدها زكي مراد والملحن المعروف داود حسني، وبدأت بالغناء في الحفلات الخاصة ثم الحفلات العامة في الرابعة عشرة ، ثم عملت بعد عامين بالإذاعة حيث بدأت شهرتها ، وصارت ليلى مراد المطربة المعروفة ..

ولعل أصعب المواقف التي مرت بليلى مراد ، كان حين اتهمت في ذروة شهرتها وجماهيريتها بالتجسس ..لصالح إسرائيل

كان السند الأول لاتهام ليلى مراد بالتجسس لإسرائيل ، هو أصلها اليهودي ، فقد كانت أسرتها يهودية ، ثم اعتنقت ليلى الإسلام في سنة ١٩٤٧ (واعتنقه معظم إخوتها كذلك) وغنت للنبي الغالي ولحجاج بيت الله الحرام ..

ولكن في عام ١٩٥٤ اتهمت المطربة المشهورة بالتجسس لصالح الموساد ، واستغلال علاقتها بالملك المخلوع لإمداد المخابرات الإسرائيلية بالمعلومات، وذلك بعد نشر خبر تسرب الي الصحافة مفاده أنها زارت إسرائيل وجمعت تبرعات تقدر بـ (٥٠ ألف جنيه) لتمويل الجيش الصهيوني !!

بدأت الشائعات عن علاقة ليلى مراد بإسرائيل بخبر نشرته جريدة الأهرام في١٢ -٩ - ١٩٥٤ ، جاء فيه أن الحكومة السورية منعت عرض الأفلام التي تقوم ببطولتها ليلى مراد لتبرعها لحكومة إسرائيل بمبلغ ٥٠ ألف جنيه . ولما قرأ المنتج السينمائي عبد الحليم نصر الخبر أرسل إنذارا إلى ليلى مراد ، لتحميلها مسؤولية ما ادعاه من خسائر نتيجة منع الحكومة السورية دخول وعرض فيلم "سيدة القطار". وبعد سورية منعت الأردن عرض فيلمي "سيدة القطار" و"شاطئ الغرام ". واضطر المنتج إلى إرسال خطاب إلى محمد عبد الخالق حسونة الأمين العام لجامعة الدول العربية يطلب منه التدخل .

وفي ظل هذا سافر الفنان سراج منير عميد السينمائيين إلى دمشق خصيصا لانهاء موقف الحكومة السورية من ليلى مراد ، التي نفت كل ما تردد عن علاقتها بإسرائيل ..

ورغم أنها أغمي عليها عقب سماعها الخبر ، وعقدت مؤتمرا صحفيا نفت فيه جمع تبرعات لإسرائيل ، وتحدثت إلى وكالة "أسوشيتدبرس" مؤكدة أنها مجرد شائعة مغرضة. وأكدت أن كل أموالها مودعة في بنوك مصرية وأنها لم تمتلك يوماً ما يزيد على خمسين ألف جنيه ، فقد أحدث الخبر ردود فعل غاضبة منعت على إثرها أغانيها وأفلامها في سوريا ، ولم تكتف الاذاعة السورية بذلك ، فطلبت من ليلى مراد تقديم المستندات التي تثبت صحة ما تقوله ، واستجابت ليلى مراد وسافر مدير أعمالها محمود شافعي إلى دمشق ومعه الوثائق التي تمثلت في شهادة بحساباتها لدى البنك العثماني والبنك العربي ، وشهادات من البنوك الأخرى بأن ليلى مراد ليس لها فيها أي أرصدة أخرى ، وشهادة من أنور وجدي تفيد أنه لم يطلق ليلى مراد بسبب خلاف ديني وأنها مسلمة منذ سبع سنوات.

وكانت الشائعة سببا في جعلها تقدم على إنتاج فيلم (الحياة حب) الذي تدور أحداثه حول ارتباطها وتعاطفها مع الجيش المصري لتحرير فلسطين . ونتيجة الحملة القوية ضدها تركت ليلى مراد الأضواء عام ١٩٥٥، وأكدت وسائل الإعلام ساعتها أن دوائر الأمن السوري وراء تلك الشائعة لمنع أفلامها في سوريا ، وقد وصل تأثير الشائعات لدرجة أن السلطات المصرية عزمت على اعتقالها ومصادرة أموالها !! وبعد تحريات قام بها مجلس قيادة الثورة تأكدت براءتها وتوسط جمال عبد الناصر لدى سوريا عام ١٩٥٨ لرفع الحظر عن أغانيها وأفلامها..

وقد دارت الشبهات في مصدر الشائعة حول أنور وجدي طليق ليلى ، انتقاما منها بعد طلاقها منه ..

وقد حاولت إسرائيل ، الاتصال بليلى مراد ، طوال الفترة التالية لعقد معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية في ١٩٧٩ ، فيروى أن شمعون بيريز رئيس إسرائيل الحالي اتصل بليلى مراد ذات مرة في أعقاب محادثات السلام المصرية ـالإسرائيلية، ولكن المطربة قالت للخادمة: أغلقي الخط في وجه بيريز ولم ترد عليه في أي محادثة تليفونية..

وفي تقرير نشرته إحدى المجلات الإسرائيلية منذ نحو عامين ، تبين أن هناك محاولات إسرائيلية عديدة للاتصال بالفنانة ليلى مراد باءت بالفشل..

حيث حاول تيسير إلياس (مدير برامج الموسيقى في راديو صوت إسرائيل باللغة العربية) ، وليلتا نجار (المذيعة بالتلفزيون الإسرائيلي ، وهي من يهود مصر) ، الاتصال عبر الهاتف بليلى مراد ، الا أنها رفضت الرد عليهما ، وطلبت من الخادمة إبلاغهما أنها مصرية مسلمة ، كما رفضت استقبال الملحق الإعلامي بالسفارة الإسرائيلية بالقاهرة ، ورفضت عرض الخارجية الإسرائيلية أن تمنحها درجة المواطنة الشرفية لإسرائيل.

راقية إبراهيم

راقيـة إبراهيم ويوسف وهبي في أحـد الأفـلام..



راقية إبراهيم

في ١٢ يونيو ١٩١٩ ، ولدت راشيل إبراهام ليفي لإحدى العائلات اليهودية الفقيرة في حي السكاكيني بالقاهرة، واختارت مهنة "الخياطة" لتعول أسرتها.. كانت تهوى الغناء وتحلم بأن تصبح مطربة مشهورة ، ولكنها حولت طريقها للتمثيل ، فعملت كممثلة مغمورة في العروض المسرحية، وكان القدر حليفها لها في أن تصعد بسرعة الصاروخ وتصبح ممثلة على الشاشة الفضية حين اكتشفتها بهيجة حافظ ، وصارت بطلة لكثير من أفلام المخرج محمد كريم ، وعرفت باسمها الفني راقية إبراهيم .. وتزوجت مهندس الصوت مصطفى والي ..

في عام ١٩٥٢ سافرت راشيل للعلاج من الألم في الكبد في أمريكا، وبعد نجاح العملية عادت إلى مصر، وفي حوار لها مع مجلة الكواكب عام ١٩٥٣ قالت متحدثة عن لهفتها وشوقها لمصر : إن أمريكا بكل ما فيها من عظمة وثراء لم تنجح في إزالة وحشتها لمصر، حتى أنها قالت "لقد وحشتني مصر بغبارها ، وشوارعها ، وحتى مطباتها ، ودور السينما ، ورغيف عيشها المخلوط"!!

ورغم قصائد الغزل هذه فقد قررت راشيل الهجرة للولايات المتحدة ، واستقرت فيها بالفعل منذ عام ١٩٥٦ حتى ماتت .. وفي الولايات المتحدة تزوجت من أمريكي ، وعملت بالتجارة ، ثم عملت مع الإسرائيليين في مكتبهم في الولايات المتحدة ..

وهناك اتهامات موجهة لها بضلوعها بدور بالاشتراك مع الموساد الإسرائيلى باغتيال عالمة الذرة المصرية سميرة موسى عام ١٩٥٢ ، لرفضها عرضا بالحصول على الجنسية الأمريكية والعمل في المراكز العلمية بأمريكا ، وإصرارها على العودة لمصر مما أقلق إسرائيل من احتمالات إسهامها في بناء برنامج نووى مصرى وليد قد يهدد إسرائيل.

سعاد حسني .. لغز السندريلا



سعاد حسني ..لغز السندريلا

أما سندريللا الشاشة سعاد حسني فلقيت حتفها في حادث مروع في عام ٢٠٠١ ، ومعروف أنها كانت واحدة ممن قام البعض بالربط بين أسمائهن واسم جهاز المخابرات المصري في عهد صلاح نصر في الستينيات ، فقيل ضمن ما قيل أنها جمعت في جعبتها الكثير من الأسرار المهمة والخطيرة ، ورغم هذا ظلت ملتزمة الصمت الكامل خشية أن تواجه نفس المصير الذي واجهته فنانات قبلها ، ومن هنا لم يقترب أحد منها فظلت تمارس نشاطها أعواما طويلة ، حتى ابتعدت قرابة العشرة أعوام عن الساحة بسبب المرض الذي أصاب جسدها ووجهها الجميل ، واضطرت بسببه للاختفاء عن العيون تماما ، حتى سافرت للعلاج في بريطانيا ، واقامت هناك فترة طويلة حتى استيقظنا على خبر سقوطها من أحد أبنية العاصمة لندن ..

وعلى الرغم من قرار محكمة ويست منيستر بأن الحادث انتحار ، إلا أن الكثير من الجهات والشخصيات أكدوا على أن الحادث كان مدبرا تماما ، وأيدوا كلامهم بأن نفس هذا العقار الذي سقطت منه سبق وسقط منه اثنان من رجال ثورة يوليو الكبار وهما اللواء علي شفيق مدير مكتب المشير عبد الحكيم عامر والليثي ناصف ، قائد الحرس الجمهوري في عهد السادات ، والغريب أن السلطات الإنجليزية اعتبرت الحوادث الثلاثة انتحاراً.

وضاعف من ردود الأفعال حول حادث السندريللا أنها قامت قبل مصرعها بفترة وجيزة بالتأكيد على أنها تعكف على كتابة مذكراتها الكاملة مع الفن والحياة والسياسة أيضا ، وقيل ضمن ما قيل إنها قررت الحديث في كل الأمور التي ظلت صامتة عنها أعواما طويلة ، وبهذا الشكل تجاوزت الخطوط الحمراء بعد أن طال صمتها ، فكان لابد من تصفيتها قبل صدور هذه المذكرات ، واللافت حقا أنه لم يتم العثور في بيتها بلندن على أي أوراق أو مذكرات مما قامت بكتابتها رغم تأكيد كثيرين أنها كانت تقوم بكتابتها بالفعل !!

وقد كشف اللواء فؤاد نصار، رئيس المخابرات المصرية السابق، في حوار ساخن له مع الإعلامي عمرو الليثي ، في أوائل يونيو (٢٠٠٩) ، أن الفنانة سعاد حسني لم تنتحر، وإنما تم قتلها بشكل احترافي يوحي بفكرة الانتحار، ودلل نصار علي صدق كلامه، أن موت السندريلا جاء بعد إعلان سعاد كتابة مذكراتها مباشرة، حيث إنها ستكشف في هذه المذكرات عن دورها في جهاز المخابرات، والرجال الذين تعاملت معهم، وحول ما إذا كانت سعاد تعمل بشكل منتظم في المخابرات، أكد نصار أن سعاد كانت تحمل رتبة رسمية في المخابرات المصرية، ورغم أن نصار نفى بشكل قاطع أن تكون المخابرات المصرية هى التي قتلت سعاد ، نظرا لأنها لن تستفيد شيئا من قتلها ، وهناك الكثير من عضوات جهاز المخابرات كتبن مذكراتهن، ولم تعترض المخابرات، ومنهن على سبيل المثال اعتماد خورشيد، وهى أيضا كانت تعمل برتبة رسمية في المخابرات.

وأكد نصار أن الجزء الأول الذي كتبته سعاد من مذكراتها قد اختفى تماما ، وحول ما إذا كان للموساد دخل في مقتل سعاد، ألمح نصار إلي أنه ربما، ولكن ليس بشكل قاطع، ولكنه أفاد ، أن أصابع الاتهام في مقتل السندريلا تشير إلي إحدى الشخصيات العربية المهمة ، التي استطاعت سعاد الحصول منه علي معلومات عسكرية كانت تحتاجها مصر، وبالتالي تخلص منها للأبد ، ولكنه رفض بشدة الإفصاح عن اسم هذه الشخصية، وأشار نصار إلي أن المخابرات استخدمت بعض الفنانات بشكل سيئ ، خاصة باستخدامها الجنس كوسيلة من وسائل الإيقاع بعملائها.

وفي السياق نفسه يأتي ما صرح به الجاسوس المصري أحمد الهوان، الشهير بجمعة الشوان"، والذي قام بأداء شخصيته، في المسلسل المأخوذ عن قصة تعاونه مع المخابرات، التي زرعته جاسوسا في إسرائيل، الفنان عادل إمام في مسلسل " دموع في عيون وقحة "، أنه قد تزوج عرفيا من السندريلا سعاد حسني في بداية السبعينيات، وهو ما نفاه بشكل قاطع المخرج الكبير علي بدرخان، مؤكدا أنه كان متزوجا في هذه الفترة من سعاد حسني، ولم تذكر له مطلقا أنها تزوجت في يوم من الأيام بالهوان أو غيره، كما أنها في هذه الفترة كانت زوجة لبدرخان، فكيف تجمع بين زوجين في الوقت نفسه؟

واستنكر بدرخان ما قاله اللواء فؤاد نصار لعمرو الليثي عن أن سعاد كانت تعمل مع المخابرات برتبة ، وأنه من المعروف أن معظم الفنانات المصريات تعرضن لضغوط من رئيس المخابرات وقتها صلاح نصر، ومنهن سعاد حسني، ومريم فخر الدين، وفاتن حمامة التي هربت إلي لبنان، وشادية، التي تم القبض على زوجها، في ذلك الوقت، مصطفي أمين، لإجبارها على التعاون مع المخابرات، وهربت شادية أيضا إلي لبنان، حتى عادت هى وفاتن بوساطة وضمان سعد الدين وهبة.

المراجع

المصادر والمراجع

□□

- صالح مرسي ، نساء في قطار الجاسوسية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٠ م ..

- فريد الفالوجي ، العملية رقم ٧ ، نسخة إلكترونية .

- أمينة المفتى أشهر جاسوسة عربية للموساد أحبت يهودياً فباعت لأجله الوطن ، مكتبة مدبولي القاهرة ، ٢٠٠٢ م .

- فريد الفالوجي ، انشراح موسى . الجاسوسة التي ضاجعت مسؤول الموساد في تل أبيب ، نسخة إلكترونية .

- فريد الفالوجي ، سعيد العبد الله .صريع لغة الجسد ، نسخة إلكترونية ..

- د . سمير محمود قديح ، الجاسوسة الفاتنة أشهر أنثى عرفها التاريخ ، جريدة الصباح ، النسخة الإلكترونية ..

- د . سمير محمود قديح ، علاقات فنانين مصريين بالموساد ، مقال على الشبكة الدولية .

- د. سمير محمود قديح ، نساء في قطار الجاسوسية ، مقال على الشبكة الدولية .

- د. سمير محمود قديح ، النساء .والجاسوسية ، مقال على الشبكة الدولية .

- خالد فؤاد ، نهايتان حتميتان لعلاقة الفنانات برجال الأعمال: الإبعاد أو

القتل والفاعل مجهول أو فوق القانون ، مجلة أخبار النجوم ، ٨ أكتوبر . ٢٠٠٨ ..

- لطفي أكدوغان ، سارة المرأة التي هدمت الإمبراطورية العثمانية تقديم ومراجعة: محمد محفّل ، ترجمة و طباعة دار طلاس بدمشق .

- سعاد سليمان ، مسؤول مصري رفيع: سعاد حسني كانت تحمل رتبة رسمية في الاستخبارات ، جريدة السياسي الإلكترونية ، بتاريخ ١٣/٦/٢٠٠٩ .

- مجموعة من المواقع الإلكترونية باللغة الانجليزية . على الشبكة الدولية للمعلومات .

فهـــــرس الكتـــــاب

الفهرس

الفهرس

■ إنها المرأة.. والتى تمتلك ما لا يمتلكه الرجل فى مضمار الجاسوسية.. تمتلك سحر الأنوثة ورقتها.. وضعفها..

تخبرنا أرشيفات أجهزة المخابرات، وتاريخ الجاسوسية عموما،أن كثيرا من الجواسيس، الرجال والنساء، لم يترددوا فى استخدام "الجسد" للوصول لهدفهم.. ويمكن أن نربط هذا بحقيقة أخرى تتلخص فى أن أغلب من عملن بالتجسس كن ممن يتمتعن بالجمال الفائق، أو الجمال فى حده الأدنى، ولعلنا حين نسمع كلمة جاسوسة، يتبادر المعنى فى أذهاننا مرتبطا بصورة المرأة الجميلة الجذابة، التى تفقد الرجال عقولهم، وتسيطر عليهم، وتدفعهم نحو ما تريد.. وفى هذا يمكن أن نذكر أسماء عشرات الجاسوسات، اللائى أدين الجزء الأهم من عملهن فى الفراش..

وفى هذا الكتاب نفتح ملفات أجهزة الاستخبارات العالمية، ونعود للتاريخ، لنروى قصص أهم وأخطر الجاسوسات اللائى لمعن فى ذلك العالم الغامض المثير..عالم الجاسوسية.. بأسراره وغموضه أيضا ونتائجه سواء كانت لصالح الجاسوس أو عاكسته الرياح فجاءت بما لا يشتهى.



I.S.B.N. 978-977-376-538-2
9 789773 765385

دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة